عُمانُ عبرَ التَّاريخ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السيابي

الجزء الثاني

الطبعة الرابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



مؤلف الكتـــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اعلم أن إمامة على بن أبى طالب آخر الإمامة المجتمع عليها من رجال الإسلام ، وكانت بيعة على بن أبى طالب صحيحة ثابتة وقعت من أهل الحل والعقد ، الذين جعلهم الله حجته على عباده وثبتت بإجماع المسلمين ، ووقوعه فيما وقع فيه من الفتن شيء آخر ، وعندى أن علياً تولى الإمارة فى زمان كثرت فيه الدسائس الأجنبية على دولة المسلمين ، كذلك وقعت الفتن والمحن ، فهلك من هلك ، ونجا الله من شاء من عباده .

وقد تباطأ على بن أبى طالب أولاً عن خلافه أبى بكر حتى إذا وقعت ، ثم بايع ونصح واستقام . ثم مات أبو بكر رحمه الله واستخلف عمراً . ولم يكن لعلى بن أبى طالب رأى فى الخلافة لأن أبا بكر قطع فيها بإستخلاف عمر ، فرضى المسلمون بخلافة عمر . ولما توفى عمر جعل الخلافة شورى بين ستة نفر من خيار الصحابة الذين اعتقد فيهم أنهم حجة تامة بين المسلمين ، وكان على بن أبى طالب أحد الستة ، فتولى رئاستها عبد الرحمن بن عوف الزهرى واجتهد فى أختيار الأصلح للأمة بحسب الخصال التى كان يعلمها منهم فى حالهم السابق الذى مات عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، ومات عليه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فرأى أن عثمان أولى من بقية رجال الشورى ، فبايعه بعد عهود ومواثيق أخذها عليهم فى اختيار الأصلح ، والقيام بواجبات الدين وحقوق أمة الإجابة على كل فرد فرد ، وبعد اجتهاد محص فيه القضية تمام التمحيص ،

وبعد موت عثمان اجتمع المسلمون للنظر فى أمر دينهم ودنياهم ، ولم يروا أولى بها من على بن أبى طالب للخصال التى ذكرناها فيه ، فقام بالأمر وثارت عليه ثوائر الشقاق والنفاق ، واصطدم بحجر هؤلاء المشار إليهم ، وكانت وقعة الجمل ثم تلتها وقعة صفين ، ثم وقعة النهروان ٠

وبعد ذلك تدهور البناء الإسلامى ، وانحل العقد الدينى ، وانتشر الشقاق وعظم الافتراق ، واعصوصب الأمر على علىّ حتى آل الأمر على قتله فقتل كما سبق ، والأمر إلى الله وحده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ٠

وذكرنا أن عثمان وعلياً لم يكن لهما بعمان أى عمل إذ أحاطت بهما الحطوب من كل جانب لأسباب ذكرها أهل العلم ودونوها فى آثارهم التاريخية ، ومازالت القضايا رهن القيل والقال منذ ذلك العهد إلى الآن ، ونحن نقول : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، والله يعلم المفسد من المصلح ، وإليه المرجع والمآب ٠

ثم بعد على بن أبى طالب بويع لولده الحسن ، فلم يكن له فى الأمر حل ولا عقد حتى ألقى إمامته إلى معاوية بن أبى سفيان الذى مازال يخطبها وما برح يطلبها حتى أتته راغمة ، فتولى الأمر معاوية المذكور ، وسار فيه سيرة الملوك إلى أن انتهى أمره وارتحل إلى ربه أسير عمله ، والله يتولى من عباده الصالحين ، ثم بويع من بعده لولده يزيد ، وهى كما علمت بيعة قهرية وقعت فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وهو مستهل رجب ، وقيل بالنصف من رجب سنة ٦٠ ستين للهجرة ، وقام على وتيرة الملوك آخذاً ببعض أعمال أبيه إلى أن توفى فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤ أربع وستين ، وله تسع وثلاثون سنة ، فكانت خلافته

ثلاث سنين وتسعة أشهر ، ثم تولى الأمر بعده بالوراثة ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، بويع فى اليوم الذى مات فيه أبوه فبقى فى خلافته أربعين يوماً ، وقيل خمسة أشهر وأياماً ، وخلع نفسه منها وخطب على المنبر فذكر أفعال جده معاوية واعتداءه على أهل الحق واغتصابه الأمر عن أهله ، ثم ذكر أباه يزيد من سوء أعماله وسيىء أفعاله ، وأنبه تأنيباً وأبان ما عنده حول الأمة ، وصرح بما فى ضميره وأعلن للناس الهوايا المزعومة وعبر عن الواقع الحقيقى ووعظ الأمة ، بأبلغ الوعظ ، ومات بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة ، وقيل سبعين ليلة عن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل إحدى وعشرين فقط ، وقيل ثمانى عشرة سنة ولم يعقب على الصحيح .

ثم بويع بعده ابن الطريد مروان بن الحكم كما قال الدميرى المذكور ، وقام بالأمر وتولى العراق ومصر ، وقامت على عهده حروب مذكورة فى التاريخ ، ثم مات سنة ٦٥ خمس وستين للهجرة ، وكانت وفاته بيد امرأته قعدت على صدره وهو نائم ومعها خوادمها فلم تفلته إلا ميتا ، وكانت خلافته عشرة أشهر وكان عمره ثلاثاً وثمانين سنة ، وهو الذى انتسبه اليه المراونة من بنى أمية فكان هو كرسيهم الأول .

انتقال الدولة من آل الجلندى الى آل اليحمد بن حمد

دولة اليحمـد الميـامين ضـلت
برهة كلهـا رضاً وارتضـاء

اعلم لمـا انتهت دولة الامام الجلندى بن مسعود رحمة الله : وتولى أمر عمـان خازم بن خزيمة ، وكان بغـاة آل الجلندى يتمنون ذلك ، إذ رأوا الامام الجلندى يضع السيف على أعنـاق أقاربه ، ولا يبـالى فى الحق تأخروا عن أمانيهم : وأحجموا عن مقاصدهم ، وقد وضع الضعف كاهله على عمـان بظلم هؤلاء البغاة وأعوانهم ، وبقيت عمـان بين عدو قاهر ، وضعيف مقهور ، وأعوان يراوغون الأمـور مراوغة الثعالب ، فمر على هـذا ردح من الزمن ، وعمان ترزخ ثقل الظلم على كاهلها ، ولمـا رأى شبيب بن عطية العمانى الحال التى عليها أهل عمان ، حركته خصيصة الإيمـان ، على أن يقوم بالواجب حد الطـاقة ، ويقف ضد الظلم مهما استطاع ، وبقى هو والجبابرة فى صراع ، وإذا رأى غلبتهم عليـه ترك الأمر وجلس فى بيتـه ، فاذا رأى فرصة قام بواجبه وأعلن زعامتـه ، واستمر على ذلك الحـال ، وفى هـذه الأثنـاء أيضـا قام غسان المحاربى من بنى هناءة ببغيه ، حيث رأى عصـا المسلمين لا تصلح للقيام عليها ، وأن الأمور فوضى وكل يفعل مـا يستطيع ، وكان المذكور من صـناديد الرجال الذين هم البغاة فى عمان ، دخل نزوى وانتهبها فى غير مـا مبالاة ، إلا اعتمادا على الرئاسة ، وشمت بناس فيها مـا كانوا من الأمر فى العير ولا فى النفير . بغيا وعدوانا عليهم ، حتى قتله آل الحارث بن كعب من أهـالى أبراء من شرقية عمـان ، ثم غضب له منـازل بن حشيش ، وقام لثـأره .

وهكذا بقيت الأحوال فوضى ، وقام راشد بن النضر يدعى الزعامة لأنه من آل الجلندى ملوك عمان إذ ذاك ، وخرج الى المهرة من أطراف عمـان الغربية ، واستنجد بطغام الناس وغوغائهم الذين لا يدرون قبيلا من دبير ، وأجلاف جهلاء أتباع كل ناعق أغبياء لا يهتدون للحق سبيلا ، ولا يعرفون للرشد دليلا ، إلا أن راشد بن النضر من ملوك عمـان ، حتى تغلغل بالظاهرة فجـاء بجحفله يجره على عمـان من الغربية على غير هدى من الله ، إلا أنه يروم ملكا ولا يبالى ، ولمـا رأى المسلمون الحـال على هـذا الوجه ، ورأوا تلاشى الأمور وتلاعب هؤلاء العتاة الأشرار ، خرجوا من مخادعهم ورفعوا عقيرتهم الى إخوانهم أهـل الايمـان بالله ، والغيرة على حرم الله •

وتكاتبوا من بعيد وقريب وتعاهدوا على القيـام بالحق رغم مـا يلاقون من نصب ، وقد أيقنوا أن الخروج يتحتم عليهم ، فتجمعوا وتواثقوا على نصرة الحق ، وخرجوا لأداء مـا يلزمهم فى حق الله ، فالتقوا براشد ابن النضرة وأعوانه بالمجازة من الظاهرة ، ودارت رحى الحرب بينهم ، ولم تضـع أوزارها إلا بعد سحق جيش ابن النضر وأصحابه ، حتى انهزم المذكور ، ولمـا تحقق الهزيمة لم ير له قررا بعمـان ، فتستأصل شأفته ، ويقضى عليه ، هرب شارداً على وجهه الى من يلجئه ، وملأ الله روعه رعبا ، ورأى أنوار الحق قد أشرقت ، ولوامع العدل قد أبرقت ، ولمـا تحقق المسـلمون ذلك رجعـوا الى قلب عمـان ليجتمعوا الى إخوانهـم أعمدة الايمـان ، ويتناظرون هم وإياهم فى ذلك الشـأن ، فانهم قاتلوا راشدا بلا امام ولا سلطان ، وإنمـا كانوا جمهوريين يتبعون علماءهم ، فنزلوا منح حين رأوا الخطب قد هان ، وأن الصعوبات قد سهلت • والفرصة قد حانت • فرجعوا ليدبروا الأمر على تعـارف عام بينهم ولوائح النصر مشرقة على وجوههم •

وهنا حضرهم المشايخ الهداة الأدلاء على طريق الآخرة ، وهم موسى ابن أبى جابر الأزكانى ، وبشير بن المنذر النزوانى ، ودبروا آراءهم حتى توجهت أنظارهم الحالية الى تقديم محمد بن عبد الله بن أبى عفان اليحمدى وكان المذكور من أهل العراق ، ولعله من أهل البصرة ، لأن العمانيين قطنوا البصرة كما علمت ذلك ، وهى من العراق ، ورأوه فى الحال أسكن للأمر فان لكل وقت سياسة ، ولكل عمل ساسة .

قال الامام رحمه الله : انتقال الدولة من يد الجبابرة الى المسلمين ، وتقديم محمد بن أبى عفان ، وأراد بالجبابرة المشار اليهم بقية آل الجلندى ، قال : وذلك انه لما كان من أمر راشد بن النضر ، ومحمد بن زائدة ما كان ، رأى المسلمون الخروج عليهما ، فتكاتبوا وهم يومئذ أهل ضعف ، فاجتمعوا وتآلفوا على إقامة الحق . قلت : الاجتماع والتآلف أمر فعال فى الأمة مهما كانت ، وله أهميته الحقيقية التى لا تردها العوارض مهما كانت ، قال الامام : ويقال كان عبد الملك بن حميد يومئذ شابا ، وأنه كان يدعو المسلمين الى المبايعة على راشد بن النضر ، قال : فأول من حكم محمد بن المعلى الأخنس الفشحى من كندة ، وخرجوا فى طلب راشد ، وذكر النص الذى قدمناه عن ابن رزيق . وقال فى موضع آخر : محمد بن أبى عفان هو محمد بن عبد الله بن أبى عفان ، كان رجلا من اليحمد إلا أنه نشأ فى العراق ، وكان من أهل العراق ، والمعنى هو غير عمانى . قال : فقدموا به الى عمان ، هذا يدل أنه كان وقع بينهم وابن أبى عفان تعارف على هذا الأمر .. وأن يصل المذكور عمان ، ويولوه الامارة فيها ، وكأنهم تخيلوا فيه كفاءة ، ولمحوا فيه نجابة ، ورأوا منه صلابة ، فلذلك جاءوا به الى عمان ليبايعوه بالامامة ، وهذا

رأى من كانت له معرفة بالرجل أمـا من لم تكن له فيه معرفة بقى على مـا هو عليـه •

قال الامام : واختلفوا فى صفة امامته ، وكأنهم بايعوه بالامامة قال : فقيل كان امام دفاع حتى تضـع الحرب أوزارها ، وإذ ذاك ينظرون الأصلح للأمة • قال كان أمير جيش ، أى لم يبايع بالامامة ، لكنهم ولوه السلطة ، فاعتبر نفسه بذلك أنه امام القوم ، قال : فأساء السيرة ، وبدل وغير ، وياويل من بدل وغير عند الإباضية ، لا يغتفر له خطأه ولا زلله ، فان الجلندى بن مسعود لـا دمعت عينـه على أبنـاء عمه حين رأى جنائزهم تمر به ، غضب عليه المسلمون وقـالوا له : أعصبية يا جلندى ، اعتزل أمرنا أو اعتزل أمر المسلمين •

والامام عزان بن قيس رحمـه الله ؛ لـا حمل الصفر من حصن المصـنعة الى حصن الرسـتاق تحرجوا عليـه حيث ان آل قيس بن عزان كان موطنهم الرستاق ، فصـارحوه فى ذلك حتى أقنعهم بعـذره الصحيح فكيف بامام يغير خطة الدين ، ويتعوج فى سبيل المسلمين ، وعلام قتل الصحابة رضوان الله عليهم امامهم عثمـان بن عفان إلا على التبديل والتغيير قال الامام : وكان أى محمد بن أبى عفان ، يستقبلهم بالكلام الغليظ ، أى يستقبل اخوانه المسلمين بالكلام الجافى بنحو كلام جبابرة الملوك ؛ فاستنكروا أخلاقه ، فإن المسلمين أهـل توادد وتراحم وتعاطف ، يتألمون على اخوانهم تألم الوالد الحنـون على ولده الصغير ، كمـا وصفهم الله فى كتـابه ، ولكن كان ابن أبى عفان على خلاف ذلك ، حتى قال وائل ابن أيوب ، وهو من فضـلاء المسلمين وعلمائهم فى الدين : ليس ابن أبى عفان بامام ، بل ذلك جبار ، واذا خرجت هـذه الكلمـة

ونحوهـا من لســان مثل وائل بن أيوب رحمــه الله ، وهو من سادات المسلمين ، فمتى تقوم لذلك الامام قائمة ، واذا سمعها الأنصار فمتى ذلك الامام يجدهم أنصارا بل سرعان مـا يرى نفسه فى خلاء من الأرض •

قال الامام : فعزله المسلمون حين لم يرضوا سيرته ولا مذهبه وكان ذلك فى النصف من ذى القعدة سنة ١٧٩ تسع وسبعين ومائة وذلك فى عهد هارون الرشيد الخليفة العــام للمسلمين فى بغداد ، فانه تولى الأمر فى سـنة ١٧٠ وتوفى فى سنة ١٩٣ • قاله الامام رحمــه الله وكانت ولايته سنتين وشهرين إلا شيئا من الأيام •

قال الامام رحمــه الله : وفى بيــان الشرع من سيرة أبى عبد الله محمد ابن روح قــال : أخبرنى أبو الحوارى رحمه الله ، أنه ذكر محمد ابن عفان فقــال : هو عندنا خليع ، فقال أبو الحوارى عن الصــلت بن خميس رحمه الله ، عن محمد بن محبوب رحمه الله أنه ذكر محمد بن أبى عفان فقال : هو عندنا خليع • قال أبو الحوارى ، وأمــا المؤثر فقال يضيق عن خلعــه أى لا يرى خلعــه • قال فلو أن رجل من أهل زماننا برىء من محمد بن أبى عفان من أجل مــا يجده فى الكتب عن أبى أيوب وائل ابن أيوب الحضرمى رحمــه الله ، أنه قال : إن ابن أبى عفان كان جبارا ، ومن أجل إذ سمع محمد بن محبوب رحمهم الله يبرأ منــه فيبرىء منه من أجل ذلك ، من أجل ذلك ، من غير أن يصح معه من ابن أبى عفان مكفرة ، فان ذلك الرجل على هــذه الصفة عندنا خليع ، أى تبرأ من أجل مـا وجده فى الأثر ، فهــذا خليع أى لأن مــا فى الأثر يحتمل أن ابن

أبى عفان رجع عمـا كان عليـه ، ويحتمل أنه تاب من كل مـا يعد عليه ، أو احتمل أن ذلك منه على جهة الاجتهـاد ، وإن أخطـأ المنهـج الصحيح ، فلا يليق التبرؤ منـه على هـذا السبيل ، حتى يعلم منـه أنه فاعل لذلك المحجور على جهة الانتهـاك أو الظلم المحض ونحـو ذلك ، فلمـا كان الحـال محتملا أشياء من هـذا النوع ، فالاعراض عن البراءة وغيرها من المفروض على المسلم •

اعمال محمد بن أبى عفان فى عمان

اعلم أن محمد بن أبى عفان ، لمـا تولى أمر عمان بواسطة المشايخ الذين جاءوا به من العراق وبايعوه اماما للمسلمين ، ورأى العمانيون منـه خلاف منهجهم كان من طبعهم الاسراع الى التبرىء وشـق العصا وإثارة الشقاق ، ولا احتمال عندهم ولا تقيـة ، ولا تريث ولا محـاباة ولا هوادة فى أقل قليل كمـا علمت من أحوالهم التى ذكرناها ، وشدتهم فى الدين ، وكان محمد بن أبى عفان يرى أن له مطلق النفوذ فى الأمـة ، فكان وائل رحمه الله يقول : ان ابن أبى عفان سبيله سبيل امام حضرموت ، وهو عبد الله ابن سعيد ، وقد عزله أهل حضرموت ، وقدموا عليه خنبشا وهـذا من شدة الاباضية ، إذ كان الرجل إباضيا وأهل حضرموت كلهم إباضية ، كان ابن أبى عفان جعل سعيد بن زياد البكرى وزيرا فى أعماله حال إمامته ، وكان هـذا جاهلا عسيفا فى الأمور ظالما لا يبالى ، عد عليه المسلمون أشياء كانت عندهم من أعمال ابن أبى عفان .

كان سعيد البكرى يتولى الأمور الهامة عند المسلمين ، وكان يفعل فيهـا بمقتضى نظره دون المسلمين ، قال الامام رحمـه الله : كان ابن أبى عفان قد أرسل سعيد بن زياد البكرى الى أهل الأحداث من أهل المشرق أى مشرق عمان خاصة ، قال : فلمـا وصل إليهم وكان بينـه وبينهم مـا كان ، وظهر عليهم سعيد واستولى على بلادهم ، وأراد دمارهـا ، بعث رسولا الى موسى بن أبى جابر وقال سعيد للرسول : أن يقول لموسى ان سعيدا يقطع نخل بنى نجو ، فلمـا وصل الرسول الى موسى قال له إن سعيدا يقطع نخل بنى نجو ، فقال له موسى : (مـا قطعتم من لينة

أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين) ، فلما رجع الرسول الى سعيد وأخبره بما قال موسى ، أقبل سعيد على قطع النخل ، وكان القطع قبل ذلك لم يكن ، وكأنه استفتى الشيخ موسى ابن أبى جابر فى قصده هذا ، وفهم منه الجواز وعدم الحرج ، فلذلك قام يقطع النخل ويهدم المنازل •

ذكر ذلك أبو الحوارى • قلت : إن هذا الحال إن صح فقد رضيه الامام العلامة موسى بن أبى جابر رحمه الله ، إذ أقره ولم يمنعه ، وكأنه يرى له ذلك ، ولعله رأى أن بنى نجوهم أنصار راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ، ولذلك كان القتل فيهم فى وقعة المجازة أكثر من غيرهم ، حيث هم أنصار البغاة من آل الجلندى ، فرأى الامام موسى ابن أبى جابر رحمه الله قطع نخلهم كسرا لقوتهم ، وهو واضح جلى ، وقال أبو الحوارى رحمه الله : قد حفظنا ذلك عمن حفظنا من أهل العلم المأمونين على ذلك ، وقال وائل بن أيوب : فأما ما أحرق سعيد بن زياد مما أحرق مع راشد بن النضر ، فلو ألقى فى النار لكان اهلا ، أى لو عوقب سعيد بن زياد بذلك لكان أهلا لذلك العقاب وحقيقا به • قال : وأما من أحرق سعيد ممن لم يحرق فان كان بعثه امام كان ذلك فى بيت المال ، أى اذا أخطأ عامل الامام ، وكان مأمورا بذلك من قبل الامام كان خطأه فى بيت المال ، حتى لا تتكسر نفسه فيجبن عن القيام بأوامر المسلمين وبيت المال أصله مشروع لمصالح المسلمين •

قال عبد الله بن نافع : فان الامام يومئذ كان ابن أبى عفان وهو الذى بعثه • قال وائل : إن ابن أبى عفان ليس بامام بل ذلك جبار ،

قال : وحفظ الحوارى عن محمد بن محبوب عن أبى صفرة عن وائل ابن أيوب ، أنه قال : لو كان ابن أبى عفان إماما لكان ما أحدث سعيد ابن زياد فى بيت المال . وقال محمد محبوب : ما سمعنا من أحد من قواد هذه الدولة أولاها ولا أخراها صنع ولا سار فى أهل حربهم بشر مما صنع سعيد بن زياد البكرى ، من سفك الدماء ، وحرق المنازل والأمتعة ، وأخذ البرىء بالسقيم ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إنكارا على محمد بن أبى عفان وأعماله ، فانه جعل سعيد بن زياد وزيره ، وسيف دولته وقائد جيشه ، وقد أرسله الى أهل الأحداث من بنى نجو ، وأعوانهم الذين كانوا أنصار راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ، وأن بشير بن المنذر رحمه الله لما استشاره سعيد فى ذلك لم يقل فيه شيئا ، فكان دليل رضائه به فلم اللوم والتأنيب وقد قام بواجب من قبل امامه القائم بالأمر ، وبعد انحلال دولة ابن أبى عفان ، وتولى الأمر الامام الوارث بن كعب ، كان سعيد بن زياد هاربا من عمان الى البحرين ، متخوفا من أهل الأحداث السابقة فى عمان منه ، وما رجع أيام الوارث إذ كان الامام رحمة الله قد جفاه وأقصاه ، ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا ، فخرج الى البحرين من أجل ذلك الى أن توفى الامام الوارث .

وبعد وفاته رجع فحمله الامام غسان على فرس وأحسن اليه فى وفادته عليه ، ولعله رآه محقا فيما صنع ، وان كان فى تلك الأمور ملاما فعلى الامام ، أو أنه جاءه تائبا مما وقع منه متعذرا بأعذار تسوغ له ما فعل ، وقال وائل بن أيوب ، وهو أشدهم على سعيد بن زياد المذكور : الوارث ليس بوكيل للمسلمين ، أو قال للناس كان يسعه مجامعة سعيد بن زياد ، أى الاجتماع به ومراجعته معه حتى يطلب اليه

من يطلب من أهل الحقوق فينصفهم غسان منــه ، ويعطيهم الذى لهــم منــه ، وحيث لا شاكى منــه فيسع الامام السكوت . قلت : لمـا رأى الناس أن الامام التفت اليــه وقربه ودأناه وأعطاه فرسا كان ذلك دليل رضـاه عنــه وتقريبه إياه يؤثر عــلى الغير ، إلا أن الظــاهر لا يرى الامــام على سعيد بن زياد شــيئا والله أعلم ، وفى هــذه الأثنــاء فجمع المسلمون بوفاة شيخ الاسلام أحد حملة العلم بشير بن المنــذر النزوانى العقرى رحمه الله ، جد بنى زياد أهل العقر ، وهو من ســامة ابن لؤى بن غالب القرشى ، فكان لوفاته أثر كبير فى نفوس المسلمين وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة ١٧٨ ثمان وسبعين ومائة رحمــه الله وغفر لــه .

العمل فى عزل محمد بن أبى عفان عن الأمر

لمـا أجمع رأى المسلمين على عزل محمد بن أبى عفان عن الأمر ، احتالوا عليه بالخروج من نزوى ، فلما أخرج تولوا الأمور التى كانت فى يـده .

قال أبو قحطان رحمـه الله . أخرج المسلمون ابن أبى عفان من نزوى حين ظهرت منـه أحداث لم تعجبهم ، ولم يرضوا سيرته فأخرجوه من نزوى باحتيال ، فلمـا خرج من نزوى اجتمعوا واختـاروا لأنفسهم إماما ، فقدموا وارث بن كعب ، قال : ولو كان لابن عفان امامة أو قال أصل إمامة مـا قدموا عليه وارث بن كعب حتى يظهروا للناس مـا يحل به عز له ، ويحتجوا عليه . قال الامام : وفى بيـان الشرع قال : أخبرنا أبو محمد الفضل بن الحوارى ، عن زيد بن مثوبة أنه أخبره بأنه لمـا أراد المسلمون أن يعزلوا محمد بن أبى عفان حضر موسى بن أبى جابر العسكر وهو شيخ كبير مشدود على حاجبيه بعمامة وهو نائم على سرير فى العسكر ، وشاعت الاشاعة بقصد القوم — وبلغ سائر المسلمين ، وكان الوارث بن كعب ممن بلغه ذلك ، وكأنه لا يراه .

قل : وقد خرج وارث يريد العسكر مناظرا ومحتجا لابن أبى عفان ، إذ أرادوا عزله ، فقال لموسى : من إمامنا ؟ فقال موسى أنا امامكم ، فلما وصل وارث نزوى أخذ موسى بيده فقدمه اماما للناس . قال فما علمنا أن أحدا من الناس عاب ذلك على وارث . قلت : ان كان للغيب مساغ فعلى موسى لاعلى الوارث ، الا ان كان يعنى خروج الوارث مناظرا عن ابن أبى عفان ،

وأنه لم يعب عليه ذلك أحد من أهل العلم . قلت : ان الوارث واحد من المسلمين ، وإن كان يرى لـه ذلك الوارث ، فغير الوارث لا يراه وهم الحجة فى المسلمين على الوارث ، وله رأيه ولا يعارض رأى غيره من المسلمين ، ورأى أهل الحل والعقد والمبتلين بعناء الأمور هم الحجة فيها ، وكان الوارث قبل هذا التاريخ غير مبتلى بأمور أهل عمان ، وكأن الوارث كان مع القوم المجتمعين لعزل محمد بن أبى عفان ، وإن كان لا يعلم ما فى أنفس القوم ، وهـذا يخالف ما يروى فى أصل إمامة الامام الوارث رحمه الله من الكرامة التى ظهرت له فى هـذا الأثناء كما سوف تراه أيها القارىء فى إمامة الامام المذكور ، ولعل تلك الكرامة وقعت للامام قبل هذا الوقت ، وكان انفعالها فى هذا الوقت المشار اليه ، وكأن هـذا الامام من أفضل أئمة عمان وأقومهم فى الدين ، ومن أزهد الرجال الذين عرفهم التاريخ فى هـذه الآونة ، والذى يظهر أن تلك الأحدوثة التاريخية كانت للوارث قبل هـذا الوقت الذى جاء فيه مع المشايخ لهـذا الصدد .

إمامة الإمام الوارث بن كعب الخروصى

بعد محمد بن أبى عفان بويع بالامامة الوارث بن كعب الخروصى من أهل بلدة هجار من وادى بنى خروص ، ولا يخفى أن بنى خروص فى عمان حضيرة الامامة ، ومنبت الزهد والورع ، وبيت القصيد فى الفضل دينا وإيمانا وزهدا وورعا ، ومعدن فضل فى عمان لا ينكره إلا جاهل ، وكيف يلحق عين الشمس نكران .

وكان الوارث أول امام من هذه القبيلة النبيلة ، ثم توالت الامامة منهم وقد أشرنا الى خصال هذه القبيلة فى الاسعاف ، وفى العنوان ، بما لا يستدعى الإعادة ، ومن حيث ان الوارث أول حجر الدولة اليحمدية ، كما قلنا فى العنوان وغيره : وأنه لخير أول :

والى اليحمد الكرام تناهت
وبها منهم مشت أمراء

منهم الوارث الامام بن كعب
ليتها القرم بدرها الوضاء

وتوالت أئمة من خروص
سادة قادة الهدى علماء

قام سلطانهم على العدل عهدا
وعلى العدل يستطاب الثناء

قال رسول الله ﷺ : الناس معادن • الحديث ، وبنو خروص معدن دين وإيمـان وعلم وعمل ، وهدى وتقوى طيلة العهد الاسلامى فى عمـان ، فخرجت منهم أئمـة أنجبها الدين والايمـان الى هـذا العهد الذى نحن فيـه وبنو خروص فى مقدمة الأفاضل الأخيار علمـا وعملا ودينـا وايمانا •

مؤهلات الهمام الوارث بن كعب للإمامة

اعلم أن الوارث بن كعب أشتهر بالفضل والورع والزهد • وتحدث عنه الناس بذلك فى النوادى ، وشاعت كراماته حتى تحدث الكون معـه بامامته وخوطب بهـا من حيث لا يعلم ، بل يسمع صوتا ولا يرى شخصا ، فكان فى أيام بنى الجلندى سرا مخزونا ، وقد خبأه الله لوقته •

قال الامام فى سبب اختيار المسلمين للوارث رحمـه الله : تحتمل صحته وان صح فالظاهر أن ذلك كان وقت الجبابرة من بنى الجلندى قبـل ظهور المسلمين عليهم ، فتكون تلك الحالة منقبة للوارث محفوظة له منـذ مدة من الزمان ، فظهرت ثمرتهـا فى أوانها برغبة المسلمين فى تقديمه • قال : وذلك مـا قيل ان الوارث كان يسكن هجار من وادى بنى خروص وكان يرى الرؤيا فى نومه تدل على ظهور الحق على يده ، وأنه كان ذات يوم يحرث فى زرع له فسمع صوتا يقول له : اترك حرثك وسر الى نزوى وأقم بهـا الحق • ثم ناداه ثانية وثالثة بذلك ، فألهم الوارث أن يجيب القائل بقوله : ومن أنصـارى وأنا رجل صعيف ؟ فقيل له : أنصارك جنود الله ، فقال فى نفسـه ان يكن هـذا حقا فليكن مصـاب مجزى ، هذا ينبت ويحضر من الشجرة التى أصله منهـا ، فغرسـه فى الأرض فنبت شجرة ليمون ، ويسميه أهل عمـان لومى ، فنبت شجرة لومى ، ويقال إن هـذه الشجرة موجودة الى الآن ، وهى مركز امامته المحفوظة قلت : نعم هـذا أمر متداول شائع شيوع شهرة عند الخاص والعـام من أهل عمـان ، وقد وقفت على هـذا الشجر بنفسى وهو لا يزال جديدا كأن لم يمر عليه أكثر من نصف قرن ، واذا بالواقع قد مر عليـه

أكثر من ألف سنة ومائتى سنة تقريبا ، ولا يزال الى هذا العهد الذى أحرر فيه أنا هـذه الصحائف • قال : ثم سار الى نزوى وهى فى أيدى الجبابرة من آل الجلندى ، وقد ملؤوها جورا وظلمـا ، فلما وصل الوارث نزوى وجد خبازا يخبز وجنديا من جند السلطان يأكل خبزه ، والخباز يستغيث بالله والمسلمين منـه ، فلما رآه أى الوارث على ذلك الحال زجره ثلاثا فلم ينته ، فقتله فمضى مسرعا الى مسجد هناك على شاطىء الوادى قريبا ، والآن يسمى مسجد النصر • قـال : فأسرعت اليه أى جنود السـلطان لتقتله ، فلمـا وصلوا قريبا منـه رأوا المسجد قد غص من الرجال المقاتلة فلم يصلوه • قالوا فلذلك اختاره المسلمون عليهم اماما ، قلت ولـعل القضية قد دبرت كذلك ، وقد وقع عليهـا التآمر بأنه اذا قدر هـذا الرجل على التجرؤ على هـذا الأمر فنحن معـه نناصره والا فنعتذر بأعذر فى المقام ، وأنا أظن هـذا الوجه أرجح ، لأن المسلمين بعد وقعة المجـارة رأوه لوائح النصر تؤيدهم ، واجتماعهم كان فعالا على الأعداء طبعا ، وسموا المسجد مسجد النصر بعد ذلك لأجل هـذا الحادث وذلك ظاهر ، فان بنـاء الجبابرة فى هـذه الآونة قد هم أن ينهـار ، ويمكن أن يكون هـذا وغيره فى القضية وعلى كل حال هو من كرامات الوارث الذى سيجعله الله الوارث الحقيقى للأمر عن الجبابرة المفسدين •

قال الامام رحمـه الله : وقيل انه لمـا خرج الوارث لاظهـار العدل تخلف عنـه أخوه محمد بن كعب ، ولا ريب فـان الجاهل على خلاف العاقل ، وبينهمـا تباين لا يزال حتى بين الأنبياء والعلماء والصالحين ، وهكـذا فقالوا خزر عنـه ، ولعله كان على رأيه مواطئا له ، فلمـا حق الأمر تلاوذ عنـه فسموه خزيرا ، وشاع ذلك عليه حتى عاد لم يعرف الا به ، وشاع على ذريته الى الآن •

قال الامام : فبنوه يقال لهم بنو خزير ، ومر أى الوارث فى حال توجهه الى نزوى على بئر لبنى صبح أهل القرية المعروفة بقرية بنى صبح ، يقال لتلك البئر زكت بنى صبح ، وكان عليه رجل من بنى صبح ، ومعه أربعون رجلا من قومه • فصحبوا الامام الوارث مناصرين له وموازين ، وهذا يؤيد ما قلنا ان الرجل كان معه ناس وكان الأمر مبينا على تعارف صحيح سار عليه الوارث متجردا لله مناصرا لدينه ، قال : فأوصى لهم أى الوراث بإيقاف مال ينفق منه على من حضر الانفاق فى موضع مخصوص من الهجار إلا لمانع كمطر ونحوه ، فما زاد عن ذلك فانه ينفق على إهل الهجار وستال خاصة قال : وأوصى لأهل زكت منه بأربعين سهما ، أى عدد رؤوس الرجال الذين خرجوا معه ينفق فيهم وفى ذراريهم ، ولو بقى منهم رجل واحد فهم يعطون أربعين سهما ، ومنع منه بنى أخيه لخزره عنه ، قال موقفه يقسم الى اليوم على ما لوصى به • قال : ولا يستطيع أحد من بنى خزير أن يأخذ منه أى الوقف لتعجيل العقوبة ، وهذه كرامة أخرى فى هذا الواقف •

قال الامام : ولهذا الوقف آثار شاهرة وكرامات ظاهرة ذكرها لنا من نثق به منهما اذا أنفق فى الموضع المخصوص رأوا فيه زيادة على القدر الذى عهدوه ، وإن أنفقوه فى غير ذلك الموضع لعذر وجدوه كما عهدوه من كيل أو وزن ، ومنها أنه اذا أكل من الوقف المذكور غير مستحقة عوجل بالعقوبة ولو دابة أكلت منه مع علم صاحبها بذلك عوقبت ، وان لم يعلم صاحبها لم يصبها شىء ، أى لأنها بهيمة لم تكلفت فهذه أحوال هذا الوقف على ما ذكره المؤرخون ، وهذه الكرامات لا تزال خالدة باقية الى هذا العهد ، وهى من العجائب فى

اعتبار أهل العقول قال : وعند الثقة من هـذه الأحوال أشياء ممـا لم يتجاسر الناقل أن نأخذه عنـه ، والمعنى أنهـا أشياء ربمـا لا تدخل فى أذواق العقلاء لأنهـا خوارق عادات •

ولا شك أن كرامات الأوليـاء معجزات لأنبيائهم ، تدل على صدق الاتباع لهم والاخلاص لله عز وجل ، ولا ريب فانهـا ثمر الاخلاص والتقوى ، وبرهان صدق الايمـان ، وكم مثل هـذا ذكره أهل العلم لأشياخ المسلمين وعلمائهم أئمتهم إلا أن المعجزة تأتى على سبيل التحدى لاعجـاز الخصم ، ولذلك سميت معجزات حيث أعجزت المعـارض ، أما الكرامة فلكونهـا إكراما لصاحبها وعلو شأن لـه فى الدين ، فان الله لا يضع الكرامة لغير كريم فى الدين كمـا يشـير الى ذلك قوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وزهد الوارث وورعه وتقواه (١) أنزلته تلك المنزلة العـالية فى الدنيا ، كمـا أنها عنوان منزلته فى الآخرة ان شـاء الله •

فهذه الأحوال هى التى أهلت الوارث بن كعب لأن يكون أمير المؤمنين

---

(١) قلت وللوارث كرامات شهيرة حتى منها أن الطين الذى اصلح به جدران مسجد الامام فيه حب بر باق فى جدرانه الى هذا العهد ، وما ذلك الاكرامات ظاهرة ظهور الشمس رابعة النهار ، ومنها قال ابن رزيق العمانى فى تاريخه مر على ناس مصلوبين فى الرشاق فى الشمس ظلما فاطلقهم ، ومنها لا تزال غمامة تقف اعلى بيت الامام الوارث بالهجار تنفنف عليه قطرات من ماء دون باقى الناس ، وعدم مس الوادى لقبره اذا جاء جارفا يدور به ولايمسه ، ويقال لمـا أراد أن يبنى مسجده جاءت غمامة فوقفت اعلى المكان فبنى المسجد على دورة ظلها ، ولذلك سمى بمسجد الغمامة ، وهو باق الى الآن فهل يعقل ان بناء طين يبقى هذه المدة الا كرامة لصاحبه والحمد لله .

بعمــان ، وامام المســلمين بغير نكران ، والفتت الأنظار اليــه والى عشيرته التى لم تزل تخرج للنــاس فصول خواتم ينفحن عطرا أو قل بحور مكام يقذفن درا ، لا بل شموس معارف يشرقن نورا ، فلم تزل الأئمــة تخرج من هذه القبيلة فى عمــان لصدق الايمــان وصحة التقوى ، ولم تزل الامامة ضــاربة أطنابها فيهم طيلة تلك العهود المــارة ، وان ظهرت فى بعض الأحيــان ، فسرعان مــا تعود اليهم وقل أن يكون بطن منهم إلا وفيه امام أو أئمة ، لأن الدين عند الأباضية مقدم على غيره ، وسبق لنــا فى الهمزية ، والى اليحمد الكرام تناهت الأبيات :

والى اليحمد الكرام تناهت
وبهــا منهــم مشــت أمراء

منهم الوارث الامام بن كعب
ليثهــا القرم بدرهــا الوضاء

وتوالت أئمــة مــن خروص
ســادة قــادة الهــدى علماء

قــام سلطانهم على العدل عهدا
وعلى العدل يستطاب الثنــاء

للمهنــا ومن كمثل المهنــا
قــوة لم تج بهــا الأقويــاء

أصلت الصــلت للمعــادين إصلا
ــيت إنتقــام فبــادت الخصــماء

دولة اليحمد الميــامين ظلت
برهــة كلهــا رضى وإرتضــاء

تحقيق البيعة للإمـام الوارث بن كعب الخروصى

بعد عزل محمد بن أبى عفان تناظر المسلمون فيمن يكون هو الامام للمسلمين بعمـان ، ومخضوا مـا لديهم من أنظـار ، واذا بالوارث بن كعب فى المقدمة ، إذ شاعت كراماته لديهم ، وفاضت فواضـله اليهم ، فكان بطل الحق وأمير العدالة الذى لا تأخذه لومة لائم ، إذ بادر الجبار بقتل جنديه فى نزوى ، وبارز البغى الصريح بالحسـام الأحمر الدامى ، فاجتمع المسلمون عليه .

قال الامام رحمه الله : هو أول امام من بنى خروص وهم من اليحمد وذلك بعد أن عزل محمد بن أبى عفان ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٩٧ سبع وتسعين ومائة . قال : وفى بيـان الشرع قال أخبرنا أبو محمد الفضلى بن الحورى عن زياد بن مثوبة أنه أخبره بأنه : لمـا أراد المسلمون عزل محمد بن أبى عفان حضر موسى بن أبى جابر العسكر ، وهو شيخ كبير مشدود على حاجبيه بعمامة ، وذكر مـا قدمنا من الحديث كمـا ذكره أهل العلم . قال أبو الحسن : بايعوا الوارث بن كعب على مـا بويع عليه أئمة العدل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والشرى فى سبيل الله وإظهار الحق وإخمـاد الباطل والجهاد فى سبيل الله وقتال الفئة الباغية ، وكل فرقة امتنعت عن الحق حتى تفىء الى أمر الله لا يستحلون منهم غنيمة مال ، ولا سبى عيـال ، ولا انتحال هجرة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسموا بالتسرك أهل القبلة مـا بينوا الشهادتين ، أى ما داموا يقولون بهمـا ويعترفون بمنطوقهما ومفهومها .

قال : فقام وارث بالحق مـا شاء الله والمسلمون عنه راضون ، وله موازرون ، وعليه مجتمعون ، ولمن امتنع عن طاعته مفارقون ، وآمنت عمان فى أيامه ، وزال عنهـا ظلم الطغـاة وجور البغـاة ، وصارت به خير دار لأن العدل يعمر الديار إجماعا كمـا علم ذلك قديمـا وحديثا ، وكان الوارث من الرجال الأوفياء لله وأهل الخوف من الله وقد تفانى المسلمون فى طاعتـه .

هارون الرشيد يروم استرداد عمـان الى خلافته

لمـا تسنت للرشيد الخلافة العـامة ، وقر كرسى سلطته فى بغداد ، التفت الى الممالك ليردهـا الى أمرة المالك ، وكانت عمان كمـا علمت عنها أولا وملوك بنى أمية والعباسيين أيضـا وانفصالها بعد ذلك حاول الرشيد ردهـا الى خلافته برغم رغبتهـا فجهز لهـا ابن عمـه عيسى ابن جعفر بن المنصور ، وعقد لـه لواء على سـتة آلاف مقاتل فيهم ألف فارس وخمسـة آلاف راجل ، وجعل له ولايتهـا من غير أن يرسـل للعمانيين ، ويعلم مـا عندهم ، بل اعتمادا على القوة وتحملا للغطرسة ، فجـاء يسحب جيشه المذكور ، وبلغ العمانيين نبـأ خروجه عليهم ليمحوهم من الوجود الاباضى الى غيره ، ولكن لم يرض العمانيون ذلك ، فكتب داود بن يزيد المهلبى الى والى صحـار ، ووالى صحار كتب الى الامام الوارث فكتب الامام الى واليـه مقارش بن محمد اليحمدى ، وبعث اليه فى ثلاثة آلاف مقاتل فتلقاه الوالى المذكور فى (حتى) بشمال صحار ، فدارت رحى الحرب بينهم ، فأمكن الله من جيش عيسى بن جعفر بعد تمزق قوته ، وأسر الأكثر ، وذهب الجيش شغربغر هاربا على وجهه الى سفنه ليتحصن بهـا ، فقام له الليث الهصور أبو حميد بن فلج الحدانى ، السلوتى ومعـه عمر وبن عمر فى البحر فى ثلاثة مراكب ، فدخل عليهم أبو حميد بمركبه حتى تغلغل فيهم ، فسقط على عيسى بن جعفر فأسره وخرج به الى صحار ، فحبس فى صحار ، وتجهز الامام من نزوى للقـاء عيسى ابن جعفر ، لأنه لا يدرى ماذا يكون منـه وهل ينتصر أو يغلب ، فـان جيوش بغداد مازالت تدق عمـان دقا عنيفا ، والحرب سجال ، فلمـا وصل

الامام سيفم خارجا على طريق الظاهرة لأن الغزاة دائمـا يكونون من هذا الطريق ، وهـا هنا وافاه الخبر بهزيمة عيسى بن جعفر فرجع الى نزوى .

قال أبو الحوارى : فلمـا بلغ نزوى بلغـه أن عيسى بن جعفر فى السـجن ، قـال أبو الحوارى : بلغنا ان الامام الوارث قام فى النـاس خطيبا ، فقال : يا أيهـا الناس إنى قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معـه قول فليقل ، قـال : فبلغنـا أن على بن عزرة وكان من فقهـاء المسلمين ، فقال إن قتلته فواسع لك ، وإن تركته فواسع لك ، أى لأنه باغ والباغى حلال الدم ويجوز العفو عنـه إذا رأى الامام الصـلاح فى العفو عنه ، قال : فأمسك الامام عن قتله وتركه فى السجن ، قال : فلما كان بعد ذلك بلغنا أن قوما من المسلمين ، وفيهم رجل يقـال له يحيى بن عبد العزيز رحمـه الله ــ وكان من أفاضل المسـلمين ولعـله لم يكن يقدم عليـه أحد فى زمانه فى الفضل بعمان ، انطلقوا من حيث لا يعلم الامام حتى أتوا صحار ، فتسوروا السجن فقتلوا عيسى بن جعفر فى السجن من حيث لا يعلم الامام ولا الوالى ، وانصرفوا من ليلتهم .

قال : وبلغنا عن بشير بن المنذر رحمه الله أنه كان يقول : قاتل عيسى ابن جعفر لا تمسه النـار ، أو قال : لم يشم النـار ، أى بسبب قتله وليس حكما بالغيب ، وإنمـا هو حكم بالظاهر يعنى أنه إذا لم يفعل غير هـذا لم يشم النـار بسببه ، قلت : هـو مبالغه فى حلية قتله أى أن قتلـه لا شىء فيـه من المحذور مطلقا ، لأنه باغ ظالم معتد على المسلمين فى وطنهم ، أراد أن يحتل بيضتهم ويقضى على عزتهم وكرامتم ببغيـه ، قال أبو الحوارى هـذا الذى حفظنا من خبر عيسى بن جعفر عن أهـل

العلم المأمونين على ذلك ، قال : ثم ذكر صورة الحكم فى قتله ، والذى حفظناه من قول المسلمين :

إن إمام المسلمين إذا قتل أو قتل والى المسلمين أن دماءهم للمسلمين دون أوليائهم ، وكذلك إذا قتل قائد المسلمين فى مسيره أو قتلت سرية المسلمين ، قال : وللمسلمين أن يقتلوا من قتلهم كيفما قد رواه عليه فى غيلة أو غير غيلة ، قال : وفى ذلك آثار المسلمين قائمة معروفة قلت : والى قضية عيسى بن جعفر يشير صاحب معالم الجزيرة ، حيث يقول : وفى زمان هذا يعنى الوارث ، ارسل هارون الرشيد تجريدة على عمان فلم تصنع شيئا ، وكذلك فى تعليق أمير البيان ، يقول : إلا أنهما لم يذكرا أسر العمانيين العيسى بن جعفر ، ولم يؤنبا الرشيد فى أعماله ، وإن قيل : إن الرشيد قد هلك منذ أعوام • قلنا : إن تأنيب العرب فى مهاجمة اخوانهم العرب يرد الضمائر الآتية عن عمل السوء فى جانب إخوانهم ، إن كانت ضمائرهم صحيحة •

وكان الامام محمد بن محبوب رحمه الله فى مكة خرج حاجا ، فجاء عيسى بن جعفر الى عمان ، قال ابن محبوب : فبلغنى خبر هزيمته فى مكة أى لكون القضية من مهمات الاسلام على العموم ، ومن مهمات العرب على الخصوص ، ومن مهام أهل عمان على الأخص ، ولأن وراءها هارون ، وقد علم شأنه وقوة سلطانه عاتيا ، وقد هلك جيشه وابن عمه ، قال ابن محبوب رحمه الله : فقال والدى يعنى محبوبا لما بلغه خبر هزيمته وأنهم أخذوه أسيرا فقال محبوب للرجل الذى أخبره عن أسر عيسى بن جعفر : سرنى إذ أخذوه أسيرا ، قال قلت : ولم يسرك ذلك يا أبا سفيان ؟ قال : ليمنوا عليه • قال الرجل : فقلت

لمحبوب يا أبا سفيان لو كان معـه كذا وكذا من رأس لقطعوها أهـل عمـان أو نحو هـذا من القول ، قال : فقال هكذا ؟ قـال : نعم . قلت : وفى نفسى أن الامام الوارث ربمـا لاحظ هـذا الحال الذى لاحظه ابن محبوب رحمـه الله ، فان إطلاق عيسى بن جعفر منـه كبيرة على هارون وآله ، ومـا قتل الأحرار كالعفو عنهم ، ولكن قدر الله على عيسى بن جعفر قاض بالقتل لـه ولا مناص منه ، وأن رأى الامام الرحيلى رحمه الله سديد رشيد ، قال : وفى المصنف قال : وبلغنـا أن المسلمين باعوا شيئا من الخيل التى كانت مع عيسى بن جعفر ، كمـا ثبت أنهـا كانت ألف فرس ، قال وتصدقوا بثمنهـا على الفقراء والدار قاصية بعيدة . قلت ذلك لأنهـم يرونهـا بيت مال ، فان مـا فى يد السلطان هو بيت مال المسـلمين وأمـا أموال أهل القبلة فلا تحل مطلقـا عند الاباضية مهمـا كانت أفعال البغاة عملا بسنة الله وسنة رسوله عليه السلام .

قال ولمـا بلغ هارون الرشيد خبر هزيمة جيشـه الغازى عمان ، وبله أسر ابن عمـه عيسى ، وأنه الآن فى يد عدوه هزه ذلك على حرب عمان ، فهم بانفـاذ جيش كثيف لعمـان ليمحو الآثار ، وينشر فى أهل عمان الدمار ، حتى بلغ خبره عمان ، ولا شك أن أهل عمان يتوقعون منـه ذلك ، فارتاع أهل عمان لذلك واهتموا من قبله أى اهتمـام ثم فى هـذا الأثنـاء قضى الله على هارون بالموت ، فمـات فى طوس ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سـنة ١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة ، وأراح الله منـه الأمة وتلك الدنيـا وهذا فعلها بأهلها والله المستعان .

لم تر عمـــان أيام الامام الوارث سوءا ولم يغزها غاز بعد عيسى بن جعفر ، واطمأنت البلاد واستراحت العبـــاد ، وظهرت معـــالم الرشاد ، وكبح الله جماح أهل العناد ، وانقطعت شأفة الفســـاد ، وصارت عمان خير دار ، وذلك كله كرامة لإمامهـــا البطل المغوار ، المدود من السماء بالكرامات الكبـــار ، التى هى من أفضـــل المنن من الله لعباده الأبرار .

وفاة الامام الوارث بن كعب رحمــه الله

بعد مــا قضى بن كعب رحمــه الله اثنتى عشرة سنة وأشهرا فى إمامته ، قائما لواجبات الله عز وجل ، عاملا بمقتضى الكتــاب والسنة ، حافظا لحقوق الأمة ، حاميا للبيضــة ، جاءه مالابد منــه لينتقل من دار الفناء الى دار البقــاء التى هى المرجع للكل ، وذلك أن حبس المسلمين كان عند سوقم مايل من نزوى فى وادى كلبوه تحت الشجر ، ولعل هنــاك كانت ظهرة مرتفعــة عن مجرى السيل إلا إذا جاء جارفا يفيض إليهــا فيغمرها سيله ، وأنه وقع مطر غزير وسالت الأودية وبالأخص وادى كلبوه ، وكأن الامام لمــا رأى الوادى يتزايد ويرتفع أمر باطلاق المساجين خوفا عليهم من اجتياح الوادى لهم ، فلم يجسر أحد أن يصل إليهم ، ولما رأى الامام رحمــه الله ذلك عز عليــه أن يصبح مساجينه ضحية الوادى وهــو حى يغدو ويروح ، فقال قولته المشهورة : أمانتى وأنا مســئول عنهم غدا ، وارتمى إليهم لينجيهم مهمــا استطاع ، فطغى عليه الســيل فحمله مع مساجينه وهم على مــا يقال كانوا عددا ، ثم تبع الامام ناس من أصحابه ممن عاهد الله مع إمامه فى حله وترحاله ، فكانوا على مــا قيل سبعين رجــلا حملهم السيل فأغرقهم •

قال الامام : لم يزل الوارث إماما حسن الســيرة قائما بالعدل حتى اختار الله له مــا لديه ،فكان سبب موته أنه غرق فى سيل وادى كلبــوه من نزوى ، وغرق ومعــه سبعون رجلا من أصحابه وذكر الحادثة بعينها ، وكذا قال ابن رزيق فى تاريخه ، ولا يقــال إن هــذا إلقــاء للنفس فى التهلكة التى نهى الله عنهــا ، فانمــا هذا قيام بالواجب واجتهــاد فى

الله ، والمسلمون إخوان وأعوان ، ومن الجائز أن يصل الامام وأصحابه الى غرضهم ، ومن الممكن أن يخف الماء فى ذلك الحين حتى يبلغ المسلمون أربهم ، ولما كان القضاء والقدر حاكمين على أولئك بالهلاك ، فلا لوم عليهم ، قلت : (لو كنتم فى بروج مشيدة ، لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) الآية حملهم السيل جميعا الامام وأصحابه ، والمسجونون معا ، وبعد تنازل الجارف خرجوا يتفقدونهم فى الجرى ، وإذا بالامام المرضى على شعير الوادى عند الطريق السافل من سعال بالجانب الشرقى منه ، فصاح صائحهم وتلاقوا عليه وأراده كل فريق لأن يتولوه ويدفنوه معهم ، وهموا أن يقتتلوا على ذلك خصوصا أهل العقر وأهل سعال ، وبلغ الأمر الاعتماد على القوة ، وأخيرا اتفقوا أن يدفنوه فى المكان الذى وجدوه فيه صلحا بين الطرفين ، فتراضوا بذلك ودفن مكانه ، وإذا طغى السيل ووصل الى ذلك المكان افترق عن القبر ولم يمسه ، وهذه إحدى كراماته ، وقبره معروف عند الكل ، وكان الأئمة يزورونه باستمرار ، لكونه كان فقيد الأمة الاباضية بعمان ، المنقذ لها من ظلم الجبابرة من آل الجلندى وأعوانهم ، كان محبوبا فى الأمة الى حد بعيد ، كان مخلصا لقومه رءوفا بهم محسنا إليهم شفيقا عليهم ، يبذل النفس والنفيس فى صلاحهم ، لا يبالى بما يلاقى فى طاعة الله عز وجل ، كثير الكرامات التى لا تزال باقية الأثر الى الآن ، انظر الى الوقف الذى منع منه آل أخيه محمد بن كعب الذى لقب بعده خزيرا لما كان منه اذا أكل منه الخزيرى عوقب حالا أو أصيب ، واذا كانت له زوجة خروصية تأكل من وقف الوارث ولا يقدر زوجها أن يأكل منه ، وإذا كانت خزيرية وزوجها خروصى فهو يأكل من الوقف وهى لا تقدر ، وهذا أمر مشاهد معهود طيلة هذه الأزمنة المارة ، وهى فوق اثنى عشر قرنا ، وانظر الى أئمة بنى خروص وعلمائهم

وأدبائهم ، ولا يوجد خزيرى عالما أو حتى شـاعرا على كثرة علماء بنى خروص وأهل الفضل فيهم فسبحان من لـه فى خلقه أسرار وفى عبـاده عظيم الاعتبـار .

كانت وفاة الامام الوارث رحمـه الله فى اليوم الثالث من جمادى الأولى سنة ١٩٢ اثنتين وتسـعين ومائة ، ومات الرشيد بعـده بسنة واحدة فقط إذ مـات سـنة ١٩٣ وأراح الله الأمة من شره وشر ذويه ، وانقطع أمرهم عن عمان إلا مـا سيأتى من حروب ابن بور عامل المعتضد ، وابتلت بهم عمـان أشد ابتلاء حتى فرج الله أزمتهم بأهل الحق ، وأزال بغيهم ونعرتهم كمـا سيأتى ذلك فى محله إن شاء الله .

إمامة الامام غسان بن عبد الله اليحمدى
من الفجح على الصحيح عنـــد الكل

لمــا مات الوارث بن كعب رحمـــه الله ورضى عنـــه بايعوا بعـــده غسان بن عبد الله يوم الاثنين لست خلون من جمادى الأولى ســـنة ١٩٢ اثنين وتسعين ومائة فى عهـــد هارون الرشيد ، قال أبو زياد : لمـــا غرق الوارث بن كعب رحمه الله ، قال سليمان بن عثمان لمسعدة بن تميم عند فلج ضوت فى البطحاء ، أى من نزوى : نكتب الى أهل السر يأتون ، قال ابن تميم : إنمـــا يريد عثمان أن نؤخر هـــذا الأمر حتى يجتمع الينـــا الناس ، أو قال غوغاء الناس • فيختلفون علينـــا ، ولكنـــا نقطع الأمر ، قال أبو الحسن بيعه المسلمون على مـــا بويع عليه الامام الوارث رحمهمـــا الله ، فقـــام بالحق وعمل به ، وعز الحق فى أيامه ، وظهرت دعوة المسلمين بعمـــان ، وكان فى أيامه جملة من العلماء الذين هم مصابيح ظلمات الجهل ، والهداة الى الله علمـــاء أساطين ، وفقهـــاء ميامين ، وأخيار مخلصين ، سوف يمر عليك ذكرهم ، وبعد مـــا فرت الامامة على كاهل غسان بن عبد الله ، ورضى المسلمون إمامته ، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الحق •

وقد قـــام غسان الامام بحقوق الاسلام ومراشد الأنام للمصـــالح العـــام •

الإمام غسان يخرج الى صحار لتوطيد الأمور هناك

لا يخفى أن الطرف الصحارى فى الباطنة لا يزال منظورا اليه بأعين الاحترام من ناحية ، ومن ناحية أخرى بأعين المطامع لا سيما فى ذلك الأوان ، فان الجانب الشمالى كان كرسى عمان ، ومصب خيراتها ، ومحط ثمراتها ، ومدخل غزاتها ، كما علمت ذلك مما حدث عنه التاريخ جاهلية وإسلاما ، وأن بوارج الهند وفارس بدا منها على بحر عمان فساد ، فكانوا يخرجون غزاة للمارين فى البحر ، وللذين يظفرون بهم فى ساحل عمان ، وكان هارون الرشيد قد هلك بعد ما تولى غسان أمر عمان ، فرأى من الضرورى تأمين البحر لأن طريق المسلمين فى البحر كطريقهم فى البر ، يجب أن يكون آمنا مطمئنا من معرة المفسدين فى الأرض ، فخرج غسان من نزوى قاصدا صحار ، وكان الخروج إذ ذاك على الرواحل وعلى الأقدام ولذلك يستدعى أياما فى الطريق ، وأن السفر من نزوى الى صحار فى ذلك العهد كالسفر الآن الى الحج ، إذ يبقى فى الطريق أياما ، فاذا وصل صحار كأنه وقع فى بئر بالنسبة الى داخلية عمان ، فمتى تصل الأخبار عنه الى عمان الداخلية إلا بعد مدة لا سيما إذا كان المسير على الأقدام ، أو الرواحل العادية ، فاذا كان الأمر مُهماً فعلى الإبل المعدودة لهذا الشأن أو الخيل المهيأة لهذا ، المسومة عند أهل عمان ، قدم الامام غسان صحار لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٠١ إحدى ومائتين •

قال أهل التاريخ : وكان البوارج وهم كفار الهند يقعدون بأطراف عمان يسلبون المارة ، وينهبون القارة ، ويهربون الى ناحية فارس

والعراق فكانوا فيما بلغنا يهاجمون النواحى الشمالية من عمان ، كدبا وجلفار وما حولها من تلك الأطراف ، لعلهم ببعدها عن مركز الشراة العمانيين ، فرأى غسان رحمه الله أن ينظم لهم جندا يصادفهم فى البحر قطعا لفسادهم ، فاتخذ الزوارق ، وهو أول من اتخذها لتأمين البحر بعمان ، وهى ضرب من السفن ، فاتخذ منهما أسطولا لحماية شطوط عمان من القرصان الهنود وهو أول من اتخذها من أئمة عمان ، وأما الغرف فهو نوع من السفن يقرب من الشذاءات كما يسميها أهل البحر أيضا ، أى أن الشذاءات هى السفن الصغيرة المهيأة لغزو القرصان فى البحر ، فغزا الجيش العمانى قراصنة البحر أينما حلوا وينما ظعنوا ، كلما جاءوا الى جانب وجدوا شراة البحر على استعداد تام ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فهربوا وانقطع فسادهم وزال بغيهم وعنادهم •

قال الامام : وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشذاءات والغرف ، أى السفن الصغيرة لأنها أخف سيرا وأسرع جريا فى البحر ، وأيسر مؤونة إذ ذاك فى ذلك العهد ، ثم لما تم ما أراد رجع الامام الى نزوى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من رجب سنة ٢٠٦ ست ومائتين ، فكانت مدة سفرته الى صحار ستة عشر يوما فقط ، كان الصلاح فيها عظيما والانفعال سريعا والحمد لله • وبعد رجوعه رحمه الله ، قتل أبو راشد بن محمد بالأفلاج يوم الخميس لست من ربيع الأول من سنة ٢٠٧ سبع ومائتين ، وقتل صقر بن محمد بن زائدة بن جعفر الجلندانى ، وكان لقتلهما أسباب غيرة على الحق ، ذلك أن صقرا كان مستور الأحوال عند المسلمين ، وهو من ذرية آل الجلندى المتقدم ذكرهم ، ذلك أن صقرا كان قد بايع المسلمين على ابن عمه راشد بن النضر بن سعيد

الجلنداني ، وأعـان صقر المسلمين بالمـال والسلاح ، إذ كان من أعيان أهل عمـان ، وكان زعيما من زعمـاء آل الجلندى ، فلمـا أزال الله ملك راشد بن النضر وانتهى بوقعة المجـازة من الظاهرة وهرب المذكور راغما ، وتولى المسلمون الأمر كمـا قدمنا .

قال الامام : أذل الله الفاسق راشد بن النضر وغير نعمته ، وأظهر الله دعوة المسلمين وكلمتهم ، خرج على المسلمين رجل من أهـل الشرق من بنى هناءة ، وخرج معـه بنو هناءة بغـاة على الحق ، وكان هـذا الخارج هو راشد بن شاذان بن غسان بن سعيد بن شـجاع المحاربى الهنائى ، فألقى بعض الناس الى المسلمين أن أخا صقر بن زائدة عنـد البغـاة ، فاستنكروا ذلك واسترابوه ورأوه كبيرا من صقر ، حيث إنـه معهم بالحـال والمال والسلاح ، وأن أخاه فى جيش الباغى على المسلمين . ولمـا ذكر لصقر ذلك قـال: من يقول ذلك وإن أخى مريض عندى فى الدار ، وكان صقر يومئذ فى سمائل ، قـال : فلما هزم الله البغـاة أى المحاربى ومن معـه ، وظفر المسلمون بهم تحقق أن أخـا صقر كان مع البغاة ، فعند ذلك اتهموا صقرا بالمداهنة لمـا ستر عنهم أمر أخيـه ، وكان الامام يومئذ بنزوى ، وكان الوالى على سمائل يومئذ أبو الوضاح . قال : فرفع أبو الوضاح صقرا الى الامام مع سرية بعثهـا الامام لحمله ، أى صح ذلك الحال مع المسلمين ، وأرسل الامام الى صقر من يحمـله اليه بنزوى ليعاقبة أو ليستطلع حقيقة الرجل ، وخرج أبو الوضاح أى والى سمائل فى صحبة صقر المذكور الى الامام ، ولا يدوى خروجه هـل كان لقصـد الدفاع عن صقر إذ كان يبرئه من السـوء المنسوب اليـه فيعتذر عنه مع الامام ، أو لأمر آخر كان يكتمـه فى نفسه ، وفى أثنـاء

الطريق وافتهم سرية أخرى من الامام الى صقر بن زائدة ، وبعث معهم العلامة الكبير موسى بن على رحمه الله . لئلا يقع بطش فى غير المستحق ، أو لأن صقرا كان من الزعمـاء الذين لهم أهمية ، فيخشى امتنـاعه فيقع بينـه وبين شراة الامام أمر ، وكان موسى بن على الرجل الوحيد فى زمانه شرفا وفضـلا وعلما وعملا ، فالتقت هـذه السرية بصقر ومن معـه فى نجد السحاماة ، وهـو المرتفع أعلى وادى سمائل ووادى حلفين فبينمـا هم فى مسيرهم إذا اعترض الشراة صقرا فقتلوه ، فلم يكن للوالى أبى الوضاح ولا لموسى بن على منعهم من قتله .

قال أبو الحوارى : وبلغنا أن موسى بن على رحمه الله خاف على نفسـه ، فلو قال شـيئا لقتلوه ولم يكن من الامام انكـار ، أى على القاتلين وكانت تلك الأيـام الدولة فى أول شبابها ، وفى صـدر قوتهـا ونشاطها ، وجملة من العلماء يديرون شئونها ويقومون بمهماتها . قال : فيحتمل سكوت الامام رحمه الله تعالى أحد وجهين ، إمـا أن يكون قد صح أن صقرا بايع عليـه واستوجب بذلك القتل فأسر الى بعض الشراة أن يقتله ، ولم يتشهر هـو بقتله كى لا تكون عصبية ، وإمـا أن يكون قد احتمل القاتل معـه أن يكون قد قتله بحق علمه كمـا احتملوا ذلك فى قتل عيسى بن جعفر .

قلت : هـذا الاحتمال الأخير لا وجه له وإلا كان كل واحد يقول أنا قتلت فلانا بحق لى وليس هـذا بشىء ، لكن الاحتمال الأول أقرب الى الصواب ألا ترى الامام أرسل الى صقر سرية تحمله ثم أتبعهـا بأخرى تعززها ، فهـذا يدل على شىء قد صح عند الامام ، وقد سـبق أن أصل طلبهم له أنه قد تحقق أن أخا صقر مع البغاة ، وأن المسلمين لمـا

سألوا صقرا ناضل عن أخيــه بقوله انه مريض معــه فى الدار ، وهم قد تحققوا أنه مع البغاة ، فبهذا رأوا منه ذلك خيــانة للمسلمين استوجب بهــا القتل ، وكانوا أشداء على أهل النفــاق ، ونقول : ليت القوم لم يفعلوا فى صقر هــذا ، وقد أعانهم بالمــال والسلاح ، وايّدهم وقوّى دولتهم ، ولم تقم عليــه بعدُ حجة إلا قوله عن أخيــه ذلك المقــال ، ولعل هناك أشياء لا ندرى حقيقتها وهم المبتلون بهــا ، وحاشاهم أن يقدموا على أمر كهذا إلا على صحة ، فان أمر القتل كبير لا سيما أن الامام لم يقل شيئا ، فهــذا دليل على أنه منــه وإلا ليس للشراة مثل هــذا مع وجود الامام ، بخلاف قضية عيسى بن جعفر ، فان عيسى كان قائد الجيش ، وكل من قتل من المسلمين فقتله معدود عليــه باتفــاق أهل العلم فى قواد الجيوش ، كمــا يشير اليه قوله عليه الصــلاة والسلام لهرقل : وإلا فعليك إثم الأريسيين • قال : وأمــا خوف موسى بن على على نفســه لو أنكر فلم يتحقق ذلك ، وإنمــا هو مجرد ظن من موسى فى الشراة ، ولعــله لو عارضهم وهم مأمورون بقتــله من الامام لرأوه معارضــا للمسلمين ورادا لأمر إمامهم ، ويكون بذلك مؤيدا للباغى الممالىء عــلى المسلمين ، فلا يبعد أن يكون منهم شر كمــا ظنه وهو الفطن اللبيب ، وأمــا هو بحسب الظاهر مجرد ظن وخوف إذ قــام الشراة بشــدة على صقر ، ولمــا رأى المحاربى المذكور قوة المسلمين ضاقت عليــه الأرض بمــا رحبت ، فألقى نفسه الى اليحمد رهط الامام وهم الفجح من أهالى الرستاق ، فقاموا به عند الامام وأخذوا له عهدا من الامام غسان رحمه الله لا يعود لفســاد الأرض ، وكان الامام رحمــه الله قد قبل منهم ذلك ، فلعل السياسة اقتضت تفويض الفجح فيــه بالعفو عمــا صدرت منــه تلك القضايا المعدودة فى التاريخ ، فانه قــام على نزوى فانتهبها وهاجم

دمــا من شرقية الباطنة ، وكان منــه ما كان ممــا ذكره المؤرخون من قتل واليهــا وانتهابه لهــا ، وكان رأس بغى وعمود ضلال .

وذكر ابن رزيق قضية صقر بن زائدة وأن الامام أرسل سرايا وكتب لواليه الذى يحصن سمائل وهــو الوضاح بن عقبــة أن يسلمه للشراة ، ولمــا صلوا هاجمته الشراة فقبضوا عليه ، ومضى الوالى معهم وذكر مــا قدمنا من وصول السرية التى فيهــا موسى بن على شيخ المسلمين وعمدتهم فى الدين ، والأحوال أولى بهــا من كان مبتلى بهــا ، وأمــا المحاربى المذكور فهــو اشتهر بالبغى ، وفعل أشياء ينكرها العقل والنقل ، وتردد ذكره فى التاريخ والله يبتلى المسلمين بالبغــاة المجرمين ، فبعد مــا هاجم نزوى وانتهبها باغيــا وهاجم دمــا باغيا ، وعاث فى أرض الله بغيــا وعدوانا ، فهو أعظم جرما من صقر الذى لم يعد عليه إلا كون أخيــه مع البغــاة ، وأنه كتم على المسلمين أمره ، فبهــذا سيقت اليــه السرايا الواحدة تلو الأخرى حتى قتله الشراة فى شيخ الاسلام موسى ابن على ، والوالى أبى الوضاح قبل أن يصل الى الامام ولو كان من الامام أمرا صادرا شاهرا ظاهرا لكان من حق موسى بن على ألا يقتل فى وجهــه فكيف وهو يقتل فى أيديهم الطريق ، فلماذا جاء إذا موسى بن على رحمــه الله ، وهو علامة المسلمين ، ويترك المحاربى ويسكت عمــا فعله وهو أمــر عظيم ، وصقر لم يفعل بعد شيئا ، بل فعل غقد أعان المسلمين بالمال والسلاح ، فانظروا الفرق بين القضيتين ، نعم الذى يجب أن نقول عليــه أن الامام رأى قتل صقر فقتله ورأى العفو عن المحاربى فعفــا عنــه وله أن يعفو

عن الباغى فى أحوال عديدة لا سيما إذا رأى المصلحة فى العفو عنه ولا يزيده العفو عنه إلا وبالا مع الله إن لم يتدارك أمره بالتوب الى الله والرجوع اليه عز وجل ، وحسن الظن بأئمة المسلمين وأهل الصلاح فى الدين واجب ، وكلامنا على الفرض والتقدير والاحتمال الواجب على المسلم نحو أخيه .

الإشــادة بنزوى أيام غســان

لا يخفى أنه لمــا توالت الغزوات على مركز الزعامة العمــانية فى صحار ، وتوالى الغزاة الأشرار من العرب والفرس وغيرهم على الإمــارة العمانية ، ولم تزل الجيوش تســاق من جهات شتى وكان مركز الامامة لا يزال فى قلق منــذ قتل الجلندى وهلم جرا الى عهــد غســان الامام ومهاجمة قراصنة الهنــد البوارج وغيرهم ، ومــا كان قبل ذلك أيضــا رأى المسلمون تحويل عاصمة الامامة من صحار الى داخلية عمــان فى مكــان يكون صالحا لاستقرار كرسى الامامة ، وأن كونه فى صحار لا يزال مهددا مرميــا من أعداء عمــان وأعداء مذهبهم بأسوأ العدوان ، رأوا نزوى أمنع لهم وأصون لزعامتهم ، وأقر لسلطانهم فانهــا فى قلب الداخلية والى الشرق منها أقرب من الغرب ، وأكثر الغزاة من الجانب الشمالى الغربى دائمــا فاتفق نظرهم الى هــذا ورأوهــا أصلح بلا جدال ، فأمروا أن يكون الامام بهــا ولا يخرج منهــا إلا لمهم يبدو أو لداع يســتدعى الخروج ، وأن الغــازى اذا جاء وبلغ خبره الامام أمكن أن يجهز له من يصــده ويرده ويسد الثغور فى وجهه ، ويلتقيه بمن شــاء من رجال عمان البواسل قبل أن ينال غرضا من الامام ، فان الامام فئة قومه وإليه يلجأ الخائف وإنه لنظر سديد ورأى حميد ، اعتمدوا له واتبعــوا مقتضاه ، وإذ ذاك نظروا فى الجمعة فرأوها باقية لا تزال ثابتــة الدعائم فى صحار ، يقــوم بهــا نائب الامام فيهــا من قاض ووال ونحوهما ، وأن تقام فى نزوى مع وجود الامام بهــا لأنها شرعت فى بيضة المسلمين ، وأن الامام هو بيضتهم ومطمح نظر العدو ، اليه دون غيره .

وخرجت فتاويهم فيهــا على هــذا فلم تزل الجمعة باقية فى صحار منــذ ذلك العهد ، كان بهــا امام أو لم يكن ، إمــا بنزوى ففى أيــام الأئمة ذلك المعنى الذى أشرنا اليه ، وها نحن الآن نطالب السلطان بنقلهــا الى مسقط لكونهــا الآن عاصمة عمــان ، ومنتدح أهل القطر ، وبهــا عرش السلطان حين اخترتت صحار ، وزالت عنهــا الصفات الحميدة وتغير الوضع فى هــذه العصور الأخيرة ، فان المذهب منهــا هم أن يتقلص ظله ، وانتقل الأمر السلطانى الى مسقط ، وانحل عز صحار وانهار صرحها العالى ، وأصبحت اسما بلا مسمى ، ولله فى خلقه أحوال ولكل شيء غاية ينتهى اليهــا ، وحق على الله ألا يرفع شيئا من أمر هــذه الدنيا إلا وضعه ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، ولقد قال الحكيم العربى :

وإذا نظرت الى البقاع رأيتها
تشقى كمــا تشــقى الرجال وتسعد

ونزوى صارت كرسى الامامة فى عمان منــذ العهد ، قــال الامام رحمه الله : وكان مقــام الامام بنزوى فى بيت الامامة فى العقر . قلت : هو الذى نسميه الآن نحن حصنا ، وهــذا يدل أنهم اتخذوا للامامة فى نزوى مركزا خاصا للزعامــة ، وقد لازم نزوى الامام الوارث بن كعب رحمــه الله ، ولم تكن قبله لذلك ، بل استمر بهــا الحال بعده ، وفى عهد الامام غسان سميت تخت ملك العرب ، أى فى عمــان خاصة ، فان تخت ملك العرب مطلقــا كان مكة ثم انتقل بمحمد عليه الصــلاة والسلام الى المدينة ، ثم الى الشــام أيام معاوية ، ثم الى العراق أيام بنى العبــاس وهكذا لكل جيل خصائص ، قال الامام : وفى زمانه أى زمان الامام غسان رحمــه الله سميت نزوى بيضة الاسلام :

فافرق بهـا البيد حتى يستبن لهـا
فرق على بيضـة الاسلام عنوان

انزل فديتك عنهـا إن وجهتهـا
تحت الأئمة مـذ كانت ومـذ كانوا

قال الامام : قال فى بعض السير ولها مدائح فى كتاب سير العرب ، وفى كتاب سير العجم تركت خوف الاطالة ، قلت ، ليتها لم تترك حتى نعلم عنهـا شيئا يحسن السكوت عليـه ، وليتنا نعلم الكتابين المشـار إليهما حتى نطلبهما ، وحكاية الامام بذلك لا تكفينا ولا تشفينا ، والخلاصة معنا أن نزوى عرش الامامة فى عمان ، ولن يتبدل عنهـا العمانيون عاصمة لإمامتهم مهمـا كانت الحـال فى عمـان ، فقد استوطنها الأئمة والعلماء والقضاء ، وكم حوت تربتها من امام وفقيه وزاهد وعابد :

فـان تيامنت الحوراء شاخصـة
لهـا مع السحب أكتاف وأحضان

فحـط رحلك عنهـا إنهـا بلغت
نزوى وطافت بهـا للمجد أركـان

هنـاك انزل وقبـل تربـة نبتت
بهـا الخـلافة والإيمـان إيمـان

انزل على عرصـات كلهـا قدس
للحـق فيهـن أزهـار وأفنـان

انزل على عدنات النور حيث حوت
أئمـة الدين قيمـان وظهـران

حيث الملائكة احتلت مشاهدهم
لهـا على الحل والتعريج إدمـان

أرض مقدسة قـد بركت وزكت
تنصب فيهـا من الأنوار معنـان

ميمونة بركـات اللـه تنفحهـا
واليمن يثمره عـلم وإيمـان

رست بهـا هضبة الاسلام من حقب
وإن قضت باستتار العدل أحيـان

قديمة الذكر عـاذ الدين عائذهـا
من يوم أصـبح توحيـد وقرآن

قامت بهـا قبـة الاسلام شامخة
حتى تواضـع بهـرام وكيوان

ولم تزل عرضـة للعـدل عاصـمة
للاسـتقامة فيهـا الدهر سـلطان

كمـا أشهر الله فيها من حسام هدى
كأنهـا لسـيوف الله أجفـان

كنـانة لســهام الله مـا فرغت
مـذ كان للجور شيطان وسـلطان

بحجـــة الله قامت فى الشقاق لهـــا
بدين ذى الثفنـــات الحبر أيقـــان

لسرهـــا واختصاص الله قائمهـــا
بالنصر والفتح برهـــان فبرهـــان

تعـــاقبت خلفـــاء الله منصبهـــا
منـــذ الجلندى وختم الكل عزان

وللإمام الحضرمى رحمه الله :

وكـــم من إمـــام حـــل نزوى
وأعوانه فى الصين أو فى خراسان

يالنزوى وهـــل لنـــا بعد نزوى
وعليهـــا تعـــاقب الخلفـــاء

والحقيقة مـــا زال الأئمة بعمان يستوطنون نزوى الى هـــذا العهد الذى نحن فيـــه وقد لازمهـــا الامام الخليلى رحمه الله تعـــالى آخر عمره ، وفضل الموت فيهـــا ليجاور إخوانه الكرام حتى وفقه الله لذلك المرام ، فمـــات بهـــا ودفن بجوار الامامين ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف رضى الله عنهم .

الإمام غسان يهتم بأحوال الأمة باطنا وظاهرا

عظمت النعمـــة على أهل عمان ، واطمأن الناس برا وبحرا وكثرت الخيرات ، وعظمت البركات وبورك لهم فى الأثمـــار ، وربحت التجـــار وانبسطت الفضائل من الله عز وجل ، فكان الغيث مدرارا ، والعدل يورث الأمة عزا وشرفا ، ويعلى منـــار الدين لأهل الوفاء ، فلم الأمطار فياضة على عمـــان ، بحيث ترى الأودية جارية والصحارى خضرا والجبال كذلك ، وليس على الأمة مهم يزعجهم أو كارث يهمهم .

قال الامام : وفى زمانه أخصبت عمان خصبا كثيرا وصـــارت خير دار وبقى الخصب من بعده عهدا طويلا ، حتى قيل إن فلج ضوت بنزوى بقى زمانا تسقى أمواله من جلبة خراسين ، أى إن نبع المـــاء من خراسين بقى زمانا كافيا لسقى أموال ضوت من كثرة رش المـــاء ، حتى إن الفلج ذهب ولم يعرف له أثر بأموال دارس ، أى إن الفلج هو فى الأصل منبعـــه من أموال دارس ، ولمـــا استمر الخصب أربعين سنة لم يعد يعرف أصـــله أين هو فضـــاع صوت القديم بذلك ، وهكذا بقية أفلاج عمـــان وكان الامام غسان رحمه الله يخرج يزور قبر الوارث رحمه الله ، ويمشى على الغيل فى الوادى يفعل ذلك كل جمعة ، فيبتى هناك فيغتسل فى ذلك الغيل ، ثم يعود الى الجامع لأداء فريضة الجمعة ، ثم يرجع الى الحصن واتخـــذ ذلك عادة ، وكان يتفقد الأحوال ويراعى بأحاسيسه نعم الله تعـــالى ، فيرى المـــاء صافيا كأنمـــا سال ذلك اليوم ، حتى رأى فى بعض الأيام بالماء طحلبا فاقشعر جلده وتأوه ، وقال فى نفســـه : لعل حدثا وقع فتأثر

منـه هـذا الماء ، فراجع نفسـه فلم يجد لديهـا شيئا ، ونظر الى الأمة وإذا بهـا فى أوفر النعم وأكمل الأحوال ، ولم يزل يقول فى نفسه إن هذا أثر عن تغيير ، مع أن الطحلب عادة فى المياه إذا طال بهـا العهد ، فأحضر أهل الأموال ، وروى لهم بحرب الهنـد لأن البوارج الذين قاومهم الامام فى البحر من أهل الهند وقال لهم : أريد أحرب الهند وبيت المـال لا يكفى ، أى للمصاريف التى تستدعيها الحرب ، وأريد أن أجعل على التجار قرضا يكون أداؤه من بيت المـال ، قال أبو إسحاق : وهـذا القرض يعبرون عنه الأن أى فى الممالك الاسلامية بقرض الدفاع ، القرض الذى تقرضه الأمة لدولتهـا لأجل الحرب ، وهـذا أفتى به شيخ الاسلام سعيد بن خلفان للامام عزان بن قيس رحمهما الله •

قـال : فقال الامام للمستشارين فى ذلك وهم أصحاب الأموال : أشاوركم فى ذلك فماذا ترون ؟ فقال أصحاب الأموال : أيهـا الامام التجار يسعون بالفائدة أو هم يطلبون الفـائدة أى الأرباح ، وان قلت دراهمهم ضاعت المعـاملة بيننا وبينهم ، ونحن أرباب الأموال والقرضة علينـا بما تريد ، فقال : طيب ! وأسرهـا فى نفسـه وقال لا غيرها هنـا ، ثم أحضر التجار وقـال لهم : أريد أحرب الهنـد ، وخزانة بيت المـال لا تكفى لمقاومة الحرب ، وأناظركم أريد أن أجعل قرضة على بيت المـال لتقويم هـذه الحرب من أرباب الأموال ، فمـا ترون : فقال التجار : أيهـا الامام أصحاب الأموال أهل حرث ، وأكثر الحروث غالبا لا تكفى مغرم مـا عليها ، والمراد هنا بالأموال النخل والزراعات على اختلاف أنواعها ، فى عرف أهل عمان ، قال : وليس فى أيديهم شىء ممـا يكفى لذلك ، ولكن نحن عندنا مـا يريد الامام • فقال الامام فى نفسـه : هؤلاء كالأولين

لا غير عندهم ، ثم أحضر الوزراء وأرباب الدولة المسئولين فيهـا ، فقـال لهم : أريد أن أجعل قرضة على أرباب الأموال والتجـار فى بيت مـال المسلمين لحرب الهنـد ، فمـا ترون وهم قد علموا حركته السابقة على بوارج الهنـد ، ومـا كان مراده من ذلك كله إلا استكشاف أحوال الأمة ، وهل فيهـا من الأحداث شىء تكون عاقبته سيئة على المجتمع ، فقـال له هـذا الفريق الثالث : أيهـا الامام هـذا شىء وقع فى نفوسنا من قبل ، فقال فى نفسه رحمه الله العلة ها هنا ، وهى تكون غالبا فى أولياء الأمور ولذلك تكون أيضا سريعة التأثير فى الأمة ، لأن بيدهم نفوذا فى الهيئـة الاجتماعيـة •

قـال : فلما استقر عند الامام محل الغير قام فاستبدل بهم غيرهم ، أى عزل أولئك العمال الذين فى الدولة أعمال ، وجاء بآخرين غيرهم ، ثم خرج فى الجمعة الآتية وهو يريد زيارة الوارث ، وفى النفس التفات الى مـا وقع له فنظر فى الغيل فلم ير شيئا ممـا رآه سابقا ، فشكر الله على مـا وفق له من النظر فى مصالح الأمة التى هو مسئول عنهـا ، فأكرم بغسان وأكرم بأعماله فى عمان •

ولا شك أن معاصى بنى آدم لهـا أثر أثير فى جلب كل شر ورفع كل خير (ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل ومـا أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم من تحت أرجلهم) لآية وفى الحديث : إن معاصى بنى آدم لتدرك الضب فى جحره والطير فى وكره ، وكم لهـذا من أدلة عقلية ونقلية عرفهـا المسلمون ، وعوائد الله فى خلقه معروفة ،ورحمته واسعة •

وهكذا ينبغى الذى يتولى أمر الأمة فلا يغفل عن مصالحها الحسية والمعنوية ، ولو سكت غسان عن الحال التى رآهـا وبقى يحوقل فى نفسه ،

وقال : إن بدلت هؤلاء لا أجد غيرهم أو ربمـا كانوا مثلهم ، وحدث نفسه بمثل هـذه الأحاديث لجف المـاء ، وجف المرعى ومنعت السـماء قطرها والأرض نباتهـا وهلكت الأمـة :

أيغفـل عن سوائمـة مـليك
يسـمى نفسـه الراعى الأمينـا

وعلى هـذا الأسلوب ينبغى أن يكون أوليـاء الأمور ، وإلا كان موقفهم عند الله مخطرا يوم يسألهم الله عمن استرعاهم إياهم •

نسـألَ الله الهداية والتوفيق والعون على تقواه انه كريم رحيم ، فكر أيهـا العاقل فى أعمال غسان تجدها مثالا للنزاهة وقانونا للرعـاية حتى رأى المـاء زائدا عن عادته من غير مطر ، فضلا عن الطحلب الذى كان رآه الامام فى ذلك الحـال ، فلما انغسلت تلك السيئة التى انطوى عليها أولئك المشبوهين فى الأمة ، انغسل المـاء فى الوادى وزاد عن عادته ، ولم نعرف مثل هـذه الأحوال لغير غسان رحمه الله • مـا أيقظه فى أمته ومـا أكرمه على الله الذى كشف هـذه الأحوال له بحسن نيته، وأرشده للجهة التى يلتمس منهـا العلة التى خافها على المجتمع العام ، وكمـا تكون يولى عليكم ، والأمة على دين ملوكهـا ، فأعزز بأمة هؤلاء ملوكها وأهل الحل والعقد فيهـا رحمهم الله •

أعمال الإمام غسان فى عمان

اعلم أن للإمام غسان أعمالا اختص بها وجعلها من بعده حجة يستند عليها ، وقانونا يعتمد عليه ، ولا ريب فان أعمال الأئمة عمدة الأمة .

وغسان رحمه الله كان الحجر الثالث الذى قام عليه بناء المسلمين لامامتهم بعمان ، بعد افتراق الأمم بجور الملوك والسلاطين والأمراء المجرمين الذين لا يبالون بما يأتون وما يذرون .

كان الامام غسان أول امام قطع يد سارق بعمان تنفيذا لحدود الله وقياما بواجباته عز وعلا ، فانه لما وصل صحار فى سفرته تلك جىء اليه بسارق سرق من حرز ، فقطع الامام يده فكانت لذلك هيبة عارمة فى قلوب أهل السفه المفسدين فى الأرض ، وكان بقية من آل الجلندى فى نزوى لهم بها محلة كانت عقودا مبنية عليها الغرف وتمر الطرق تحت تلك العقود المشار إليها ، وهى مظلمة بعدم النوافذ فيها ، وكان بعض السفهاء يختفون فى تلك العقود المظلمة للنساء ، فاذا مرت النساء خرجوا لهن ولعلهن المسترابات بحسب الظاهر ، فشاع هذا الحال حتى بلغ الامام فأمر بهدم تلك العقود ، أو يسرج فيها أهلها سرجا طيلة الليل ، أو يخرجوا طريقا فى أموالهم للمارة بالليل قطعا لشأفة الفساد ، وألزم بنى الجلندى ذلك دفعا لبغيهم وفسادهم ، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، فأخرج أهل الأموال طريقا فى أموالهم بدل تلك الطريق المشار اليها ، وزال المجذور . هكذا قال أبو الحوارى ، وقد أخذنا ذلك عنه بالمعنى ، وقد ذكرها الامام السالمى فى تحفة الأعيان ،

قال : كانت لبنى الجلندى بسمد نزوى محلة ولعـل موضعها المسمى الآن المقودية ، قال أبو الحوارى : وكانت هـذه الدار عقودا على الطريق ، والمعنى كانت الطريق مسقفة عليهـا غرف ويسمونها عقودا فى عرف أهل البناء عرفا شائعـا الى الآن ، وربمـا سموا تلك الطريق عـلى هـذه الصفة صباحا والصباح هو دهليز الدار يكون عليه البناء ، ويجمعونه على صبحات أى دهاليز قال على الطريق الجائز ، أى الشارع العام للمحلة المؤدى اليهـا والموصل منهـا الى غيرها ، وغالبا يكون لصيـانة المحلات أيام المحافات • قال : وأحسب أنه كان فوق العقود الغرف وكانت العقود يقعد فيهـا أهل الريبة • قلت : لم تكن مخصوصة بذلك بل تكون سببا للاختفاء فيهـا ، ويجد المفسـد فيهـا سبيلا لغرضه ، إذا لابد للنسـاء من الخروج لحوائجهن لا سيما أيام الخوف ، فان النسـاء تخرج بالليل لتنظر المفسد من المصلح ، والأعداء الذين يترصدون فى هـذا الأمكنة ، وتكون غالبـا مغلقة بأبواب مانعة ، وربمـا كان على الأبواب بوابون • قال : فبلغنا أن امرأة خرجت بالليل فى تلك العقود وهى مظلمة ، فاعترض لهـا رجل من الفسـاق فبلغ ذلك الامام فأرسل الى أصحاب الدار وأمرهم أن يهدموا العقود ، وحكم عليهم بذلك أو يسرجوا فيهـا بالليل حى يرى من يعقد فيهـا من أهل الريبة ، فأخرج أهـل الدار طريقا للنـاس فى أموالهم ، وكان الناس يمرون فى تلك الطريق الى أن خربت تلك الدار فرجع أصحاب الدار الى طريقهم فأدخلوهـا فى أموالهم وعمروها ، ورجع الناس الى طريقهم الأول فعد الناس هـذه من الامام غسـان خلاف المعتـاد ، حيث كلفهم أمر شاقا ، وكان الواجب تأديب المعتدى وعقوبة المقترف للإثم إلا أن الامام رأى أن هذه المفسدة لا تزول إلا بذلك •

قال الامام :ولهـذه الطريق رسوم وآثار سهيلى المسجد الجامع من

سمد نزوى . قال أبو الحوارى : ولو أهل الدار لم يفعلوا ذلك ولم يسرجوا فى المقود على مـا أمرهم الامام ، فلعله كان يهدم الدار . قال : وهو وجه من الحق والعدل ان شاء الله تعالى . قال : فهـذا غسان قد أمـر بهدم الدار — لهـذه المفسدة فكيف ولو كان فيهـا احد من البغاة لكان أعظم ذنبـا وأشد عقوبة .

ومنها مـا صار فى فلج الخطم من منح ، وذلك أن السّيل الذى غرق فيـه الامام المرضى الوارث بن كعب رحمه الله ، أتى على هـذا الفلج فاجتاحه من أصله ولم يعرف له أثر بعد انقطاع السـيل ، اذا كان جائحا عظيما غير تخوم الأرض ، وسحب المبـانى والنخل والشـجر إذ كان تيـارا عظيما ولم يجد أهل الفلج سبيلا لإخراج فلجهم إلا فى أموال أهـل نزوى ، أى إن أهل نزوى كانت لهـم هنـاك أموال أى حدائق وبساتين بالقرب من مجرى الفلج ، فمر الامام القاسم بن الأشعث ، وهو أحد زعماء فلج الخطم أن يستر نفسـه ، أى يختفى فى مكـان قرب مجلس الامام رحمه الله ، ثم أرسل الامام رحمـه الله الى القاضى الوحيد فى نزوى وهو العلامة المدعو سليمان بن عثمان ، فلمـا أتى اليـه قال له يا أبا عثمان مـا تقول فى فلج القوم مثل فلج نزوى فى أرض سمد ، وهى لبنى أبى المعمر ، فأتى عليـه السيل فاجتاحه فلم يقدروا إخراجه إلا فى أموال النـاس ، فهل لهم ذلك ؟ فقـال سليمان : نعم لهم ذلك ، فقال له الامام : لهم ذلك الثمن أم بغير الثمن ؟ فقـال سليمان لهم ذلك بالثمن . فقـال الامام الثمن يكون بمـا قال أرباب الأموال أم بقيمـة العدول ؟ فقل له سليمان : بل بقيمة العدول . قال فلمـا عرف الامام غسان رأى سليمان بن عثمان فى ذلك تمسك بـه فلمـا انصرف سليمان

أرسل الامام الى القاسم بن الأشعث فلمـا أتى قال الامام : اذهب فادع خصماءك فانطلق القاسم بن الأشعث ، فأتى بهم الى الامام وهم بنو زياد ، فلمـا حضروا معـه طلب القاسم بن الأشعث مجرى لفلجهم بالثمن ، فقال أهل نزوى ليس علينـا ذلك ، فقال لهم الامام غسان هـذا رأى سليمان ابن عثمان القاضى ، فانطلق أهل نزوى الى القاضى سليمان المذكور وأخبروه بمـا قال لهم الامام ، وقالوا له : إنه قال هـذا رأى سليمان بن عثمان ، وكان القاضى من أهل نزوى وله فيهم مقـام محترم • فقال لهم سليمان غرتى الامام أو غرتى غسان فانطلق سليمان فأتى الامام فقال : لقد رجعت عن رأى ذلك • فقال له الامام : فانى لا أقيلك وتمسك بذلك الرأى •

وقال الامام لأهل نزوى اذهبوا فأخرجوا لهم مجرى لفلجهم بالثمن ، فأبوا عن ذلك وامتنعوا فقـال الامام لأهـل منح : اذهبوا فأخرجوا فلجكم فان طلبوا الحق كان لهم ذلك ورأى المسلمين أو كمـا قال • فانطلق أهل منح فأخرجوا فلجـاً أى ساقية لفلجهم فى أرض أهل نزوى برأى الامام غسان ، ولم تكن ذلك برأى أهل نزوى ، وهم كارهون لذلك ، وهـو فلج الخطم • قال الامام : ذكر ذلك أبو الحوارى • قال : والفلج قائم بعينه فى أرض أهل نزوى فى يومه هـذا ، قال ولعله لا يزال الى يوم القيامة قال ولم يجبر أهل نزوى حتى يأخذوا حقوقهم من أهل منح أو يبرءوا منهـا •

هـذا نص القضية ولم يبحثا فيها ليفيدوا المطلع ، وذلك أن الفلج لمـا كان فى الأصـل مستقرا فى تلك الأرض مجراه ، واختفى بذلك الحادث الذى هاجمه ولم يعرف أصـل المجرى كان لهـم ذلك ، وعليهم قيمـة الأرض التى يجرى فيهـا على رأى القاضى سليمان ، ووجه رأيه هـذا

لأن الأصل معروف فى تلك الأرض وبسبب الأحوال التى طرأت عليه حكم بالتضمين ، لأنه يقع الآن فى أرض مملوكة لأناس معروفين ، وأما رجوع القاضى فلأنه رأى وفى الرأى مجال للرجوع ، لأنه لم يكن نصا لم يجر الرجوع عنه ، فان للرجوع عن المنصوص عليه رجوع عن الحق ، والرجوع عن الحق لا يصلح بالإجماع .

ووجه عدم قبول الامام لرجوع القاضى عن رأيه المشار اليه ذلك فان الامام يرى ذلك الرأى فى القضية ، وأحب أن يكون من غيره وأنه وجه من الوجوه الجائزة التى لابد القول بها والقبول لها ، وإلا ضاعت مصلحة عامة لمصلحة خاصة ، وذلك خلاف المشروع ، وقول القاضى غرنى غسان معناه ، أراد ذلك منى أنا لالزام أهل نزوى رأى أنا دون رأيه ، فالامام تستر بفتوى سليمان بن عثمان . وقول الامام لأهل منح : اذهبوا فأخرجوا فلجكم فى أرض أهل نزوى أى لامناص من ذلك ، وقوله لم يجبر أهل نزوى على أخذ حقهم فانه صح فى الأثر من عرض له حقه ، فلم يقبله فلا حق له وهو وجه ، فانه من رفض حقه اليوم فكيف يعود يطلبه غدا بعد ما أضاعه بنفسه فمن يلوم فيه والحال هذا والله أعلم .

ثم ذكر الامام القضية أيضا فى شرح شمس الأصول فى خصوص باب الاجتهاد فى الجزء الثانى من طلعة الشمس صحيفة ٢٩٠ مائتين وتسعين ، وجعل ذلك من باب الاجتهاد وأن المجتهد إذا اجتهد فى حادثة وحكم فيها باجتهاده فحكمه فيها ماض لا يمكن نقضه ويثبت حكما شرعيا والعلم عند الله عز وجل .

وكذلك حبس الأمام غسان بن عبد الله صقر بن محمد بن زائدة

بتهمة اتهمه بهـا هاشم بن الجلندى ، وذلك أن هاشم بن الجلندى أصيب برمية جرحته ليلا فلم يعرف الرامى ، ولكنـه اتهم ابن عمـه صقر بن زائدة ، وكان صقر المذكور إذ ذاك فى سـمائل وكان منزله بهـا وكان هاشم بن الجلندى مع الامام غسان بدما ، فاتهم هاشم بذلك صقر بن محمد أنه أمر به من رماه ، فأمر غسان بحبس صقر فى سمائل ، فأنكر عليـه القاضى سليمان بن عثمان ذلك لأنه لم يدع أنه رمـاه ، بل ادعى أنه أمر من رماه فرأى الامام حبسه بهـذه الدعوى ، ووجهها تتبع عروق الفسـاد ، أنه لا يكرم صقرا من أن يأمر بذلك ، واذا كان كذلك فالأمر بالفسـاد فى الأرض مفسـد تحل عقوبته ، وأمـا سائر العلماء يقولون لا تسمع هـذه الدعوى على المدعى عليـه لأنها لم تنص على نفس الأمر منـه ، فجعلوها من جملة أحكام الامام غسان فى عمان ، واجتهاده ظاهر رحمـه الله ، وأنه لغواص على الحقائق ، ولقد وقعت مثلهـا فى زماننا هـذا وهم الامام الخليلى رحمـه الله أن يقوم مقـام غسان ، لـكن لم يظهر الادعاء من أهل الحق ، وانمـا ظهر من بعض الناس الذين جعلهم الامام شركاءه فى الرأى ، ولكل أيام سياسة والحمد لله الذى عافانا ممـا ابتلى به كثيرا من خلقه ، وصقر بن محمد بن زائدة ظاهر حاله مستور ، فحبسه الامام أولا بتهمـة جراح هاشم ابن الجلندى ، وقتله بتهمـة أخيه أنه مع البغـاة من بنى هناة ، وأنه كتم على المسلمين أمر أخيـه والله أعلم .

قال الامام رحمه الله : أنكر عليه سليمان بن عثمان وقال : ليس له حبسـه لأنه لم يتهمـه أنه جرحه ، وأنمـا اتهمه أنه أمر من جرحه . قال : فانمـا عليه يمين ولا حبس عليـه . قلت : حيث تسوغ عليـه

اليمين يسوغ الحبس ، لأن موجب اليمين هنـا التهمة ، واذا أوجبت اليمين أوجبت الحبس ، قال فلم يقبل غسـان ذلك حتى غضب سليمان وهجر الامام • قال بعضهم : لا أدرى كيف غضب على الامام وقد فعل ؟ قلت : لا أدرى أنا أيضا قوله ، وقد فعل من هو الذى فعل وماذا فعل إن كان يعنى الامام فعل الحبس فذلك هو الذى أغضب القاضى حيث انـه لا يرى الحبس على صقر ، وان كان يعنى القاضى قد فعل فلم يبين مـا فعل هـذا القاضى ، ولعـله يعنى لـما قال باليمين فتح للامـام باب الحبس ، فلم يغضب على الامام بذلك ، قـال : ولعله شاهد مـا لم يشاهده ، وهـذا أيضا كلام مجمل كان ينبغى توضيحه ليكون مفهوما ، فان مـا ليس مفهوما لا يكون حجة عند المسلمين ، قال : والامام أحق بتحسين الظن ، أى فى أمور المسلمين ، قال الامام السالمى رحمـه الله : قلت ظهر وجه غضبه أو قال بسبب غضـبه وهجره من قوله انه ليس له حبس ، وانمـا عليه يمين • قال فهـذا سليمان لا يرى على صقر حبسا بذلك الدعوى وحبسه الامام رحمـه الله ، وسليمان لا يرى له ذلك فى نظره واجتهاده ، وكان قد أحب له السلامة منـه والتعفف عنه والمؤمن يحب لأخيه مـا يحبه لنفسه ، ولم يبحث الامام السالمى القضـية بشىء إلا بهذا وعندى تحقيقها هو ذلك الذى قدمته •

ومن أعمال الامام غسان أنه كان فى أيامه بصحار قوم من الشيعة ولعلهم بقية ممن خلفتهم الحرب بصحار ، وكان فيهم ناس معروفون ، ومنهم رجل اسمه بقية ، كان داعية الشيعة وداعيا الى التشيع ، وكان الاباضية يحترمون أهل لا إلـه إلا الله ، مهمـا كانوا مـا لهم يفارقوا أمرا ظاهرا ممـا ينكره الشرع ، طلب الامام بقية المذكور . وأظن كان

الطلب إذ كان الامام بصحار ، فجيء به اليــه فأمره بالخروج من صحار أصلا : لأنه يفسد الناس بلسانه ، وربمـا أضاف شرا الى شر ، فالأولى خروجه من بلاد المسلمين ، وأعطـاه أجلا أربعة أشهر ليقضى مـا عليه ويأخذ مالــه •

قال أبو الوضاح : إنه مات بصحار قبل تمـام المدة التى قررهـا له الامام • قال أبو محمد : كان بقية يقـال انه كاد يكون فتنـة • قلت : بل أشد لو بقى ، قال : وكان يظهر الاعتزال ويرضى الزندقة • قلت : حينئذ ليس هو على مذهب خاص فحينـا هو شيعى ، وآنا هو معتزلى ووقتـا هو زنديق ، بل هو دائما زنديق ، نعوذ بالله من سوابق الشقا • قال زياد ابن مثوبة : كان بصحار شيعة كان بقية أصغرهم • قال : وكانوا يشددون عليهم ، قلت : لعـل التشديد حين يطلقون ألسنتهم بسبب الشيخين ، فان ذلك لا يوافق عليـه أحد من أهل المذاهب إلا الشيعة يسبون أبا بكر وعمر سبا شنيعا ويخرجونهما من الاسلام بغير برهان من الله ولا دليل لهم على ذلك إلا هوى أنفسهم ، وان كان لهم دليل فليأتوا به إلينـا فنريهم الحق فيه من الباطل ان كانوا يفقهون ، وهـذه كتب علمائهم تعلن سبهم جهارا سباً يقولونه فى اليهود النصـارى : والله سائلهم عنـه ، ومن أعمـال الامام غسان رحمه الله استقضاؤه الأعمى ، وكان أكثر المسلمين لا يرون قضـاء الأعمى ، لأن غالب أحوال القضاء تتعلق بالنظر ، ولا يشذ عن النظر إلا القليل ، ولذلك لا يرون القضاء للأعمى ، وناهيك إذا كان لا يصلح لتصريف أملاكه أو لقضـاء ديونه واقتضاء حقوقه ، فكيف يصلح أن يكون قاضيا واستقضى غسان الامام مسبح بن عبد الله ، وكان أعمى فكان يقضى فى نزوى بين الناس أيام الامام غسان ، والقاضى بسـمع

الشهود ويقضى على الخصمين ، وهو لا يرى أحدا منهم ، فجعل المسبح قاضيا على هذا الحال من جملة أعمال هذا السيد الهمام إمام المسلمين •

قال الامام : وبعض المسلمين لا يرى القضاء للأعمى • قلت : لقد أشرت لك الى بعض العلل التى تتعلق بالقضاء ويتأخر بها الأعمى عن مباشرة القضاء وهو الأولى والأسلم ما لم تدع اليه الضرورة ، ولعل الامام يرى المسبح هو البصير وغيره الأعمى • قال الامام السالمى رحمه الله :

وأنا البصير وإن رأيتم أننى أعمى أدب

وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن أم مكتوم على المدينة عاصمة المسلمين وهو أعمى ، واستقضى الامام الخليلى رحمه الله شيخنا ابن عبيد فى سمائل وهو أعمى ، واستقضى الشيخ العالم عبد الله بن عامر العزرى فى نزوى ، والشيخ سالم بن حمد البراشدى فى سناو والله أعلم •

ومن أعمال الامام غسان فى عمان أن عبدا أخذ من عمان وخرج به أخذوه الى نواحى فارس ، فبذل الامام على ارتجاعه من بيت مال المسلمين أموالا ولم يروا عليه نقدا فى ذلك ، مع أن العبد مال وهل ينجى المال بالمال ، وعلى القول به هل ينجى بقيمته أو أكثر ، ولكن الامام رحمه الله يرى أن تنجيه نفس مسلمة واجب بما عز وهان ذلك أن بيت المال جعل لمصالح المسلمين ، وهذا من أكبر المصالح ، فان فيه

تنجية نفس مسلمة من إهانتهـا على الباطل مع أهل البغى والفساد ، وفيه صيانة الحوزة من أيدى العابثين ، وفيه تسكين النفوس الضعيفة من روعهـا ومـا تزهق به وعليه فلا عيب على الامام اذا بذل المـال الوافر على رد عبد أخذ اللصوص أو البغاة ونحوهم من المتمردين ، وألا ينبغى إهمال الأمة للعـادى عليهـا وإلا كان فى ذلك قصـود وتقصـير من الامـام •

ومن أعمال الامام غسان فى عمان أن الباطنة كما هى معروفة تقوم بالزجر على البقر والحمير والإبل ، لكن يشـق ذلك وقت النهـار للحر والعوارض التى تعرض ، فكـانوا يزجرون وقت الليل ، ولا مقـال فى الأحرار الذين يملكون أمرهم ، بل فى المماليك الذين يستخدمهم كثير من أهل عمـان وقت الليل وساداتهم نائمون على فرشهم وقت راحتهم ، فلمـا علم ذلك امام المسلمين رحمـه الله اشمأز منـه واستنكره وناقش فيـه حتى رأى أنهم إذا استخدموهم بالليل أراحوهم بالنهـار فوق الوقت الذى استخدموهم فيـه ، واقتنع بذلك إذ رأى أن الأمر لا يمكن فيـه إلا ذلك ، ولم يزل يردد رحمـه الله فى تأوه وتأفف قائلا : اللهم إنا عدلنا إلا فى عبيد الباطنة ، فانه يرى ذلك مخالفا للعدل الواجب وهو إعطاء الحقوق لأهلها ، إلا أن حقوق العبيد فى الباطنة لم يعطهم إياها كمـا ينبغى ، لأنه ليس للسيد أن يستخدم عبيده وقت الليل مـا لم تدع لذلك ضرورة ، على هـذا تخرج فتاوى المسلمين والله أعلم •

فتراهم جعلوا هـذا الوجه فى عبيد الباطنة من أعمـال غسان رحمه

الله ، وكان الامام رحمه الله على جانب عظيم من السياسة فى الأمة ، فلو قيل إنه لم يَبْلُغْه أحد فى سياسته لكان غير بعيد ونعنى بذلك الشرعية التى يقتضيهـا الدين والعدالة بحيث لم يبق الامام منهجـا من منهاهج الشريعة الى وقد أخذ حظه منـه ، انظر عمله مع سليمان بن عثمان فى فلج الخطم ، وانظر عمله فى قضايا صقر ابن محمد بن زائدة فى حبسـه وقتله ، وفى عمل الشذاءات لطرد بوراج الهنـد ، وفى عمله إذ جىء اليه بقوم أجرموا فى المسلمين ، وكانوا استحقوا القتل فى نظر بعض المسلمين ، فناظر الامام فيهم القاضى مسبح بن عبد الله فلم ير قتلهم وبقـوا فى السجن ، ثم ناظر المسلمون القاضى فى ذلك ، فرجع القاضى الى رأى المسلمين الذين يرون قتل هؤلاء ، ثم جاء القاضى الى الامام وأخبره بأنه رجع الى القول بقتلهم ، فقال له الامام : لا أقبل منك هـذا بينى وإياك حتى تقـوم فى المسلمين خطيبا وتعلن ذلك إليهم ، أى لأن المسـلمين قد علموا سابقا منك عدم القول بالقتل فمـا بالك اليوم تقول ذلك بينى وبينك ، فقـام القاضى وخطب فى الناس عن القول بعدم جواز قتلهم ، وأنه أجاز ذلك للامام ، وأنه رجع عن قوله الأول ، وفى هـذا سياسة من الامام فى تبرئة ساحته عن الخلاف والشقاق وتوجيه الارتيـاب فى عمل الامام ، فلله دره مـا أعلى نظره وأنفذ رأيه ، وهو العليم فى الفقه فى زمانه ، ولكنـه لا يفعل حتى يعطى كل مقـام حقه ، ولله فى خلقـه رجال يختصهم بهداه ويرشدهم لرضاه ، فبعد مـا أعلن القاضى قضـة القوم مـا هى ، وصرح بجواز قتلهم للامام ، أمر الامام بهم فضربت أعناقهم وأنفذ الأمر فهم ، فطهر الأرض من بغيهم وفسادهم ، ولله در

القاضى حيث تصلب وجاهر باعلان مـــا رأى من صحة الحكم بقتلهم ، وأنه أمر الامام بقتلهم رحمه ورضى عنهم ، إذ قاموا بحقوق الاسلام ، وقاوموا أهل الجرائم فى الأنام ، ولكل درجات ممـــا عملوا فكان الامام غسان بطلا من أبطال الاسلام بعمان وليثا من ليوثها العظام الذين تخر بين أيديهم جبابرة الأنام وتخضع لهم عتاة الأقوام .

نصائح العلمـاء للإمام غسان رحمه الله

لا يخفى على المسلم مهمـا كان أن الدين النصيحة ، وأنهـا واجبة بنص الكتاب والسنة النبوية على صاحبها الصـلاة والسـلام ، وعلى مقتضاها مشت خيار هـذه الأمة ينصح العالم الجاهل ، والمأمور الأمير ، والكبير الصغير ، وأهم شيء نصائح العلماء للأمراء فان الأمراء هم المسئولون من قبل الأمة ، والعلماء هم المسئولون من قبل الله عز وجل ، وإن كان عموم النصح مفروضا على الكل ، والى ذلك يشـير الحديث الصحيح ، بل والنص القرآنى كذلك • اللهم إلا إذا لم يكن مجـال للنصح أو تبين أن لا قبول ، فحينئذ يسقط وجوب النصح ويبقى الجواز ، وكلمة حق عند سلطان جائر لا تبعد عن المقـام ، ولذلك علمـاء عمان ينصـحون أئمتهم وأمراءهم ويناصحون بعضهم بعضـا ، ولمـا كان الأئمـة أهل دين وإيمـان وتقوى وخوف من الله ، ويرون لإخوانهم عليهم مننـا فيما قاموا به وعملوا عليـه يقبلون نصحهم ويلومون على عدمه خصوصا إذا وقع منهم مـا يخالف الحق ، فان كل أنشردتهم الحق لا غير ، فلذلك ترى لهم نصائح تحمل الى الأئمة الاخلاص والصفا ، وأحيانا التنديد عـلى الأفعـال المخالفة لسـيرة السلف الصالح ، وفى بعض الأحوال تراهـا ممزوجة بالتهديد والزجر والعنيف وهكذا •

وذلك لأن الأئمة يعدون العلماء شركاءهم فى الأمر وأعوانهم عليه ، والواقع هو لذلك وإذا كان القوم على هـذه الوتيرة فأكرم بهم وأعزز بمنهجهم ، فهم القوم الذين لا يشقى جليسهم ولا يندم رئيسهم ، ولا يظلم أميرهم ولا يتهور زعيمهم ، أشداء على الكفار رحماء بينهم لا يهمهم إلا

أمر دينهم ، ولا ينظرون الى الدنيــا إلا نظر المــار فى الطريق فاذا ضلها سأل عنهــا ، فاذا عرفهــا لازمها ، وقد نصح علماء المسلمين إمامهم غسان ، منهم العلامة أبو مودود ، وحاجب بن مودود ، ومنم مبــارك بن جعفر ، ومنهم سليمان بن عثمان الذى تحدثنا عنــه سابقا ، ومســبح ابن عبد الله الأعمى قاضى الامام بنزوى ، ومنهم الحكم بن بشــير ، رمنهم مسعدة بن تميم ، والأزهر بن على ، وعلى بن عزرة ، وجعفر بن زيادة ، وعبد الله بن أبى قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن الهزبر ، والأشــعث بن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ، قال : وضرباؤهم ، والمعنى هؤلاء مشاهير العلمــاء أيام غسان بن عبد الله ، وبعضهم اشترك فى دولة الامام الوارث ، والامام غسان وبعضهم بقى الى عهــد عبد الملك بن حميد ، وبعضهم لحق على إمامة الامام المهنا بن جيفر رحمهم الله ، هؤلاء الذين حرروا النصائح والمراشد الى الامام غسان ، وأكرم بأمة هؤلاء أوليــاء أعمالها ورؤساء رجالها وزعمــاء أمورها ، إذا انتقدوا أمرا بادروه بسرعة شافية ، فــلا جرم إذا بقى الغيل لا يتكدر كأنه ذلك الحين نزل من السحاب فان أمة يقوم بأمورها خيارها ولا يجد الى الفســاد شرارها سبيلا لا يزال الخير لديهم (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، ومــا أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) الآية .

نســأل الله الاقتداء بهم والاقتفاء لآثارهم ، إننــا لا نستطيع سرد مــا حرره العلماء من النصائح الى الأئمة فى تاريخنا هــذا ، فانه يطول بنــا ولكنا نشــير الى ذلك ، وان كان هنــاك أمر خاص أتينــا به لذلك الاختصاص ، وان كانت نصــائحهم مشحونة بالســياسات الشرعية ، والقواعد المرعية ، فانا نترك أكثرهــا إسراعا الى الأهم ، لطمنــا أن

كل امام له سياسة ، ولكل أمة رئاسة ، والخطب هنــا يطول لا ينبغى أن تطلق فيه القول ، فانه لا مجــال له عندنا إذ نحن معينون بتحقيق التاريخ ، ومــا يحتوى عليه من الأمور الناضجة والحائق الصــادقة التى لابد من العمل بهــا ، ولا ريب فان إيراد نصائح العلماء يفيد المطلع اهتمــام أهل العلم بأمور الدين وأن التناصح يرشد الى الموالاة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة . قالها ثلاثا ليعرب للناس بهذه الوجهة السامية .

وفاة الإمام غسان رحمه الله تعالى

عاش الامام غسان بن عبد الله الفجحى اليحمدى الأزدى فى إمامته بعمان خمس عشرة سنة وسبعة أشهر ، وقيل وتسعة أشهر بتقديم التاء المثناة من فوق إلا ثمانية أيام ، وقيل ولى الأمر فعاش فيه خمس عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما ، وقيل وسبعة أشهر وسبعة أيام ، ومرض رحمه الله يوم الأربعاء لثمان بقين من ذى القعدة سنة ٢٠٧ سبع ومائتين ، ومات يوم الأحد بعد صلاة الفجر لأربع بقين من ذى القعدة من السنة المذكورة أى سنة سبع ومائتين ، فكان مرضه رحمه الله خمسة أيام فقضى الله عليه ، وبوفاته أصيب المسلمون أعظم مصاب ، إذ انهد طود عظيم من أطواد الاسلام الذى ملأ عمان هيبة تغمر الساحل والداخل ، ويخضع للحق بها كل جاهل وعاقل ، ولكن الدهر لا يسالم أحدا ولله من يقدم على الله مقدم هؤلاء القادة القوام فى عباد الله بأمره تعالى ، والله فى خلقه ظنائن يختصهم برحمته فيجعلهم هداة أمته وساسة بريته ، وبموته أقيم الخلف الصالح الذى يسد لك الثلمة ويملأ ذلك الفراغ الهمام السيد المهام عبد الملك الذى سيأتى ذكره ، وكان ذلك من توفيق الله لأهل عمان الذى اختصوا بهذه المنقبة التى لم تكن لأحد غيرهم من أهل عمان طيلة الأزمان ، ولهذا حسدتهم الأمم فى سائر الأقطار والحمد لله .

إمامة الإمام عبد الملك بن حميد العلوى

لا يخفى أن عبد الملك كان من الرجال الذين لهم الحل والعقد فى عمـان ، كان عبد الملك هـذا من أبطـال رجال المسلمين ومـا انتخبه للإمامة ولا اختاروه لهـا بعد غسان إلا لمـا رأوه من صلابته فى الدين وشدته على العتـاة المتمردين ، وكان عبد الملك من رجال دولة محمد بن أبى عفان ، ومن الدعاة لحرب راشد بن النضر .

قال الامام السالمى رحمه الله فى مقدمة دولة محمد بن أبى عفان : ويقال إن عبد الملك أو قال كان عبد الملك بن حميد يومئذ شابا ، أى عندما اتفق المسلمون على الخروج لحرب راشد بن النضر ، قال : وكان يدعو المسلمين على المبايعة على راشد بن النضر ، أى يدعو للخروج عليه وعلى حربه ، وفى ذلك الوقت هو فى قوة شبابه ، ثم وقعت الخيرة على محمد ابن أبى عفان أى فى ذلك الوقت لا سيما وقد جىء به لذلك من العراق، ولما رأوا من محمد بن أبى عفان خلاف المأمول ورأوا عزله عن الأمر كان عبد الملك معهم : فاختاروا الوارث بن كعب لتلك الأحوال الكريمة المؤهلة للوارث الشهم الهمام المقدام الذى تجرأ على قتل جندى السلطان الغشوم الجائر على عباد الله ، حتى مضت أيام الوارث المجيد ورأوا غسان الكفؤ الكـافى لحمل هـذه المهمة العظيمة ، وهى الامامة فبويع غسان وكان وفق أمل المسلمين ، فمشى بهـا غسان مشية الأمين المأمون ، وقام بواجب الدين خير قيـام ، فحمده المسلمون ولم يروا فيه غير الحق ، ولا انتقدوا شيئا من أعماله حتى جاءه ما لابد منـه يرفع له يده عنهـا قائلا له بلسـان الحـال : أديت مـا عليك لهـا وقمت بواجبك فيهـا ، وأخذت حظك منها فهلم الى خير منهـا وأبقى ، فاختاره الله الى جواره وتوفاه الى رحمته ،

فكان الخلف الصالح لهـا هو عبد الملك بن حميد العلوى المرضى من بنى على بن سودة بن على بن عمرو بن عامر العلوى الأزدى ، وبنو على هؤلاء هم أهالى ينقل من الظاهرة ، وينتقل هـذه هى إحدى عواصم آل نبهان فى أيامهم ، وكان عبد الملك سيدا من سادات المسلمين ، بويع بالإمامة يوم الاثنين لثمـان ليال بقين من شوال من سـنة ٢٠٨ ثمـان ومائتين فى أيام المأمون بن هارون الرشيد ، وقيل كانت بيعـة عبد الملك بن حميد لثلاث بقين من ذى القعدة من السـنة المذكورة ، وهى سنة سبع ومائتين وذلك بعد مـا ولى الخلافة المأمون . قال أبو الحوارى : وقيل النقـل عن أبى الحسن البسيانى ، بايعوا لعبد الملك بن حميد على مـا بويع عليه غسان بن عبد الله ، وغسان إنمـا بويع على مـا بويع عليـه الامام الوارث ، وقد بويع الوارث رحمـه الله على مـا بويع عليه أئمـة العدل من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى الشرى فى سبيه الله عز وجل ، وعلى إظهـار الحق وإخماد الباطل وعلى الجهـاد فى سبيل الله ، وقتال الفئـة الباغية ، والمراد بأئمـة العدل الذين بويع الوارث بن كعب على مـا بويعوا عليـه ، هم أبو بكر وعمر وأمثالهما من أئمـة المسلمين ، لأنه لم يكن قبل الوارث بعمان إمام إلا الجلندى ابن مسعود رحمـه الله .

وكانت هـذه البيعة هى الأصل فى الإمامة وعليهـا يدور محور إمامة المسلمين منـذ الخلفاء الراشدين ، قال الامام السالمى ، فسـار عبد الملك الامام سيرة الحق والعدل ، واتبع أثر السلف الصـالح من المسلمين ومن حيث انه تولى الخلافة وهو فى مؤخر عمره ، أى بعد مـا ذهبت قوة الشباب وبقى يسانده وقار الشيب . قال صارت عمان بـه خير دار . قلت : ولم لا تصير به خير دار إذ كان أميرهـا ذلك العلم

النزيه والفيصل الفقيه ، العابد الزاهد الهمام المهمام ، عمدة المسلمين فى الحلال والحرام ، وحجتهم فى حقوق الملك العلام ، إذ عاش آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، قائمـا بحقوق شريعة الله ، عاملا بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وبذلك تفقد الدنيـا كل مؤذ فى الدين ، وترى حولهـا كبكبة المؤمنين ، وزعامة المخلصين هـذا بالنظر الى أهل الحق والدين ، وأمـا أهل السوء والسفه فذلك ممـا يسأمون منه ولا يريدونه ، ولكنهم حجة فى شىء مـا ، إنمـا الحجة أهل الحق وهم الذين لهم فيهـا الأمر والنهى ، وقد صارت عمان فى عهدنا العصيب الذى كفرت فيـه الدنيـا أو كادت أن تكفر ، أفضل قطر فى بلاد الله ، حيث لا قناصل ولا نصارى ولا يهود ولا نفوذ لأجنبى مـا ، وأعلنت الصحف بذلك على اختلاف أنواعها وشهد بذلك الأجانب وغيرهم ، فهـذه تواريخ عصرنا هـذا ، تعبر عن ذلك مع فقر فى البلاد وقلة المواد وصوت عمـان عال فى الأفق مسموع تصغى اليه الآذان الواعية ، ومـا ذلك إلا للحق الذى هم عليه ، فمن جاء عمان أيام الأئمة رأى لوائح العدل ولوامع الشريعة ظاهرة ، ورأى كريم الأعمال وحميد الخصـال ، وصادق الخلال ومن جاءهـا فى غير ذلك رفع عنهـا مـا رأى كابن بطوطة الرحـالة فى أيام قنى نأهـان ، وترى العلماء يتمثلون بأيام بنى نبهـان ليؤنبوا بهـا غيرهم ، ممن لم يقوموا بواجب الدين من الأمراء والزعماء لأجل الرجوع الى الحـق والانصراف عن الباطل مهمـا كانت دواعيه ، وباتفـاق العلماء أن الامام عبد الملك سار بعمان سيرة الأئمة العدول ، وقـام بالحق قيـام القادة الفحول ، فلم يعب عليـه شىء من أعماله ، إذ تولى الأمر وهو مستحكم الأحوال كلهـا ، فهو كامل العقل صحيح الرأى ، عالى النظر فى سن الرشد والكهولة ، قال أبو الحسن : بايعوا لعبد الملك بن حميد على مـا بويع

عليه غسان ، فقـام بالحق الى أن كبر وخافوا على الدولة من الضياع ، وعلى الأمر التعطيل ، فقـام موسى بن على رحمـه الله بأمر الامـام عبد الملك ، وشـد أزره ، وكان إذ ذلك كمـا يقول أبو إسحاق شـيخ المسلمين يومئذ إمام العلمـاء ، وعلم من الأعلام المجتهدين ولم يزل على ذلك الى أن مات الامام •

قال أبو المؤثر : وحدثنى الثقـة أن عبد الملك بن حميد الامـام قد ضعف وسقطت قوته ، وثقل منـه السمع والبصر ، إلا أنه قد كان يسمع ويبصر ، أى يسمع الشىء اليسير ويبصر كذلك ، قال وقد كان فى عسكره القتـال ، أى ربمـا كان بين العسكر اختلاف يؤدى الى شق العصا ، ثم يصطلح بوجود القائمين المسددين للأحوال • قال أبو المؤثر : وكانت ضعفته فيمـا بلغنا أشد من ضعفة الصلت بن مالك ، قال : وسألوا موسى بن على عنـه وعن الواجب فى حقه الذى ينبغى أن يعامل به مـا دام فى ذلك الحال ، فأجابهم أن امامته ثابتة عملا منه بالواجب فى حق الامام من المساعدة مـا لم يدع داع يتبين منـه عجز الامام ، قال ولم يستحل موسى ابن على رحمه الله عزل الامام بذلك الأمر الواقع عليه من الله ، قال : وقال أبو الحسن : وكان بعض المسلمين أظن أنه المنذر بن بشير يصدر عن موسى ابن على إذا رآه لم يعزل عبد الملك ، وكان يقول هـذا الشاب يصدعنا إذا لم يعزل الجبل ، يعنى الامام عبد الملك ، إذ كانوا يرون عزله لمـا كان نازلا منزلة العجز الجسمى ، نظرا الى أن الامام إذا فقد قوتـه وجب عزله إذ يكون بذلك الحـال مقصر أو العاجز عن القيـام بالواجب يشهد عجزه عليـه ، فيجب عزله سواء كان حسيا أو معنويا ، وعلى هذا أكثر أهل العلم ، إلا أن موسى بن على لا يرى عـزل عبد الملك ، لأن

الأمور جــارية مستقيمة والأحكام نافذة ، وأمور المسلمين فى أيديهــم لا يعارضهم فيهــا معارض ، فأحب ألا ينكد عــلى الامــام حالا من الأحــوال •

قال وقال محمد بن الحسن : كتب موسى بن على الى الامام عبد فى أمر رجل ، ثم إن الرجل أتى موسى بن على ، فقــال رد الامام كتابك ولعله أراد أن يغريه على الامام بذلك المقــال ، فقال أبو على رحمه الله هو المأمون علينـــا وعليكم ، قــال : وكان الامام عبد الملك يطرد المهرة ويطلبهم من عمــان لسفكهم دماء المسلمين فى بلادهم ، قــال : وكانوا يلقون بأيديهم ولا يقبل منهم • قلت : هــذا كلام لا يحسن السكوت عليه ، فانه إذا كان الامام وهم يلقون بأيديهم اليــه ولا يقبل منهم فماذا اذا يقبل وأنت تقول ويلقون بأيديهم ، ولا شك أنه اذا كان يطلبهم وهم يلقون بأيديهم اليه أن ينتصف منهم ، قال حتى أشار عليه موسى بن على رحمــه الله أن يقبل منهم ويؤمنهم فأمنهم • قلت : هــذا هو الواجب فى هــذا الحال قال : وكانوا قد سفكوا دماء المسلمين ولم يصرحوا على أى شىء سفكوا دماء المسلمين ، والظاهر أنهم قتلوا جبــاة المسلمين إذ خرجوا اليهم لجباية الزكاة ــ فتخالفوا وتقاتلوا وغلبوا على المسلمين هناك ، إذ توحدوا بهم والتفوا حولهم ، ولعل هناك جنايات من عهد المقتولين منهم مع راشد بن النضر فى وقعة المجازة ، إذ قتل فيها المهرة حيث هم كانوا الجيش وأكثر القتلى فى بنى نجو من أهل عمــان ، إذ كانوا عمدة جيش راشد بن النضر ، فقيت بينهم وبين أهل عمــان حزازات فى النفوس ، أخذوا بهــا أهل عمان عندما أرسلوا لقبض زكاتهم ، فكان المهرة يهددون أهل عمان بذلك كمــا سوف ترى ذلك فى إمامة الامام المهنــا بن جيفر ،

ومـــا عاملهم به الامام المذكور عند ذلك حتى أراهم قوة المسلمين تطـأ على كواهلهم .

ولم تقع أيام الامام عبد الملك حوادث مهمة ، بل كانت أيامه رحمه الله أيام سلم وراحة واستراحة ، إذ كفه الله عن أهل عمـان العوادى المخوفة فأمنوا واطمأنوا فى بلادهم والحمد لله ، قال ان رزيق فى سيرته سار عبد الملك سيرة الحق والعدل والانصـــاف ، واتبع الأثر الصالح من السلف الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وصارت به عمـــان يومئذ فى أمـــان واطمئنان ، بويع يوم الاثنين لثمـــان بقيت من شوال ســنة ٢٠٨ مائتين وثمان ، ولم يزل قائمـــا بالعدل آمرا بالمعروف حتى كبر وزمن وضعف . قـــال : وفى زمانه كانت تقع الأحداث فى عسكره ، قـــال فشاور المسلمون الشيخ العالم موسى بن على فى عزله مع كبره ، وضعف بدنه وذهاب قوته ، فأشار عليهم أن يحضروا العسكر ويقيموا أود الدولة . قال : فحضر موسى العسكر ، وأقام أودهم أى ردهم عن اعوجاجهم ومنع الباطل ، وعبد الملك فى بيتـــه لم يعزلوه ولم يزيلوه حتى مات ، وهـــو لهم امام برىء من الطعن والريب ، وكانت ولايته الى أن ضعف عن القيام ثمانى عشرة سنة على الاتفاق ، إذ هو لمـــا بويع له بالامامة كان كبير السن واتفق الكل من المؤرخين أن الامام عبد الملك لم يختل شـــعوره ولا يتزعزع عقله ، ولا وقع فيه أى خلل ، بل كان ضعفه فى السمع والبصر وأعضاء الحركات ، ولكنه بقى فى إمامته مقبولا مطاعا تولى العلماء مصالح الجيش وعملوا بمـــا كان من حقوق الامام ، حيث كان موجودا ، فهـــم منفذون لأوامره لا يتبرمون منـــه ولا يرون فى أعمـــاله مـــا يرد ، ألا ترى ذلك الذى قال لموسى بن على : إن الامام رد كتابك ، قال له : هو

المأمون علينا وعليك تسليماً لأمره واعتمادا على نظره ، وذلك مما ينبغى ما لم يدع الى عزل الامام داع ضرورى لا سيما مع وجود أهلية القائمين بالأمر جزاهم الله خيرا عن اجتهادهم فى أحوالهم ، والله ولى التوفيق والتسديد .

وأما ما ذكره شكيب أرسلان فلم يصح عند المسلمين ، وليتهم عاملوا الصلت بن مالك رحمه الله بمـا عاملوا به عبد الملك بن حميد ، وكان حقيقا بذلك لكنهم اجتهدوا لله مع الأول ، إذ كان الوزير موسى بن على العالم الرضى الذى كان همته جمع شمل المسلمين والتفافهم حول راية الحق المبين ، ولمـا قام الصلت بن مالك كان الوزير الأكبر موسى بن موسى وأين فى النـاس كموسى بن على ، فكان موسى بن موسى بخلاف مـا كان عليه أبوه ، ومن سوء الحظ أن مات موسى بن على وهو شاب فخلفه موسى الثـانى ، فكان الفرق كمـا بين الثريا والثرى ، فموسى الأول محله محل امام عادل ، ولو بويع بالإمامة كان أهلا لهـا وأمـا موسى الثانى فكان زعيما غشوما أقرب الى الرئاسة منـه الى العدالة ولكن مقـام أبيه فى المسلمين أحله ذلك المحل ، ولكل درجات ممـا عملوا .

قوام دولة الإمام عبد الملك بن حميد

أعلم أن الله جعل المسلمين إخوانا وأعوانا لبعضهم بعض ، وجعل أعوان كل إنسان بحسب حاله وما هو فيه ، ومن حسن حظ الامام عبد الملك بن حميد أن جعل له أعضادا من خيرة الرجال ، وأنصارا من القادة الأبطال ، وفى مقدمهم الشيخ الولى العلامة الرضى موسى بن على السامى الأزكوى عمدة أهل العلم فى زمانه ، وقدوة أهل الفضل فى أوانه ، مرجع المسلمين فى المهمات الدينية ، وحجة القائمين بأوامر خير البرية ، وإليه يشير الامام النضر فى لاميته حيث يقول :

« واين فى الناس كموسى بن على »

ومن قوام دولة الامام عبد الملك بن حميد الشيخ الفاضل الثقة الجليل هاشم بن غيلان الهميمى من أهالى بلدة سيجا من أعمال سمائل ، كان هذا الشيخ رأسا من رءوس هذه الدولة الجليلة ، وكان هاشم ابن غيلان من المراقبين لكل ما يطرأ على الدولة من الأحوال الظاهرة ، ومن الناظرين فى سير الأعمال تدلك على ذلك رسائله الطويلة العريضة ، فيها النصح ممزوجا بالنقاش فى الفتيل والنقير ، بحيث لم يترك وجها يخشى عليه فيه من جانب الامام ، أو من جانب المأمومين عملا بواجب الوارد فى الكتاب والسنة ، وأكرم بدولة رجالها أمثال هؤلاء الفطاحل ، وما كان للمسلمين غرض فيما قاموا له وما قعدوا عنه إلا الحق ، لا يراعون حظوظ الدنيا ولا منازلها ، فانها أمور لا أهمية لها عند المسلمين ، ولم يقوموا لغرض دولة تجمع لهم أموالا أو تبنى لهم قصورا ،

أو تغدق عليهم أرزاقا ، فان ينفق كل شهر سبعة دراهم وربمـــا فضلت عن قوته فيرد الفاضل الى بيت المال رحمهم الله ورضى عنهم .

ومنهم عمر بن الأخنس الذى صلى بالمسلمين صــلاة الجمعة فى الأيام التى مرض فيهــا الامام عبد الملك من غير أن يأمره الامام ، وكان الامام فى حال مرضــه موجودا بنزوى ، وكان موسى بن على حاضرا معهم ، وأجاز صلاتهم ولم ير عليهم نقضا ، أمــا ابن محبوب فرأى نقض صــلاة الجميع ، وكل واحد من الشيخين حجة يتعلق بهــا ، ليست من قبيل التاريخ فى شىء ، وإنمــا الذى هو من قبيل التاريخ هــو نقل صلاة عمر ابن الأخنس مع وجود الامام بنزوى مريضــا ، ولم يأمره الامام ، وبعد ذلك فليقل الفقهــاء أقوالهم ؛ ومن رجال دولة الامام عبد الملك وقوام أمرهــا : عزان بن الصقر ، وهاشم بن الجهم ، ومحمد بن علي ، ومحمد ابن موسى ، والأزهر بن على والعباس بن الأزهر ، وسعيد بن جعفر ، وأضرابهم ، وهم كثيرون متفرقون فى النواحى ، وفى مقدمتهم الشيخان العالمان موسى بن على وهاشم بن غيلان : فهمــا اللذان لا يزالان مراقبين الأحوال تمــام المراقبة ، وموسى بن على رئيس على هاشم فهــو قطب الرحى وعمدة الدولة ، وكان علامة جليلا ملأ اســمه آثار المسلمين ، والله يختص برحمته من يشاء .

فأكرم بدولة هؤلاء رجالها وزعماء أعمالها وساسة أمورهــا الذين يراقبون الله عز وجل فى سرهم وجهرهم ، ويراعون مصالح الأمة على ضوء القرآن والسنة :

وإذا ســـخر الإلــه أناســـا
لســـعيد فانهــم ســـعداء

نصائح العلماء للإمام عبد الملك

ما زال علماء المسلمين وبالأخص المسئولين عن شئون الدولة يحررون النصائح للامام ليكون دائما على يقظة فى الأحوال ، وعلى اهتمام فى الأعمال ، وعلى مراقبة لحقوق ذى الجلال ، وعلى دراية كاملة من حركات أهـل الضلال ، وعلى الاستقامة فى الأمـور الدينيـة والدنيوية ، إذ لم يولوه الأمور ويهملوه ، ولا ليضعوا الثقل على واحد ويضيعوه ، بل هم معـه فى جميع الأحوال ، فانظر فى نصائحهم تجدهـا تلاحظ الفتيل والنقير ، معنية بأمر الدين قبل كل شىء ، ممـا يدلك على إخلاصهم لله عز وجل ، وحسن معاملتهم لإمامهم ، وحسن قيامهم بأمورهم ، فهـم الرجال الذين تحيا بهم الدنيـا وتسعد بهم الأمـة ، وتقوم بهم معالم الاسلام ، جزاهم الله خيرا وغفر لهم ، ولا فراغ لنـا نسرد فيه تلك النصائح التى قالوهـا ، ومن أرادهـا فهى دانية القطوف ناضجة الثمر غالية المقاصد ، وقد ذكر الامام السالمى رحمه الله أنموذجا منهـا مفرقا فى غضون التاريخ العمانى ، وأن فيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

وفاة الإمام عبد الملك بن حميد رحمه الله

من المصائب فى الدين ، موت علماء المسلمين ، وأئمة العلم والدين ، ولكن سنة الله فى عباده التى خضع لها كل جبار ، ورضى بها الأخيار والأبرار ، جارية على الإجبار لا على الاختيار ، لتدل أهل العقول على عظم الملك الجبار ، وعجز العبيد عن البقاء وأن كثر الدرهم والدينار ، وعلت القصور والخول ، فكل ذلك لا أثر له ولا اختيار ، فهو البرهان الصحيح لذوى العقول ، وأهل الاعتبار عى حقيقة التخلية والتنصل من كل أمل وكل جند ، وخول وانحصار الأمر الحقيقى للإله الواحد القهار ، فالعجز عن رد حادث الموت يخبر عن العجز والذل والحيرة والدهش ، وقطع النظر والعلائق كلها عند البعث والنشور ، الى المليك الفرد فلا شفيع ولا مجير ، ولا مستجار يوم لا يكيف رعبه ولا يقاس خوفه ، تنتفى فيه المعارف وتنقطع فيه العلائق ، وينتهى فيه التوجه الى الله رغم الأحوال كلها ، جاء عبد الملك رحمه الله ما جاء إخوانه والأنبياء والرسل قبله ، فتوفى الى رحمة الله الجمعة من شهر رجب لثلاث خلون منه سنة ست وعشرين ومائتين للهجرة : وكانت إمامته رحمه الله ثمانى عشرة سنة وسبعة أيام ، وذلك فى خلافة الواثق بالله ، فأصيب المسلمون بمصابة رزية فادحة ، ولكن كون ذلك محتوم يتسلى المسلم عنه ، وبوفاة رسول الله ﷺ عزاء لكل مسلم ، وإذ ذاك بايع المسلمون المهنا بن جيفر بدلا من عبد الملك بن حميد :

والمهنا ومن كمثل المهنا
قوة لم تجىء بها الأقوياء

إمامة الإمام المهنا بن جيفر اليحمدى

اعلم أن الامام المهنــا بن جيفر كان أعظم امام فى آل اليحمد بن حمى ، وإن عظمته كانت دينية ودنيوية ، وقد قام بواجبه فى عمان حتى عظم قدرهــا فى أيامه ، وعلا شأنها فى عهده ، وطار لها صيت فى البلاد العربية المجاورة لهــا .

وكانت بيعته رحمــه الله فى اليــوم الذى أصبحوا فيــه مصابين بامامهم المجيــد ، عبد الملك بن حميد ، فلمــا زال عنهم الجبل قــام لهم جبل أضخم منــه ، وذلك اليوم هو يوم الجمعة من سنة ست وعشرين ومائتين لثلاث خلون من رجب ، بايعه العلامة الجليل الذى طالمــا طالبوه أن يزيل عنهم الجبل ، وهو موسى بن على السامى الأزكوى ، عمــدة المسلمين فى أيامه ، وقطب دائرة الأعلام فى عهــده ، وذلك بعد مــا محض النصيحة وفرغ من مشــورة المسلمين الذين هم أهل الحــل والعقد ، فى ذلك العهد بايعه فرضى المسلمون بيعته ، إذ كان عمدتهم فى دينهم وحجتهم ، فى دنياهم ، وهو قطب الوقت إذ ذاك والعلم هو الذى يسود الأمة ، ويقيم أودها ويرفع أعلامهــا ، والقيام بواجب الشريعة فى الأمة أمر مفروض على الكل ، خلافا لأهل الأهواء الذين لا يرون ذلك ، كمــا بسطنا ذلك فى « العرى الوثيقة » ردا على المبطلين لواجب الإمامة فى الدين ، وكانت البيعة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويدخل فى هذين الوجهين كل خير فى الدنيا والآخرة ، وكل شر ، فان الحق مهمــا كان داخلا فى المعروف ، والباطل بأنواعه داخل فى معنى المنكر ، والأمر بالمعروف يتناول مصالح الأمة لهــا دينا ودنيا ، كمــا أن النهى عن المنكر

كذلك ، ولا أبلغ من دين الاسمين كتابا وسنة وعقلا ونقلا ، ولا يشــذ عنهما أمر أبدا مهمــا كان ، فقام الامام المهنــا فى عمان خير قيام ، عرفه أبطال الاسلام ، فوطىء رحمه الله آثار المسلمين ونهج منهج السلف الصالح فى الحل والترحال ، وســـار سيرة المسلمين ، ومازايلها قيــد شــعرة •

قال أبو الحسن رحمه الله : سار المهنــا سير السلف الصـــالح ، وقام بالحق مــا شاء الله الى أن مات ، والمسلمون له مجمعون وبأمره يعملون ، والولاة فى أيامه هم الصادقون • قلت : إن دين الأمة من دين ملوكهــا ، فاذا كان ملك الأمــة المهنــا بن جيفر فكيف لا يكون الولاة صادقين فى أعمالهم ، صالحين فى أممهم ، مصلحين لشــعوبهم وكيف لا يكونون كذلك ، وأمرهم يرجع الى الصالح وراءهم والمصلح لأعمالهم ، يالتلك الأيام مــا أحلاها ،ولتلك الأعمال مــا أعلاها ، حيث يكون العامل يقوم بأعماله باسم الامام العدل كالمهنا :

للمهنــا ومــن كمثــل المهنـــا
قــوة لــم تجىء بهــا الأقوياء

قال أبو الحسن لم نعلم أن أحدا أظهر عليه منكرا من عظمة المهنــا فى عمان ، كمــا قال الامام ، كان المهنــا رجلا مهيبا وكان له حزم فى رأيه ، وكان لا يتكلم أحد فى مجلسه ، شرف الوقار وعز سلطان التقى ، قال : ولا يعين خصما على خصم ولا يقوم أحد من أعوانه مــا دام هو قاعدا حتى ينهض ، هى هيبــة الاسلام تدهش كل من يرنو اليهــا والهدى روع العـــدا •

وإذا ألبس الإله أحدا لبـاس عز وشرف ، فلا غروى إذا اندهشت له القلوب وذهلت له العقول ، فكم اندهشت لرسول الله عليـه الصـلاة والسلام ، ولعمر بن الخطاب الامام الرضى ، وكذلك غيرهم من أئمة المسلمين وعمدتهم فى الدين ، وكم عنـد على بن أبى طالب ذهلت عقول كثير من الناس ، وللحق هيبة عالية تذهل لهـا قلوب كثير من النـاس ، قال أبو الحسن : ولا يدخل أحد العسكر ممن يأخذ النفقـة إلا بالسـلاح ، أى لا يدخل على الامام المهنا عسكره إلا وهم مسلحون ، حتى الهيبـة لباس الشراة وتيجان رجال الدولة ، وهو أيضا عنوان الحماس ، قـال وكان له ناب يفتر عنـه إذا غضب فتظهر له هيبـة عظيمة ، أى إذا غضب الى أن يظهر نابه فان له هيبة تأخذ من القلوب مأخذها .

قوة الدولة أيام المهنا بن جيفر

أعلم أن الامام المهنا بن جيفر رحمه الله ، جد فى تقوية الدولة فى عمان ، لإرغام الأعداء وكبح جماح أهل الباطل فيها ، فجمع قوته إذ ذاك ، فكانت مضرب المثل فى ذلك العصر ، كان رحمه الله كما يقول الامام نقلا عن الأعلام : اجتمعت اليه من القوة البرية والبحرية ما شاء الله .

قيل إنه اجتمع فى البحر أسطول عظيم ضخم بلغ ثلاثمائة بارجة حربية مسلحة بالسلاح العصرى ، تحمل راية الامام مهيأة لحرب العدو ، وإنها لعظيمة فى ذلك الوقت بالنسبة الى عمان فى الجزيرة العربية ، قال : وكان عنده فى نزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أول صارخ ، قال : فما ظنك بباقى الخيل والركاب ، فى سائر ممالكة . قلت : إذا كانت هذه قوة نزوى فقط وهى فى قلب عمان الداخلية ، ففى الثغور أعلى من ذلك أكثر وأجل ، قال العلامة الصبحى رحمه الله : بلغنى أنه كان عند الامام المهنا بن جيفر تسعة آلاف مطية . قال : ولعلها لبيت المال ، قلت : لا شك أنها لبيت المال ، فان المهنا لا مال له إلا أموال المسلمين ، وإذ ذاك فعمان لا جمارك فيها ، وإنما المراد ببيت المال الزكاة فقط ، وما يغنم المسلمون فى الفتوح من الكفار ، قال الصبحى المذكور : وكانت عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل ، قال : وهؤلاء بنزوى خاصة فكيف بعساكر غيرها . قلت هذا يكفى مقاسا على عساكر غيرها ، والله يرفع من يشاء ويؤيد من يشاء من عباده فله السلطان القوى وحده .

قال وكثرت الرعايا فى زمانه ، قلت : كيف لا تكثر والمهنا امام المسلمين ، وكيف لا تكثر والعدل فيها ناصب أعلامه ، فانه هو الذى ينمى الأمة ويكثرها كما يقل : إن العدل يعمر والجور يدمر ، وإذا كان الماء لا يكون له طحلب كما فى أيام الامام غسان ، فكيف لا يكون له نبات وزهر طيب وثمر حلو تعيش فيه الأمة ، ومن قوة إمامة المهنا أن المهرة كما هى ألصق بعمان ، لا تزال تابعة لعمان ذلك العهد ، وكانت أيام المهنا من أعماله ، وكان اتصال المهرة بعمان شائعا ولهم فى عمان معاملات ، ولا يزالون فى العواصم العمانية ، وكان للامام جاب خصيص لزكاة الماشية فى المهرة ، هو عبد الله بن سليمان رجل من بنى ضبة من خصوص أهل منح ، وكان يسكن عز قريبا من منح فخرج الى مهرة لجباية الزكاة كعادته ، حتى وافى وسيم بن جعفر المهدى ، أحد زعمائهم ، وكان قد وجبت عليه فريضتان ، فامتنع الوسيم من دفعهما معا ، وإنما أذعن بدفع فريضة واحدة ، وتغالظ هو وعبد الله بن سليمان ، فقال وسيم لعبد الله : إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة ، وإلا فانظر الى قبور أصحابكم .

قال الامام : ولعله يريد قبور من قتل هناك من الشراة أيام الامام عبد الملك بن حميد ، كما أشرنا الى النضية فى تاريخ الامام المذكور . قال الامام : فقد وقع بين الامام وبعض مهرة حرب ، فأرسل الامام إليهم السرايا حتى دوخهم ، وأذعنوا بالطاعة للامام ، وصاروا كسائر أهل عمان ، واختلطوا بهم اختلاطا مباشرا ، فلما سمع الجابى عبد الله ابن سليمان ذلك الكلام من الوسيم ، وعلم أنه اذا غالظه لابد هو مقتول ، والدار نائية والشقة بعيدة ، ورأى مجارات هؤلاء البغاة

على مـا يحبون ، يخرب أعمـال المسلمين ويحل بالأمور ، تأخر الجابى عن الأخذ والمطاولة ، وانسحب عن الجباية وكر راجعا الى عمـان ليبلغ الأمر الى إمامه بعمان ، وكان قد خرج معـه من عمان صاحب له جمال كان سفرهمـا على جماله ، فلمـا خرج عبد الله بن سليمان عز وطنـه المعروف ، وأرسل الجمال الى الامام ليخبره عن الواقع ، فقدم الجمال الى نزوى فوجد الامام فى مجلسـه فى بيت الامامة ، فلمـا انفض النـاس وارتفع الامام من مجلسه المشـار اليه ، دعا بالجمال فى مكانه الخاص به ، فسأله عن عبد الله بن سليمان ، وكيف كان سفره ، فأخبره عن وسيم بمـا كان منـه فقال له الامام : اكتم الأمر ولا تخبر أحدا بمـا أخبرتنى به ، وأكد عليه تمـام التأكيد فى الكتمـان ، وكان الامام إذ ذاك فى غضب على وسيم ، فلمـا وصل عبد الله بن سليمان الى الامام سأله الامام عن خبر وسيم ، فأخبره بمثل مـا أخبره به صاحبه المذكور ، فكتب الى والى أدم ووالى سناو ، ووالى جعلان ، أن إذا ظفرتم بوسيم بن جعفر المهرى فاستوثقوا منه وأعلمنى ، وكأنه يأتى غالبـا من هـذه النواحى ، وأنه لا يزال يأتى عمان لذلك أمر الامام هؤلاء الولاة أن يقبضـوا عليه لأنه كثيرا مـا يتردد على هـذه النواحى ، وأهل عمـان كذلك لا يزالون يختطلون بالمهرة ، ولعل وسيما لمـا رأى عبد الله بن سليمان انسحب خاف منه عند الامام ، فجاء مقتفيا أثره ليتسمع عن الامام ماذا يقول ، وأغلب الظن لديه أن أمر مهرة ناء عن عمان ، وأن أمر الزكاة غير كبير فى نظره ، كمـا أن ارتداد العرب بعد النبى عليه الصلاة والسـلام كان من قبيل الزكاة ، وأن أبا بكر رحمـه الله تجرد لاخضـاعهم فسكنت نعرتهم ورسخ الاسلام ، فيهم وسرعان مـا كتب اليه والى أدم أنـه قبض على وسيم وأنه استوثق منه ، أى جعله فى وثاقه ، فأرسل اليـه

الامام أبا المقارش يحيى اليحمدى المعروف مع مجاعة من أصحاب الخيل ، ثم أنفذ اليه كتيبة أخرى ، فالتقوا بهم فى الطريق بموضع المنائف بالصحراء ثم أنفذ اليه كتيبة أخرى فالتقوا بهم فى قرية عز ، ثم أنفذ اليه كتيبة أخرى فالتقوا بهم فى قرية منح •

قال : فلم تزل الكتائب من الامام تتراسل الى الوسيم بن جعفر المهدى حتى وصلوا به الى نزوى فى أربع كتائب من جيش المسلمين ، وقد بلغت الأهمية من الامام بوسيم مبلغها ، فأمر الامام بحبسه ، ولعل ذلك كان حيث إن أخلاطا بعمان من سائر بلاد العرب يريد الامام أن يظهر لهم الشدة والقوة ، حتى لا تتأمل نفوسهم العتو على الحق والتمرد على العدل ، وان تذل نعرتهم وتنطفىء نخوتهم ، وتسير السائرة من عمان باهتمام الامام البالغ حده على المتمردين ، قال : فمكث لا يقدر أحد يذكر فيه ولا يسأل عنه ، ولا يتحدث عن خبره حتى وصل جماعة من المهرة ، أى من أعيانهم فاستعانوا على المهنا بوجوه اليحمد ، قال : فجابهم الى إطلاقه وشرط عليهم ثلاث خصال ، أى واحدا منها فأجابهم الى أحدها وهى إما أن يرتحلوا من عمان • قلت : وهذا يحدثنا عن وجودهم بعمان وجودا محسوسا ، ولهم علاقات بالامامة ، ولعلهم يأتون لعطايا من الامام ؛ قال : وإما أن يأذنوا بالحرب ، وإما أن يحضروا الماشية كل حول الى عسكر نزوى ، وتشهد على حضورها العدول ، أى من المسلمين أنه لم يتخلف منها شىء ، وتعدل الشهود المعدلون بأدم : فقالوا : أما الارتحال فلا يمكننا ، أى حيث لهم أعمال وروابط تربطهم بالمسلمين ، قالوا : وأما الحرب فلسنا نحارب الامام ، وأما الابل فنحن نحضرها ، أى وهذا أهون الأمور الثلاثة • قال : فعند ذلك أمر الامام بتعديل الشهود ،

فكانوا يحضرون إبلهم فى كل سنة تدور فى شهر خاص عين لإخراج الزكاة ، فكانوا يراعون ذلك الشهر ، فيأتون بماشيتهم الى نزوى ، وفى هـذا من إظهار المسلمين مـا لا مزيد عليه ، وتلك ثمرة القوة التى أرشـد اليهـا القرآن الكريم فى قوله : (وأعدوا لهم مـا استطعتم من قوة) ، (وأن لى بكم قوة) ، (فأعينونى بقوة) وإنهـا لهى كرسى الملك وعرش الزعامة ، وعى قدرها تبلغ الدعوة فى الناس ولهـا يخضع العتاة .

أعمـــال الإمام المهنـــا مع البغاة وأهل الفساد

اعلم أن أعمال الامام المهنـــا مع أهل الفساد والبغى شديدة ، وربما كانت قاسية لاقتلاع جذور البغى والفســـاد من أهلهـــا ، فانظر الى معاملته وسيم بن جعفر حيث أودعه الحبس حول ســـنة لم يقدر احـــد يذكره عند الامام ، وبعد ذلك لمـــا وافقهم على إطلاقه مع تعهدهم للامام عنه بالاذعان والطـــاعة ، شرط عليهم تلك الخصـــال مع أن الجانى واحد منهم ، وإن كان زعيما فألزمهم قبول إحدى تلك الخلال ، مـــا ذلك وأيم الله إلا لتأييده وتدعيمه بالدعائم القوية ، فأذعنوا لأخفها وطأة ، وهـــو سوقهم مواشيهم من مهرة الى منح وتروى لأداء الزكاة ، وكان أن يقصدهم الجابى الى أمـــاكنهم فسبب ذلك تهديد وسيم لجابى الامام ، وهـــو عبد الله بن سليمان الضبى من أهالى عز ، ومنهـــا أن رجلا طعن رجلا فى جسده ولعله بحديدة حتى أدماه على مـــا يظهر من كلام الامام رحمـــه الله ، فأمر الامام بالطاعن فجلد تسعين سوطا، وقال : تسفك دماء المسلمين على بابى ، وكان على الطاعن أرش طعنته وتأديبه بمـــا يقتضيه نظر الامام ، فأدبه رحمه الله بسوطه تسعين جلدة .

قال الامام السالمى رحمه الله : وذلك على قول من لم يجد للتعزير حدا ، وإن زاد عن قدر الحدود ، وهو قول من أقوال المسلمين وعليـــه كثير من علماء المسلمين ، لأن جعل التعزيز والتنكيل والتأديب موكول الى نظر القائم بالأمر من إمام ووال وقاض ونحوهم ، وعليه ان رأى أن يزيد على الحدود المقررة فله ، لأن الشارع حدد وأطلق ، فمـــا حدده فلا يمكن مجاوزة تحديده ، وما أطلق علماء المسلمون أنه موكول إليهم ، ألا تراه

يقول للازواج فى ضربهم لزوجاتهم إذا خالفنهم (فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فـلا تبغوا عليهن سبيلا) فجعل غاية ضربهن الطاعة لأزواجهن ، وإن كان أكثر العلماء يرون أن التعزير لا يتجاوز أقل الحدود وهو تسع وثلاثون جلدة ، لأن أقل الحدود حد العبيد وهو نصف حد الحر أربعون جلدة ، فاستعمل الامام رحمـه الله الشـدة فى التعزير ، ليسود الأمن وتطمئن الأمة فى أحلاس بيوتهـا ، لا يعدو بعضها عـلى بعض ، وقد عمل بمثل الامام المهنـا رحمه الله الامام الصلت بن مالك ، فى تقريره لعبد الله ابن نصر ، إذ ضربه خمسين سوطا ، وإن قيل لعله اقتدى بالامام المهنـا ، قلنا هـذا أيضا ممـا يؤيد عمل المهنا ، لأنه لو لم يكن حقا مـا اقتدى به الامام الصلت ، والعلماء إذ ذاك متوافرون ، واليهم حل الامامة وعقدها ، ومـا الامام إلا كواحد منهم إلا فيمـا كان خاصا به ، أى من خصوصيات الامامة والغرض من هـذا كمـا قلنا زجر الامة وردعهـا .

فلله در الحق مـا أعلاه وما أسده نظرا ومـا أهداه .

ومن شـدته على أهل البغى والفساد أيضـا مـا عامل به بنى الجلندى ، فان بنى الجلندى كمـا سبق فى علمك أيهـا القارىء الكريم ، إنهم كانوا يعدون أنفسهم ملوكا فى عمان ، وأن لهم مـا ليس لغيرهم ، وكانوا كلما لاحظوا فرصـة أو رأوا غفلة ، هاجموا مركزا من مراكز المسلمين بعمان ، فتقوم الامامة الحالية فتقمعهم كمـا فعل بهم الامـام الجلندى بن مسعود رحمه الله ، إذ ضرب أعناقهم وقاموا فى أيام زعيمهم راشد بن النضر وخرجوا على دولة المسلمين ، فقام لهم رجال الحـق فأرغموهم على الرجوع اليه ، ووقعت وقعة المجازة من الظاهرة فدوختهم ،

وفرقت بهم فى البلاد وهكذا ، ثم قاموا فى أيام الامام المهنا بن جيفر فهاجموا تواما أى البريمى ، ذلك لأن الوالى كان غير آمل أن يهجم عليه عمانيون ليحتلوا البلاد ، وعلم الامام عليها ، وصولة الامام المهنا معروفة ، وهى لا شك أنها مرهوبة ، ولعلهم ظنوا أن الضعف بدأ يدب فى جسم الامامة ، لأن المهنا أخذ فى السن ، وبدأ الضعف الجسمى يحتل منه قواه ، فسولت لهم أنفسهم ذلك .

وقال الامام : وفى أيامه أى المهنا تحرك بنو الجلندى ، قال : ورأسهم يومئذ المغيرة بن روشن الجلندانى ، قال وشايعهم ناس من أهل الفتنة ، فدخلوا توام ، وكان أبو الوضاح واليا بها للامام فقتلوه رحمه الله ، فقام الامام لقمعهم ، وجهز لهم جيشا ولى قيادته الصقر بن عزان ، وأمر على أبى مروان رحمه الله ، وكان واليا على صحار ، بأن يخرج بمن عنده معهم ، فسار أبو مروان بجيش من صحار وفيهم المطار الهندى ، وكان من أبطال الرجال ، وكان أميرا فى جيش صحار على الهنود ، وكان للامام جيش فى صحارى من الهنود خاصة ، كان المطار قائدهم ، فكان الجيش اثنى عشر ألفا ، فهاجم الجيش البريمى ودارت رحى الحرب بينهم ، فأنى لآل الجلندى الوقوف فى وجه ذلك التيار الجارف ، فقتل من قتل منهم وانفضوا فى الأرض هاربين ، وانتصر الجيش عليهم انتصارا كليا . قال الامام : فقتل من قتل من البغاة ، وهزم الله جمعهم ، وهرب من هرب منهم وفرق الله شملهم .

قال : وعمد المطار الهندى ومن معه من سفهاء الجيش الى دوربنى الجلندى ، إذ كانوا متأهلين فيها آمنين مطمئنين ، وبذلك اغتروا فأحرقوها

بالنـــار ، وفى الدور الدواب مربوطة من البقر وغيرها ، والرجل من السرية يلقى بنفسه فى الفلج حتى يبتل بدنه وثيابه ، ثم يمضى فى النـــار ليقطع عن الدواب حبالها وتنجو بنفسها من النـــار ، قال الامام : فقيل أحرقوا خمسين غرفة أو سبعين غرفة لبنى الجلندى ومن معهم ، فهربت النساء من تلك البيوت لائذات بالصحراء على وجوههن ، يختفين فيهـــا روعة من الجيش ، فلبثن بالصحراء مـــا شاء الله ، وكان الجيش يشـــدد الوطأة إذا رأى امرأة حاملة طعاما أو ماء أراقه وأتلف الطعـــام لعله لرجال هناك ، فاضطرت النســـاء من الجوع ، وكان الجيش مخيما بالبريمى حتى إن أمة انطلقت الى القرية بالليل تلتمس طعاما وشرابا لسيداتها فى الصحراء ، فحملت ما وجدت سويقا وماء فى سقاء من أسقية اللبن ، فحملت فيـــه ماء وحملت السويق معهـــا ، ولعلهـــا أيضـــا حملت بعض الأثواب للنساء ، فرآهـــا رجل من رجال الجيش متوجهة الى النســـوة بذلك الســـويق ، وسقاء المـــاء فأدركها الرجل ، فعمـــد الى السويق فأخذه فصـــبه فى الرمل وعمد الى المـــاء فأراقه ،ثم انصرف عنهن وخلى النســـوة بضرهن . قالأبو الحوارى : فلم يقل لنـــا أحد إن أبا مروان أمر بذلك ولا نهى عنـــه ، قال : ولعله قد نهى عنـــه ولم يسمع . قلت : يحتمل ذلك أشياء أخرى منهـــا لعله علم عنهن ضررا على المسلمين ككونهن عيونا للبغـــاة أو محاربات أو جارمات على المسلمين ، ولم يفعل فيهن شيئا إلا أخذ السويق والمـــاء ، ولم يستحله أكلا أو شربا ولعل أبا مروان أيضـــا لم يعلم بذلك ، فكيف يقـــال مـــا نهى عنه ، ولعله من معرة الجيش وأنى بأبى مروان العلم بجميع مـــا يفعله الجيش من أحوال ، مع أن قيادة الجيش كانت الى الصقر بن عزان ، فمـــا وجه لوم أبى مروان ووقت الحرب تقع من الجيوش أشياء قد لا يعلم بهـــا القواد والمسئولون إلا بعد مدة من

وقوعهـا ، وقد قضى عليها فيتدارك الأمر مـا أمكنه ، وربمـا سكت عن ذلك فى ذلك الحال سياسة يقتضيها الحال •

والخلاصة أن الامام دوخ آل الجلندى هنا بعد مـا رأوا أنهـم قادرون على الخروج ، إذا توفرت عليهم النعم وشايعهم على ذلك من غره هواه ، وقاده الباطل لمـا يهواه ، فكانت عاقبة أمرهم خسرا ، وبعد الفراغ من الأعمـال تداول المسلمون القضية انتصارا وانتقادا ، فأرسل الامام رحمـه الله من ينظر فيما أحرق على أهل توام ممن لم يدخل فى فتنـة آل الجلندى ، ويقوم أموالهم بالأثمان • قال الامام ، نقـلا عن أبى الحوارى : ثم بلغنـا أن الامام بعث بعد ذلك رجلين الى توام الى القوم الذين احترقت منازلهم ، فدعوهم الى الانصـاف ويعطونهم مـا وجب لهم من الحق أ هـ •

وقد تداول العلماء هـذه القضية فيما بينهم نقدا وردا ، وذكرها الصائغى فى نظمه وحررها الامام السالمى فى جوهره ، فكانت برهانا لمثل هـذه الأحوال التى تقع من مغرات الجيوش فى كل جيل ، والحجة أعمال أهل العدل لا أفعال أهل البغى والباطل ، فيجوز كسر قوة أهل البغى والفساد بهدم البيوت وقطع الأشجار ، وتخريب الديار ، وكل مـا يوهن الباغى : (مـا قطعتم من لينـة أو تركتموها قائمـة على أصولهـا فباذن الله وليخزى الفاسقين) حتى لا تكون لهم قوة يرجعون إليها يوما مـا ، فاذا تبين هدم بيوت غير المستحق أو قطع نخلهم وأشـجارهم ، فعلى المسلمين ضمانه فى بيت المـال ، لأن الخطأ فى الأموال مضمون عـلى كل حال ، إن لم يحل الشرع إتلافه ، وقد قام الامام رحمه الله على آل

الجلندى فقمعهم ، ثم قام لمن لم يدخل فى بغيهم وقوم أموالهم ودوابهم وبيوتهم ، وليس عليه فى دين الله إلا ذلك .

ومنهـا أن الامام المهنا لما كان شديدا فى أعماله مع أهـل البغى والفساد ، كان ولاته أيضا كذلك لأنهم كما فى الحديث على دين ملوكهم ، ومن ذلك كان أبو مروان واليـا على صحار ، كمـا علمت ذلك وكان شديدا . قال الامام : كان أبو مروان يشدد على الناس المخالفين أن يظهروا بدعتهم كالقنوت ورفع الأيدى فى الصـلاة ونحو ذلك ، ومنـه تقديم تكبيرة الاحرام على التوجيه ، لأن هذا كله ممـا خالفونا فيـه ، قال الامام : قلت إلا تقـديم تكبيرة الاحرام على التوجيه ، فان فيـه قولا بجوازه فى المذهب ، لكن لم يعملوا به أى عملوا بمـا هو الأرجح عندهم ، وهو أن التوجيه من سنن الصلاة ومن مقدماتها ، وأمـا نفس الصلاة فقد حصرهـا الشارع صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : أولهـا التحريم وآخرها التسليم ، فكانت الصلاة بهـذا النص الصحيح محصورة بذلك ، فتبين أن مـا كان بينهما داخلا فى حكم الصلاة ، ومـا عداه فلا . قال الامام : وإنما عمل به المخالفون أى تقديم التحريم فى الصـلاة ، فصار شعارا لهم ، فلهـذا شدد عليهم الوالى المذكور .

قال أبو إسحاق فى تعليقه : إن مخالفينا يمنعون متى اتخذوا مسائلهم دعاية الى مذهبهم ، وفتنوا أهل المذهب فى دينهم ، ويدلك على هـذا ما سبق لك ممـا كتبه العلامة هاشم بن غيلان رحمـه الله الى الامام ، لمـا ظهر القدرية والمرجئة وغيرهم بصحار أيضا وفتنوا الناس فى دينهم ، فانه كتب الى الامام بمنعهم أو إخراجهم من صحار ، بل من عمان ، أما الذين كانوا على التزام السكينة ولا تخشى منهم بادرة ، فانهم فى حرية

مذهبهم دون أن يصدهم عنه أحد • قال : ولما كانت صحار العاصمة البحرية ، ومشهورة بسوقها يومئذ صـار الأوفاض التى ترد اليهـا من كل أرباب المذاهب والدسائس كثيرا مـا لعبت هنالك ، وكلفت الامامة شيئا عظيما من المـال والرجال ، وهددت الأمن ، لهـذا كان رجال الدولة بعد ذلك يتخذون الحيطة الضرورية للمفاجآت وكذلك الواجب :

ومن رعى غنمـا فى أرض مسبعة
ونام عنهـا تولى رعيهـا الأسـد

واعلم أن عمان كلها مـا كان فيها إلا إباضى صحيح العقيدة صالح العمل ، حتى اختلط بهم من قومنـا أخلاط أخذوا منهم كل غث ، وكيف لا ونفس المجاورة دليل العدوى وسبب لهـا ، والصبر يفسد العسل ، وقرين السـوء لابد أن ينال منه مقارنه • واعلم أن هـذا الدين لا تحفظه إلا بشدة كشدة عمر بن الخطاب رحمه الله :

ولو كان لين القـول يظهر دعوة
لكـان رسول الله حـلو المنـاطق

ولكنهم لم يخضعوا له حتى رأوا السيف أحمر يلمع فى الأفق ، ويقطر دما ، فحينئذ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ملكت فأسجح •

ولا ريب فان الامام المهنـا صان الدين بتلك الشدة ، وحفظ البيضة بتلك الصرامة ، ولله يومه بين أيام الدهر بعمـان • قال أبو إسحاق رحمـه الله لو سلك بقية الأئمة بالامامة مسلك الامام المهنـا رضى الله

عنــه ، لكانت عظمة الامامة بالغــة أوجهــا ، وكان من الدول العظمى الى اليوم ، فرحم الله أولئك الرجال العلمــاء الذين أبصروا منهم الحق فأيدوا الامامة ، ونصروا الامام على عدوه الى أن لقى الله وهــو فى عز الاسلام راضيا مرضيا ، ولكل درجات ممــا عملوا ، والله يتولى من عباده الصالحين •

حزم الإمام المهنـا ويقظتـه فى الأمور

كان الامام المهنـا بن جيفر رحمـه الله على جانب عظيم من الحزم ، وعلى منتهى حدود الفطنة من اليقظة ، وبذلك قامت له هيبـة فى عمان ، حتى اهتزت لهـا الأرجاء والنواحى ، وحتى التزمت المهرة لهـا سوق ماشيتها من المهرة الى نزوى ، وكيف لا وثلاثمائة سفينة تمخر عباب البحر حاملة للعلم العمـانى ، محافظة للبحر من القرصنة ، وخمسة آلاف فرس مهيأة لأول صارخ ، وتسعة آلاف ناقة لهـا أهميتها فى ذلك الوقت ، معدودة لرد كل باغ على المسلمين بغير حق ، وإنى أنقل لك عن الامام السالمى رحمه الله أكثر من غيره ، لأنه الموثوق به عند الخاصة والعـامة المقبول عند الأمة قبل غيره ، قال فى تحفة الأعيان :

كان الامام قد أسن وكبر حتى أقعد فاجتمع الى موسى بن على جماعة من الناس ، وهو أى موسى بن على قاض للامام المذكور ، وهـو شيخ المسلمين ومرجع الفتوى ، وهو يومئذ شيخ الاسلام ووزير الامام ، ورأس أهل الحل والعقد ، يرجع اليـه بالمشورة خصوصا فيمـا يتعلق بشئون الدولة والبيعة والخلع ، همـا أكبر شىء إذ ذاك فى نظر المسلمين ، فقالوا له : إن هـذا الرجل يعنون الامام قد أسن وكبر وضعف عن القيام بـذا الأمر ، يعنون الامامة ، فلو اجتمع الناس على إمام يقيمونه مكانه كان أضبط وأقوى على ذلك ، قـال فخرج موسى الى الامام ، فلمـا دخل عليه جعل يسأله وينظر حاله ، فعرف الامام معنـاه وفهم مراده بذلك ، فقال له : يا أبا على الى والله لئن أطعت أهل عمـان على مـا يريدون ،

لا أقام معهم امام سنة واحدة ، وليجعل لكل حين امام ويولون غيره ارجع الى موضعك فمـا أذنت لك فى الوصول الى ، ولا استأذنتنى ولا تقم بعد هـذا القول ، هـذا مـا فهم الامام من الشيخ الولى موسى بن على ، وإنه لحق لا يجهله من مارس الأمور وتنبه للمحذور ، والمعنى لو فتحنا هـذا الباب لأهل عمـان لوقع التلاشى فى الأمر ، فالأولى أن نسد الباب قبل أن يتسع الخرق على الراقع •

وكان من سياسته وحزمه ويقظته لعواقب الأمور مـا ذكره الامام فى صحيفة تسع وخمسين ومائة ، قال من خيف على الدولة منـه أكل ماله فى السجن ا هـ • ومعنـاه أن من خاف الامام ضياع دولة المسلمين منـه تناوله فأودعه فى السجن ، وبيع ماله لطعامه ، وهـذا من أعظم مـا أذل به الامام من خاف منـه الضياع فى الدولة ، وأن هـذا من الحزم بمكان لا يخفى على أهل السياسات الدولية ، ونترك النقاش فيه لمحل آخر ، بل واجبنا الآن من هـذه الناحية توضيح حزم الامام ، وبديع سياسته فى المقـام ، ولولا ذلك لمـا قامت عظمة الاسلام فى عمـان ، وحسبك أنهم لقبـوه صاحب الناب ، وكانوا يهددون به البغـاة ، فيهتزون له رعبـا ، وليت أوليـاء أمور المسلمين كذلك كلهم ، ولو كانوا كذلك لمـا لعبت الخلاعة دورهـا • وأقول بحق لم تعرف عظمة ولا هيبـة الإمام فى آل اليحمد كعظمة المهنـا وهيبته ، وذلك يرجع الى حزمه وعزمه وحسن يقظته فى الأمور التى ابتلى بهـا ، فكان لنـا به مزيدوصف فى شخصيته الموقرة ، ولكن الدهر لا يرضى ببقـاء أحد طيلة أيامه ، وأن المهنا بن جيفر بمنزلة قيد الأرض فى آل يعرب ، فانه جمع هيبة الدين والدنيا وعظمـة البر والبحر ، وناهيك بجيش فى البحر تحمله ثلاثمائة سفينة ، وفى البر تحمله النياق والخيل •

ولا شك أن ضبط الممالك تحتـاج لمثل نحو هـذه الأعمال ، فأكرم بالمهنـا وبأعماله فى عمـان ، ولو دونت لأخبارهم وأعمالهم لكانت منتهى العظمة الدولية ، ومـا دون منهـا ضاع ، وبقينـا نلتمس ذلك من ابن رزيق الشـاعر الذى يريد أن يكون من أهـل العـلم المؤلفين ، ومن سرحان بن سعيد الأزكوى وتاريخه ، لا نجـده إلا فى المكاتب الأجنبية ، وقد بدّل وغير ، ومن العوتبى الصحارى ومن منثور الفقهاء فى آثارهم عند مدحهم لمن يرضون أو قدحهم لمن يتهورون ، ومن المفهوم الذى تدل عليه إجماليات أقوالهم ولو دونت الأخبار لمـا احتجنا الى ابن الأثير يقول فينا الغث والسمين ولا صاحب المروج •

وفاة الإمام المهنـا بن جيفر رحمه الله

كان من قدر الله عزوجل لمـا خرج العالم الوحيد موسى بن عـلى من عند الامام المهنـا فى تلك الحال التى قام بها الطالبون لعزل المهنـا بدعوى أنه قد شاخ وعجز عن القيـام بأمور المسلمين ، وأن شيخوخة المهنـا أقوى من شباب غيره ، ولكن طبع بنى آدم الملل ، ولو لم يطل العهـد ، فلمـا رجع العلامة الجليل موسى بن على توفاه الله فى اليوم التاسع من شهر ربيع الأول من سـنة ٢٣٠ ثلاثين ومائتين ، وكان ولد ليلة عاشر من جمادى الآخرة سـنة ١٧٧ سبع وسبعين ومائة ، فيكون قد عاش رحمه الله ثلاثا وخمسين سنة ، وهو بهـذا قد مات فى أول نضـوج معارفه ، واستكمال شعوره واستفحال عقليته ، وقيل كانت وفاته فى سنة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين ، فيكون قد عاش فقط أربعـا وخمسين سنة • قال الامام : والأول أثبت • قلت : فان صح الثانى فيكون •• رحمه الله الأول أصح لأدلة جلية وبقى الامام بعده متأثرا بوفاته تأثرا لا مزيد عليه ، وكذلك لأسباب عديدة لا يجهلها إلا القدم الغبى •

وتوفى الامام المهنـا رحمه الله يوم الجمعة والناس فى المسجد ، قد حضروا لصلاة الجمعة ، فبعد الأذان الأول جاءهم خبر وفاة الامام ، ولم يقولوا فى صلاتهم شيئا ، فصلوا جمعتهم ظهرا ، وقاموا لتجهيز إمامهم ، وكان صلى بهم ذلك اليوم خالد بن محمد المعدى ، قال الامام : وفى الأثر كان الامام مريضـا ، وقم الخطيب على المنبر ، فبينمـا هو فى الخطبة إذ جاء رجل فأخبرهم بموت الامام ، فقطع الخطيب الخطبة وصـلى على النبى ﷺ ، ودعا ونزل من المنبر وصلوا أربع ركعات ، قال : وأحسب أنه

كان فى المسجد محمد بن محبوب، ومحمد بن على ولم أبصرهما ، ولكن توهمت ذلك لأنهم اجتمعوا فى بيت المشـــورة ،يتشاورون فيمن يقدمونه إماما ، وكأنهم أحسوا بموت الامام فى ذلك المرض ، قال وأحسب أنه قد كان فى المسجد هلال بن منير وذلك لست عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٧ سبع وثلاثين ومائتين •

فصلى عليـــه ابنه جيفر أى كان امام الصـــلاة على والده رحمه الله ، ولا تسل عمـــا ألم بعمان من دهش وروعة لوفاة الامام حفظ البحر والبر بهمتـــه العلية ، وعزيمته القوية ، ورعايته الوفية ، تحت ظل الديمقراطية الاسلامية والحمد لله الذى له الملك كله وله الأمر سبحانه من قادر كريم يفعل مـــا يشاء ويحكم مـــا يريد له الخلق وله الأمر •

إمامة الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصى

لمـا رأوا حالة الامام المهنـا بَطَل الاسلام يحيط به الحمام ، كمـا أنه على كل نفس لزام ، ورأوا أمرا لابد منـه وهو إقامة إمام ثان يخلف الأول فى المسلمين ، ويقوم بحقوق الله والدين ، اجتمعوا فى بيت المشـورة وقادتهم العلماء الأمجـاد والسادة الأجواد ، أقطـاب الهدى وعمدة أهـل الاهتداء ، وهم محمد بن محبوب بن الرحيل القرشى المخزومى ، والمعلى ابن المنير الفشحى ، وعبيد الله بن الحكيم ، وبشـير بن المنـذر ، ومحمد ابن على ، ومعهم من خيـار أهل العلم الذين نشـأوا فى ذلك الجيل الكريم الذى أحاطه ورباه المهنا بنجيفر رحمه الله ، وهم زياد بن مثوبة والمنذر ابن بشير ، ورباط بن المنذر ومحمد بن أبى حذيفة ، وهاشم بن الجهم وعلى بن صالح ، وعلى بن خالد ، والحسن بن هاشم ، وأبو المؤثر الصلت بن خميس ، وزياد بن الوضاح ، وسليمان بن الحكم ، ومن معهم من خيار المسلمين ، ولله عهـد يجتمع عليه مثل هؤلاء الأماجد الأبطال أخيار الأمة وعلماؤها فى ذلك العهد ، نظر هؤلاء الرجـال الفطاحل فيمن هو الذى ينبغى أن تعقد عليه بيعة الامامة ، فوقعت خيرتهم على الصلت ابن مالك ، فبايعوه يوم الجمعة عند غروب الشمس ، وذلك بعد الفراغ من دفن الامام الراحل لست عشرة خلت من ربيع الآخر سـنة ٢٣٧ سبع وثلاثين ومائتين ، وهو نفس اليوم الذى مات فيـه الامام المهنـا رحمه الله ، وقام بالبيعة له العلامة الجليل بشـير بن المنذر رحمه الله ، ومحمد بن محبوب رضى الله عنـه .

قال أبو المؤثر : كنـا فى المشورة لمـا مات المهنـا ، فوقع فى ثوبى

دم فذهبت أغسله فرجعت وقد بايعو للصلت بن مالك ، أو قال انقطعت الأمور فسأله محمد بن محبوب قائلا له : أين كنت أو ما أخرجك من الناس ؟ قال فقلت : وقع فى ثوبى دم فذهبت أغسله ، قال فاستتابنى أى أتهمه فى خروجه أنه وقع فى نفسه أمر لم يذكره لهم :

وإذ سخر الإله أناسا
لسعيد فإنهم سعداء

قال ابن رزيق فى سيرته : بايع المسلمون الصلت بن مالك رحمه الله وكان يومئذ رئيس المسلمين فى العلم والدين الشيخ العالم العامل القطب الفهامة محمد بن محبوب رحمه الله ورضى عنه ، بايعوا الصلت على ما بويع عليه أئمة العدل من قبله ، قلت : كان قبله أربعة أئمة عدول ، وكان الصلت الامام الخامس : وكانت البيعة له على نسق البيعة لإخوانه المتقدمين •

قال الامام : وكان المشهور فيهم أى الذين بايعوا الصلت محمد بن على القاضى ، ولعله أخ لموسى بن على ، وسليمان بن الحكم ، ثم ذكر الذين سبق ذكرهم ، قال :ومنهم أناس من أهل العلم والفضل ، وإن لم يبلغوا مبلغهم فى العلم منهم بشير بن المنذر ، وكان سيدا من سادات المسلمين بعزمه وقوته على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فبايعوا الصلت بن مالك رحمه الله مع من حضرهم من المسلمين ، وقدموه عليهم ، وسلم الناس لهم وسمعوا وأطاعوا ، ولم يخالفوا فى ذلك ، قال أبو قحطان : أجمعوا على إمامة الصلت بن مالك وولايته وولاية من قدمه من المسلمين • قال : وأجمعوا على نصرته وتحريم غيبته والامتناع

عن طاعته ، قال : وقيل فى موضع آخر ثم ولى الصلت بن مالك وكان يومئذ بقايا من أشياخ المسلمين وفقهائهم رحمة الله عليهم ، وإمامهم يومئـذ محمد بن محبوب رحمـهالله وغفر له ، فبايعوه على مـا بويع عليه أهل العدل قبله ، فسـار الصلت بن مالك بالحق فى عمان مـا شاء الله ، حتى فنى أشياخ المسلمين جملة الذين بايعوه ، لا نعلم أن أحدا منهـم فارقه ، وعمر الصـلت بن مالك فى إمامته مـا لم يعمر امام من أئمـة المسلمين فيمـا علمنا ، حتى كبر ونشـأ فى الدولة شباب وناس يتخشـعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ويبطنون حب الدنيـا ، ويأكلون الدنيـا بالدين ، فلمـا طال عمر الصلت بن مالك رحمة الله عليهم ، ملوه لمـا كبر وضعف ، وإنمـا كانتضعفته من قبل الرجلين ، وأمـا السمع والبصر والعقل واللسـان فلم نعلم أنه ضـاع منه شىء ولا نقص منه شىء هذا كلامه نقله عنه الامام فى تحفته •

قال : وسيأتى أنه كان يبرأ ممن عزل الصلت • قال : وكان أبو مروان رحمـه الله تعالى واليـا للمهنا على صحار ، كمـا سبق • قال : فعزله الصلت فخرج أبو مروان الى نزوى ، فأقام بهـا حتى توفى ، وولى ابن مالك صحار محمد بن الأزهر العبدى ، وقدم محمد بن محبوب صحار فى سنة تسع وأربعين ومائتين ، فولى القضاء بهـا من قبل الصلت بن مالك فنعم الوالى ونعم المتولى ، وأكرم بابن محبوب إذ ذاك السـيد العليم الموقر جرثومة الفضل والشرف ، وبصحار فى عهـدة وهى المدينة الجليلة يرف عليها العلم الأبيض تحت ظل سادة المسلمين أهـل الفضل والشرف ، ومن ورائهم الصـلت بن مالك الذى لا ينكر فضله ولا يجهل مقـامه •

الامام الصلت يجهز جيشاً لاسترداد سقطرى

أصلت الصلت للمعادين إصليت انتقام فبادت الخصماء

كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلهـا تحت راية إمام عمان ، حتى جاء النصارى بأسطولهم فهاجموا سقطرى على غير علم من إمام عمان ، وهى فى شقة بعيدة إذ ذاك ، ولا طريق لهـا من البر والبحر لا يمكن عبـوره إلا فى الموسم الخاص ، وبذلك أخذوا الفرصـة لهذا العمل ، ومن للامام ومن لأهـل عمان أن يعلموا بمـا فى تلك الأجواء ولا برقيات ولا مخابرات ولاطيارات ولا بواخر إلا التى فى المواسـم المعروفة ، وكان القاسم واليـاً عليها من قبل الامام بعمـان ، فاتصلت الأخبار بالإمام بعد مدة طويلة ، وكان من جملتهـا قصيدة أنشأتها امرأة من أديبات سقطرى تستنهض بهـا الامام وتستغيثه على هؤلاء العائثين فى البلاد ، وتخبره بالواقع بعبارات تذيب القلوب الجامدة، وتحرق الأذهان المتوقدة ، وتحرك المشاعر الواهية ، بأشبه بكلام الخنسا ولا ريب للأدب تأثير فى القلوب أشد من تأثير النار فى جزل الغضا ، تقول فيها

قل للإمام الذى ترجى فضـائله
ابـن الـكرام السـادة النجب
وابن الجحاجحة الشم الذين هم
كانوا سناها وكانوا سادة العرب
أمست سقطرى من الاسلام مقفرة
بعد الشرائع والفرقان والكتب

وهكذا ذهبت تذكر الأحوال الحاضرة بعد الأعمال الغابرة ، وتندد بالحوادث الجائرة والأفعال الخاسرة ، وتستثير حفائظ المسلمين على ما أصابهم من أولئك الطغاة المتمردين •

فانهم لما هجموا على البلاد قاومهم الوالى فقضوا عليه وعلى من معه ، وتولوا أمر البلاد كأنها لا زائد عنها ولا رادع ولا راد ، فدمروا البلاد وهدموا المنازل ، وخربوا المعاهد حتى عم البلد الكفر ، فلا إسلام ولا داعي اليه ، ولا أذان إلا نواقيس النصارى ، وانتشرت فيها الفوضى وفضت الأبكار ، ومزقوا كل ما قدروا عليه فى بلاد المسلمين ، وفعلوا الأفاعيل المنكرة والحال هم آمنون مطمئنون يفعلون ما يشاءون ، وهكذا شأن العدو إذا رأى فرصة فى عدوه فلما تحقق الامام الصلت حقيقة الأمر هزته أريحية الدين ، وأشعلت ضميره القوى ، وهزته ولا هز العواصف لعالى الغصون ، فأجابها بلسان الحال بمثل ما أجاب المعتصم المرأة المغربية ، فكانت هذه أخت تلك ، فقام لجمع الرجال الصناديد الذين يهشون للجهاد هش الإبل العطاش الى الماء ، فانتقى شرارة الرجال ، وجهزهم تحت قيادة محمد بن عشيرة ، وسعيد بن شملال البطلين المنتخبين ، وعهد إليهما عهدا عظيما لا تسل عما حوى من فقه ، وما انطوى عليه من واجب ، وما حرر فيه من آراء ، وما بين فيه من سياسة ، وأودع فيه من أوامر ونواهى وما جمع فيه من أفكاره المتقدة وحماسه المزدحم ، غيرة على انتهاك الحرم ، ولو كان القرآن من كلام الآدميين لقلنا إنه قرآنهم ، وقد حوى ذلك الكتاب من الآثار ما يبهر الأفكار ، كما اشتمل على خمس وثلاثين آية كل آية يحتمل شرحها مجلدا ضخما ، ومن الأحاديث النبوية احتوى على معانى أكثر من مائة حديث ، لها قيمتها الفقهية ، وفيه من التحريض

شىء يقيم الجائم على ركبتيه ، ويرد الشارد الى الحق ، ويجعل الجبان شجاعا فى دينه ، بحيث لا يرى للموت قيمة ولا للحياة ثمنا حتى يدوس على هامة الكفر برغم أنفه ، وقد قدر لهم عقيدتهم حتى لا يتزعزع عنها أحد ولو أطبقت عليه السماء والأرض ، فاسمع قوله رحمه الله :

وقولوا كما قال إخوانكم لوضربونا حتى نبلغ الغاف من عمان لعلمنا أنا على الحق وهم علىالباطل ، وأنهم حزب الشيطان وأنتم حزب الرحمن ، وبين حكم ما يغنمون وكيف يفعلون فيه فى كتاب يصدق عليه اسم مصنف لاحتوائه على تلك التقارير الدالة على غزارة علمه وسعة فقهه وحسن سياسته، فلله در امام كالصلت الكريم ما أعلى نظره وما أوفى عمله وأصدق فعاله ، وإنه ليحق أن يجعل درسا فقهيا يلقن الطلبة فحواه ، فانه لم يبق من أحكام الفقه شيئا إلا ذكره خصوصا فيما يتعلق بأحوال الحروب ، وقد استهله بجواهر التوحيد ، وتعظيم الملك المجيد ، وبث فيه من المواعظ ما تنفطر له الأكباد ، وترق له الأحجار القاسية ، ووصى فيه بالتقوى ، ودعا فيه الى الصبر على البلوى ، فهو حجة المسلم المخلص لربه ، وعماد الشجاع المجاهد فى دينه ، وكان القائد لهذا الجيش محمد بن عشيرة ، وينوب عنه سعيد بن شملال ، وكل واحد منهما يقوم مقام صاحبه إن حدث بأحدهما حدث ، وفى مقامها حازم بن همام ، وعبد الوهاب بن يزيد ، وعمر بن تميم ، وعرضت تلك الأساطيل لحمل أبطال عمان ، فكانت مائة بارجة وبارجة حربية مهيأة لغزو العدو ، وهى التى أحاط بها الامام المهنا ابن جيفر البحر العمانى ، فلا تزال سابحة فى البحر ليلها ونهارها ، تمخر عباب اليم عليها راية عمان البيضاء رمز الايمان والتقوى ، وشعار الرشد والهدى، فساحت تلك الأساطيل الضخمة حتى أحطت أشرعها

على الجزيرة ، ولا تسأل إذ ذاك عن فرح المسلمين ، وضيق المشركين لما رأوا ذئاب عمان وأسودها تنزل من تلك البواخر تنادى بالجهاد ، وتقتحم حدود البلاد ، بالأسياف الحداد ، فكم عين باكية ، وكم دمعة شاكية وكم طعنة نجلاء نافذة ، تزهق روح طعينها حتى تمزق المشركين ، واجتمع شذاذ المسلمين وعسكروا بها للاطمئنان ،وكبح جماح العدوان ، حتى جرت المياه فى مجاريها ، وثبتت قواعد الشريعة على مبانيها ، وارتفع صوت عمان على ربوعها •

قال العلامة أبو إسحاق : المراد بهؤلاء النصارى الحبشة ، والظاهر أن عهد الاستعمار البرتغالى للشرق لم يكن منذ ذلك العهد ، والعبارة تفيد أن هؤلاء حاولوا الاستيلاء علىالجزيرة من قبل ، ولكن لا قبل لهم بقوة الامامة ، أو كانوا هم من سكان الجزيرة ، فتعاهدوا مع الامام ثم نقضوا عهدهم ، قال : ولم يسبق لهذا هنا ذكر ولعله إغفال من المصنف ، يعنى الامام السالمى رحمه الله ، قال فقوله : خانت النصارى ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين ، مشعر بهذا • قال ذكر محمد على الزرقانى فى تاريخه المسمى عمان صحيفة ثمانين ،أن الحبشة تغلبت على سقطرى فى عهد الامام الصلت ، فأرسل أسطولا مؤلفا من مائة سفينة استعادت سقطرى ، وطردت الحبشة من الجزيرة •

قال ياقوت الحموى : وفيها أى سقطرى من جميع قبائل المهرة ، وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى ، قال : ويذكرون أن قوما من بلد الروم طرحهم بها كسرى ، ثم نزلت بهم قبائل من مهرة وتنصر معهم بعضهم الى أن قال : وسكنها قوم من المهرة وقوم من الشراة ، قال : وظهرت بها دعوة المسلمين ، ثم كثر بها الشراة فعدوا على من بها

من المسلمين ، وقتلوهم وأنت خبير أن اسم الشراة مخصوص بجيش عمان ، وكأنه يشـير الى هـذه القضايا ، فان الشراة قتلوا البغاة فى سقطرى وتولوا أمر البلاد ، فان دعوة المسلمين ظهرت فيهـا بأهل عمـان ، لمـا استولى العمانيون على مهرة وحضرموت ونواحيها ، وسقطرى ومـا يليهـا ، وكأن النصارى المذكورين هم الأهالى الذين ذكرهم الحموى ، وأنهم من الروم وأكثر الروم نصـارى ، فلعل القوم كانوا على عهـد مع أئمة عمـان ، ثم سولت لهم أنفسهم على أن يستبدوا بالبلاد لبعـد الشقة العمانية ، وقيل كان بهـا قوم من اليونان ، وهم أيضـا نصارى ، ولمـا احتلها العمانيون بقى النصارى على نصرانيتهم بالعهد ، فلذلك قال الامام : خانت النصارى ونقضوا مـا بينهم وبين المسلمين ، وهى جزيرة عظيمة وبهـا نخل كثير وفيهـا أمم ، فرجعت سقطرى تحت راية الشراة ، ونصر الله الامام وأيد الله أهل الحق على أهل الباطل ، وذلك فى عهـد قيـام دعوة أئمة عمـان .

وكان الصلت بن مالك رحمـه الله عاصر المتوكل على الله جعفر بن ابراهيم ، ثم الواثق بالله هارون بن جعفر المتوكل على الله ، ثم محمد المنتصر بالله ، ثم أحمد المستعين بالله بن محمد ، ثم أبى عبد الله محمد المعتز بالله ، ثم جعفر بن هارون الواثق بالله ، ثم جعفر المهتدى بالله ابن هارون ، ثم أبى القاسم أحمد المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله ، وفى عهد هـذا توفى الامام الصلت ابن مالك ، فهؤلاء الملوك الذين ذكرناهم عاصرهم أئمـة المسلمين بعمـان ، ولم يكن بينهم وبين أهل عمان بشىء منـذ عهد هارون الرشيد الذى هم بحرب عمان ، لمـا قتل العمانيون ابن عمـه عيسى بن جعفر أيام جاء عمـان مهددا بغزو عمـان ، فكفى الله العمانيين شره ، وشر من بعـده ، الى أن

قام المعتضد بالله ، وقام محمد بن بور والى البحرين على عمان ، كما سوف ترى ذلك إن شاء الله فى محله .

وطول مدة الامام الصلت فى الامامة لم يتحرك عليه أحد من الملوك ، وذلك توفيق من الله حتى تحرك عليه أقرب النـــاس اليه ، وهم قومه وأهل دينـــه ووطنه ، وكان بينهم مـــا كان ممـــا دونه العلماء وطال خطبه لديهم ، والأمر لله عز وجل يفعل مـــا يشاء ، ويحكم مـــا يريد ، فتبين أن شراة الامام الصلت بن مالك هم الذين احتلوا مدينة سقطرى ، ونشروا فيهـــا الاسلام ، وعلموا أهلها الحلال والحرام ، وأقاموا فيهـــا منـــار العدل ، وحسبنا إشارة ياقوت الحموى عنهم برهانا على ذلك ، فان التاريخ العمانى الموجود لم يفصل لنـــا شيئا عن هـــذه البلاد ، ولا عن النصارى المشـــار اليهم ، وتواريخ الافرنج لم تتحدث عن الشرق ، إلا فى حدود القرن السادس الهجرى ، وهو القرن الثانى عشر الميلادى ، والتاريخ العمانى قد ضاع أكثره وبقى كلمات مبعثرة هنا وهناك .

الإمــام الصلت بن مالك يتأثر بالسن

وتبنى عليــه الادعــاءات

لا ريب أنه مهمــا كان يؤثر فى الانســان كل آن ، مــا طال الزمان كان تأثيره على الانسان بغير نكران كما قيل :

أليس ورائى أن تراخــت مــنيتى
لزوم العصا تحنى عليهــا الأصابع

وهذا أمر طبيعى معقول لا ينكره أحد من الناس فيما علمناه :

إن الثمــانين وبلغتهــــا
قــد أحوجت سمعى الى ترجمــان

وهــذا من أدلة عجز الانســان ، وأن الكمال لله وحده ، فهــو الذى لا يعتريه النقص ولا تلم به الأحداث ، بلغ الامام الصلت من الكبر عتيا ، وإذ ذاك اتجهت الأذهان نحو الامامة فرأى فريق القيــام على الامام ليعتزل ، وان لم يعتزل يعزل ، وكــان هــذا الحال عند العمانيين من الصفات اللازمة لهم ، وكان المحذور ضياع دولة المسلمين أن يقع فيهــا خلل أو يطمع فيهــا أهل الأهواء أو يرى البغى بضعف الامام فرصة تخوله الأمانى للزعامة ، فيقع بذلك شق عصــا المسلمين ، وقد علم ممــا سبق قيامهم على الامام عبد الملك لمــا أسن رحمه الله ، قاموا يحاولون عزله ولا زالوا يؤنبون العلامة الجليل موسى بن على بقولهم هــذا الشاب لم

يعزل عنا الجبل ، وهكذا حتى وقع بين الامام عبد الملك وموسى بن على مـا وقع ، ممـا فهمه الامام من نقاش الشيخ العلامة مختبرا حـال الامام ، فرد عليـه الامام بقوله : اذا أطعت أهل عمـان فانهم يريدون كل يوم إماما ، ومـا أذنت لك فى مجيئك ولا استأذنتنى ونحـو ذلك الكلام ، لكن الامام بقى فى إمامته لأن الوزير الخطير لم يرض أن يزيل الجبل ، ولمـا رأوا الامام الصلت بدأ به الضعف اهتموا بأمر الدولة ، وظلوا يدرسون الوضع الحالى ، وهم بين راغب لعزل المذكور بنشـاط ، وبين معارض بنشاط ، وبين متوسط فى الأمر ، وكان الصلت واعى الذهن متقد البصير ، يهمـه أمر الدين لا أقل من الثائرين عليه لعزله ، وكان واجبهم شد أزره والعون على مهماته ، فان أمر الدولة فى أيدى رجالهـا ، مـا كان الصلت بن مالك إلا واحدا منهم ، وهيهات أن يعارضهم فى صلاح يقومون به فى الأمة ، لكن الآراء اختلفت والأنظار تباينت ، وبذر الشقاق .

رأى الصلت له طلائع كأنهـا رؤوس الشياطين ، فكان الرأى السديد ركوب أهون الأمرين ، وكان الصلت وافر العقل يرى الحقيقة من خلف الستار ، وعلم أنهم غير تاركيه لمـا يدرى من طبعهم ، وكان موسى ابن موسى بن على الزعيم المقدم فى أهل عمان احتراما لمقـام أبيه العلامة المطاع ، فى الخاصة والعامة ، رأى موسى الثانى له فى الأمة مـا لأبيـه المرضى ، فقام محاولا تلك المنزلة فسار الى نزوى لهـذه المهمة ، وتابعه من الناس الذين هم على رأيه عبيد الله بن سعيد بن مالك الفجحى ، والحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى ، وفهم بن وارث الكلبى من كلب اليحمد ، والوليد بن مخلد الكندى ومن شايعهم حتى نزلوا بفرق ثغر نزوى ، واشتهر خبرهم ، وبلغ الامام اجتماعهم ، هنا تحقق الامام عزيمة القوم ، ولعله رحمه الله لمـا رأى القوم مهتمين بأمر دينهم ،

وبشئون دولتهم سره ذلك ، فقيل إنه خرج من بيت الامامة قبل أن تصله دعوتهم ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وكان قد مضى له فى الامامة خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوما •

قال الامام : ولما خرج الصلت بن مالك من بيت الامامة ، بلغ ذلك موسى بن موسى والذين معه بفرق ، فبايعوا راشد بن النضر ذلك اليوم ، وهو يوم الخميس • قال : وتفرق رأى المسلمين يومئذ ، وفسدت أمورهم واختلفوا فيما بينهم فى الرأى ، ووقعت الفتنة ، وذلك فان قوما كرهوا امامة راشد بن النضر ، ولعلهم لا يرونه أهلا للامامة ، وبعضهم كرهوا نهوض موسى بن موسى ويرونه استبدادا بالأمر ، وامتنع من بيعة راشد عمر بن محمد الضبى ، وموسى بن محمد على ، ولعله ابن أخى موسى ابن على ، وعزان بن الهزبر ، وزعر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم ، وشاذان بن الامام الصلت بن مالك ، ومحمد بن عمر بن الأخنس ، وغدانة ابن محمد ، وأبو المؤثر الصلت ابن خميس ، هؤلاء العلماء الجهابذة الأجلاء قادة الأمة وهداتها • قال لم يزالوا مستمسكين بامامة الصلت بن مالك الى أن مات رحمه الله • قلت : من المشاكل العويصة حيث ان الامام تخلى من الإمامة واعتزل الى بيته الخاص به مسلما للأمر ، ويبقى هؤلاء الأشياخ الأجلاء متمسكين بامامته ويعتبرونه إماما ، وليس فى يده من الأمر شىء حسبى الله أنا أجهل تحقيق المقام على هذا الأصل ، قال : وبلغ الخبر بموت الامام الصلت إذ مات رحمه الله ليلة الجمعة بالنصف من ذى القعدة سنة ٢٧٥ ، ودفن يوم الجمعة ، وكان صلى عليه عزان بن تميم ، فلما علم القاضى

عمر بن محمد خرج الى نزوى فتكلم قائلا : اليوم مات إمامكم فتمسكوا بدينكم ، أى كأنه يراه باقيا على إمامته ، ولا يرى إمامة راشد بن النضر • قال : وحدث يعقوب بن غيلان عن الفضل بن الحوارى أنه دخل نزوى أيام راشد بن النضر ، فاذا هم على سبع فوق (إنا لله وإنا اليه راجعون) ، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) •

ولا شك أن بذر الشقاق قد وقع ، ولابد أن يثمر الافتراق والنظر فى العواقب ، يجب قبل الدخول فى الأمر وإلا كان فيه الدمار ، وكان ذلك رأى العين حتى آل أمر أهل عمان على التلاشى ، إذ طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، فعوقبوا بشر ما اكتسبوا كما سترى أيها القارىء من ذلك العجب ، فان أهل العلم بعضهم يعذر موسى وراشدا ويلتمس لهم المسوغ والمبرر ، ويحملهم على أحسن الأحوال عنده ، وبعضهم يباين المذكورين ويتأول فيهم التأويل الذى يطبق عليهم القضايا السيئة ، وبعضهم أشكل عليه الأمر ويقول كيف اعتزل الصلت قبل قيام الحجة ، ويعلم ما عندهم ويجمع المسلمين له ويعتذر اليهم ، ويتخلى من الأمر بين أيدهم ، وكيف يقوم القوم لعزل إمام ثبتت إمامته بالاجماع ، ولم يقترف حدثا ؟ وهكذا صار النقد والانتقاد والاعتراض بين هؤلاء الأطراد ، والحقيقة من التمس عورات أخيه وجدها ، فان كل انسان له زلات وسيئات ومشكلات يعلمها فريق ويجهلها آخر ، وهكذا من يحمل أخاه على أحسن الأحوال يسلم من معرة القيل والقال إن لم ير كفرا بواحا أو هوى متبعا أو إعجابا برأى ضال ، وقد نهى الله ورسوله المؤمنين الافتراق والتنازع ، ولكن اذا أراد الله أمرا كان ، ولا ينفع فيه نصح ناصح ، ولا يؤثر فيه عقل عاقل ، واذا جاء القدر عمى السمع والبصر •

فالفريق الداعى الى عزل الصلت بن مالك يقول : ان الصلت صار الى حد الضعف والزمانة العجز عن القيام بالامامة ، وخاف المسلمون ذهاب دولتهم وزوال نعمتهم ، وكان موسى بن موسى فى وقتــه هو شيخ المسلمين وامام أهل الدين، فلمــا صاروا بفرق مكثوا بهــا ، وقد اجتمع بموسى أخلاؤه وساروا لينظر المسلمون فيمــا فيه عز الدين ، ولمــا قروا بفرق بقيت الرسل فيمــا بينهم والامام ، فقال الامام : ما يطلبون ؟ فقالوا قد صرت الى حد الضعف ، ويخافون ذهاب الدولة ، ويسألونك أن تعتزل حتى يقوم رجل يحيى به الله هــذا الدين ، أو نحو هــذا الكلام ، قال : انظر فى ذلك ، فبقوا أياما ينتظرون رأيه ثم عزم على الاعتزال وحول مــا فى منزله الى المنزل الذى تحول فيــه ، وأرسل اليهم أنى قد اعتزلت ، فينظر المسلمون • قال : وممن أرسل اليهم الحسن بن سعيد وحضر قوله هذا الحسن من شاء الله من الشراة ، وشهدوا أنه أرسل الحسن بحضرتنــا غير مجبور ولا مقهور ، ثم برز الى الناس وودعهم وداع تارك للأمر معتزل بنفســه : عمــا كان فيه من الأمر ، وأمرهم بحفظ العسكر الى أن يصــل القــوم •

قــال : من قال الى ان يجىء موسى ، وقال من قال : الى أن يجىء إمامكم ، وكان عنــه فى العسكر خلق كثير ، قال فناظره من ناظره قائلين له نترك إمامتك فزعق بهم على مــا بلغنــا ، ولم يلتفت اليهم ، فعنــد ذلك انفلت من شاء الله من الناس الذين كانوا معــه الى موسى بفرق ، وجاء الى موسى رسوله ، وكتــاب عزان بخطــه يستحثهم بالتعجيل الى العسكر ، وكان أمره وأمرهم الى المسالمة ، وعاش بجوارهم الى أن مات رحمــه الله ورضى عنه ، عاش خادما للمسلمين ، ومات وهم عنــه

راضون ، وشهد أيضـــا ببراءته من الأمر الحسن بن سعيد المذكور ، ومحمد بن القاسم ابن مسبح •

وقال فى موضع آخر صحيفة ٢٠٠ : فأمـــا الصلت فانه ضعيف وصار الى حد العجز عن حمايته وعزل نفســـه ، وتبرأ الى المسلمين من إمامته ، وكان اعتزاله شاهرا ظاهرا ووضحت براءته من الامامة بالبينة العادلة عندما • قال : فلما اعتزل ولى المسلمون راشد بن النضر ، وبعث الصلت ابن مالك اليه بخاتم الامامة ، ومفاتيح الخزانة ، ولم يعارضـــه فى شىء قلت : وهـــذا يدل أنه كانت لهم فى الامامة اعمـــال خاصة كالخاتم والكمة والسيف ، فكأنهـــا خاصة بالامامة ، ولم ندر مـــا صفة هـــذا الخاتم وما وظيفته ، وكذلك الكمة ، ولم ندر ممـــا هى • قال : وعاش الامـــام الصلت فى جوار الامام الجديد قريبـــا من سنة الى أن مات • قال : وليس يذهب عليكم مـــا كان له من أعوان ، ومن الاجابة والقدرة من أهـــل عمان ، لو كان مقهورا أو أراد القتال • قلت : إذا كان بهـــذه المنزلة فكيف يقال انه عاجز وضعيف ، أمـــا إذا كان لو أراد القتـــال استطاعه وأن له على ذلك أعوانا يجيبون دعوته ، فليس بعاجز ، لأن الامام من أصله لا يباشر الحروب بنفســـه إلا شذوذا ، أمـــا قتل الامام الجلندى ، فلأن الجيش كله فنى حتى بقى هو والقاضى ، وهو دليل أنه لا يباشر القتال ، وإنمـــا كان الجلندى باشر القتال ، إذ بقى فريدا مع القاضى ، وفضـــل رحمه الله الموت مع إخوانه فى رضى لله عز وجل ، قال الذى يتحدث الامام السالمى عن الذى يتحدث عنـــه فى تحفته ، وعندنا أن موسى كان يريد عز الدين أى وان لم يوفق فالتوفيق شىء آخر ، وصلاح المسلمين الذى أراده موسى ليته كان على غير هـــذا الوجه •

قال : والذى عرفناه من رأيه وعزمه فى آخر عمره أنــه كان يريد اجتماع المسلمين مع أهل العلم فى الدين والرأى الموثوق بهم حتى ينظروا فى أمر الصلت بن مالك ، وراشد بن النضر ، وعزان بن تميم ، فحيث كان الحق تبعه وإنه راجع الى الحق فى ذلك والى رأى المسلمين . قال : وكان موسى قد كتب الى من كتب اليه من المسلمين من أهل سلوت فى آخر أيامه قلت : هذا يدل أن موسى بن موسى ندم على مــا صار ، وأراد الرجوع الى المسلمين والتسليم إليهم ، وعدم الاختصاص عنهم ، وقال فى موضــع آخر ، وكتب أى الصلت الى عزان بن تميم بخطه يذكر اعتزاله ويستحثنا على التعجيل ، فلمــا صح عندى أنه برىء واعتزل اتفق المسلمون هنالك على مــا كانوا اتفقوا عليه ، فهــذا أمر الصلت بن مالك وليس عندى فيــه شك أو ريب .

قال وفى كتاب عن الفضل بن الحوارى قال فى الصلت بن مالك : إن الناس فيه فرق : فريق قال اعتزل ، وفريق قال عُزِل وفريق قال استحق العزل ، وفريق قال لم يستحق العزل . قال : والظاهر الشــاهد أنه قد اعتزل لأنه ترك العسكر وتخلى عن المسلمين وعن بيت مــا لهم وسلاحهم ، وترك سجنين مخوفين قال : وركب بعيرا وخرج حتى نزل دار ابنــه من غير ألا يلقى من القوم حجة مــا يريدون أو نصيحة أو عزلا أو دعاء الى توبة ، وقال لمن بقى فى العسكر : احفظوا عسكركم حتى يأتيكم امامكم ، وقال قوم : أتانا كتاب ممن تخلف على العسكر أن يعجلوا الى العسكر ، والمراد بهم جيش نزوى خاصة . قال الامام : قد اعتزل فقــدم القوم اماما وساروا حتى نزلوا العسكر ، وقدم امام مكانه ، وبعث اليهم بالخاتم والكلمة وآلة الامامة ، وكأنهــا أشياء تختص بشعار الامامة ،

قال ولم يقل لهم بينى وبينكم الحق ، فانى لم أعتزل • قال فأى اعتزال أبين من هـذا من غير أن يرى حربا ولا اختراط سيف ولا هدا بمعصـا ولا رميـا بحجر ،فان قالوا اعتزل تقية خاف على نفسـه ، فأئمة العدل القاطعة للشرى لا تسعها التقيـة ، وعليهـا الجهاد حتى تقتل أو تقل ، كمـا قال الله تعالى • فان قالوا كمـا قلنـا قد صار الى حد ضعفـه وعجز عن الامامة وجاز له الاعتزال ، ولو أنه خرج هاربا فلحق بالرستاق أو بالجبل وترك دولة المسلمين ، وقال لم أعتزل أو خرج الى جلفار وأبعد وحده وتخلى عن الأمر ، ثم قال : لم أتبرأ كان على المسلمين أن يدعوا دولتهم ويضيعوها أو يقوموا بهـا ، مع أنهـا حجة ضعيفة داحضة ، واعتزاله كان شاهرا ظاهرا ، فهو إذا تحول من موضع ولم يكن له إلا أن يعرج بعسكره وخيله ورجاله ، وبيت ماله ويدعو القوم الى الحق ، ويكون اعتزاله الى موضع يرجو فيـه الأصلح للمحاربة والاعتذار الى آخر ما أطال فيه •

فهذه دعوى موسى بن موسى ، وراشد بن انضر ، وهى محتملة للحق والباطل ، ومـا تعودوا الكذب ومـا يستحلونه ، وترك إنكار الصلت على موسى وراشد يسوغ لهم احتمال الصحة لمـا ادعوه عليه ، لأن ترك النكير ممن له النكير حجة ، فلو باع رجل مال رجل وهـو فى المجلس لا يغير ولا ينكر ، وهو حر بالغ عاقل قادر على الإنكـار غير خائف ولا متق ثبت البيع عليـه ، ولا يقال للبائع انه تعـدى على غيره ، أو أنه ظلمه أو غصـبه ، فظهر من ذلك احتمال صحة مـا ادعاه هؤلاء •

قال الامام السالمى رحمه الله : وأما دعوى المتبرئين ، أى من موسى ابن موسى وراشد بن النضر وأعمالهم •

قال أبو قحطان : نشأ فى الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع يظهرون حب الدين ، ويبطنون حب الدنيا ، ويأكلون الدنيـا بالدين ، فلمـا طال عمر الصلت بن مالك عليهم ، ملوه لمـا كبر وضعف ، وإنمـا كان ضعفه من قبل الرجلين ، وأمـا السمع والبصر والعقل واللسـان فلم نعلم أنه ضاع منـه شىء ، قال : فلمـا ذهب أعلام المسلمين وفقهاؤهم وأهل الورع ومن يطلب الآخرة ، وبلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يختبر أهل عمـان كمـا اختبر من قبلهم ليعلم المطيع من العاصى ، وقد علمهم من قبل أن يخلقهم ، ابتلى الله أهل عمـان برئيس وعلمـاء من علمائهم ، كمـا ابتلى غيرهم ، فلمـا اختبرهم قل بصرهم وزالت عقولهم ، وحاروا عن الحق ، وخالفوا سـيرة المسلمين إلا قليلا ، أنقذهم الله . قال : فخرج موسى بن موسى من أهـل بيت علم وورع أى والده موسى بن على وحده على ابن عزرة ، وكانوا أعيـان قومهم وعيون أمتهم ، وأراد أبو قحطان بالرئيس المشـار اليه موسى بن موسى المذكور . قال : فقام موسى بن موسى فى أهـل عمان يتكلم بلسـان فصيح ، ويهتف ويصيح فى مجلسه ، وفى المجامع أى يتكلم بكلام فى الدولة وأعمالهـا ، ولعله رأى أشياء ، لا تنبغى ، ومـا من دولة على عهـد الدنيـا إلا وهكـذا حالهـا ، كما فهمنا ذلك من سير المتقدمين وتواريخ الأقدمين ، والمعول على الحق ، وله أصول وفروع لا تزال معروفة ، وكل شىء ليس عليه أمرنا فهـو رد .

قال أبو قحطان : ومرة يطعن فى الامام والقاضى ، أى موسى بن موسى قال : ومرة يطعن فى الولاة والقضـاة والشراة ، ومرة يطعن فى غيرهم ممن يقوم بأمر الدولة ولا يوضح على الامام حدثا أحدثه ، ولا على

أحد من أصحابه ، ولا يسم للامام بمفكرة ولا يبين مـا يدعو إليـه إلا أنه يظهر أنه ناصح للدولة وأهلهـا ، ويصـل الى الامام ويتكلم بما لو كان غير الصلت بن مالك لحبسـه فى السجن أو يوضـح على مـا يقول برهانا ، أويمسك لسـانه عن شتم أهل الدولة ، ولكن الصلت كان رفيقـا بأمته ، أى يرى لموسى بن موسى مقاما محترما عند الناس ولا يحب أن يكدر صـفوه ، ويحتمل فى نفسـه احتسابا لله ، ولا تخلو دولة من هنات ، وليت موسى إذ يرى خللا على الدولة يصلحه من حيث يعلم الامام ، ومن حيث لا يعلم ، أو يقـوم على الامام باخوانه المسلمين وينتقـد على الامام ويسمع هل للإمام جواب معقول أو مقـال مقبول ، أو عذر صحيح شرعا يسوغ له ذلك •

قال أبو قحطان : وكان يجله لموضع والده موسى بن على رحمـه الله ، قال ولم يكن يأمل فيـه هدم الدولة • قلت : ومن رأت لنفسـه مـا ليس لهـا هكذا تقول له نفسـه ، فان المسلمين كانوا يجلون موسى بن على لصـلاحه ، ويحترمونه لفضله لا لتعاظمه عليهم ، وللقدح فى أعمالهم ويرى أنه احق بذلك منهم ، وليقـل فى نفسـه ابتلينا بعد ذهاب علمائنا وأخيارنا ، وعلينـا أن نسدد ونصلح ويشد بعضـنا عضد بعض حتى يوفق الله الأمة لمـا فيه صلاح دينهـا ، لا أن يتكلم مطلق اللسـان بغير مبالات فى المجالس ، كمـا يذكرون عن هـذا الشيخ الرئيس أصلح الله شئون الرؤساء •

قال أبو قحطان : ولم يكن يأمـل أى فى موسى بن موسى هـدم الدولة ، لأنه كان يظهر أنه يسعى فى عزها وعز أهلهـا ، وإذا هو يسـعى فى هدمهـا وفسادها للذى سبق فى علم الله عز وجل ، قلت : لعـل ذلك

اجتهاده ومـا كل مجتهد موفق ، قال : فلم تزل الأيام ترى به ومجالسه تغلظ وهـو يوشب ، أى يكبر على الدولة ، ويسـعى فى هدمهـا وهدم عزهـا ، ويظهر أنه يريد إعزازهـا حتى انتهيت به الأيام أن مجع الأعراب والطعام من النـاس ، ومن يسرع الى الفتنـة ، قال : فتبعـه الناس على منـازل مختلفة من رجل قد أغضبته أحكام المسلمين ، وأوعز بـه فهو يطلب عزتهم ، وآخر قد حسـد من له فى الدولة درجة رفعية يطمع أن ينـال مثلها ، وآخر يتعبد بغير بصر فيظن أنه محق ، وأنه يطلب حقا ولا يدرى أنه افتتن ، قال : فجمع بن موسى النـاس وسار بهم الى فرق ، فوقعت الفتنـة فى أهل عمان ، قال وكان موسى أشد فتنـة على الناس ، فانهم قالوا : إن وشل فرق قد تحول بدعائه عذباً وذلك بعد مـا وصل موسى فرق ، ودعا الله أن يجعله عذبا ، قال وحتى قيل لو استنبىء بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاستنبىء موسى، قال ولا يمكننا أن نذكر كل مـا قيل فيه ، قال فلمـا وصل موسى فرق يطلب عزل الصلت لا يذكر غيره اعتزل الصلت من العسكر الى بيت ولده شاذان ، واستخلف فى العسكر من استخلف ، قال : والذىذكر لنـا عنه أنه قال : إنمـا اعتزل الصلت خوف أن يقع سفك دم بلا حجة ، وأنه لم يحضر من يحتج به قال : وفى كتاب الصلت الى الجهوربن سنجة يخبره كيف كان اعتزاله .

قال : وذكرت الذى كان فى قضـاء الله وقدره من سير هـذا الرجل موسى بن موسى ، ومن كان معه ، وقصدهم فى ذلك لمـا أراد الله حتى اعتزلت من الموضـع ، وبلغك من نهب أموال بيت المـال وجعلوه دولا ، وكل مـا وضعت من ذلك فقـد فهمته عنك إن شاء الله ، واعلم يا أخى أن هـذه الدولة كان لهـا رجال لهم حلوم راجحة عالة ، وقلوب سليمة كانوا على أمر واحد يطأ الآخر أثر الأول ، وقد كانت بينهم الأعتاب ،

فلم يبلغ بهم الأمر الى مثل هــذه الغاية ، فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم ، ثم خفنا نحن وانتم من بعدهم ، وبليت بهذا الأمر من غير محبــة منى فيــه ، ولا طلب له إلا أن طلب ذلك من طلب الى من أفاضل المسلمين وأهــل الفقه فى الدين ، ورغبت فى طلب الأمــر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة الحق ورجوت نصرة المسلمين على ذلك ، فكان يومئذ من قد عرفت من أشياخ المسلمين فقمت بهــذا الأمر مــا شاء الله والمسلمون لى أعوان ، ونحن وهم على أمر جامع الى أن ذهب أهل الفضــل ، ومن يحب الحق وأهل العدل ، ونشــأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم فى الدنيــا ، وطلبوا الرئاسة فيهــا ، وكان موسى هــذا يصل إلينــا يقول : إنه يأتى ينصح ويكاتب الناس ، ويؤلب على الدولة ، ومرة يظهر الشتم لأهل الدولة ، ومرة يطلب خلاف ذلك ، فلم تزل الأيام ترقى به وهو يدعو النــاس إنمــا يطلب لهم الصــلاح وإظهار الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويطلب إلينــا مطالب لا أراهــا ولا أعرفهــا من الحق ، ولا مقاربة لذلكوأنا أدعوه الى كتــاب الله وسنة نبيه وآثار أئمــة الهدى وخيار المسلمين ، ولمــا يجتمع اليه رأى المسلمين فيقول ويرسل الى ألا أنظر الى قول فلان ولا أرضى إلا أن تنزل الى قولى ، ورأى عدله فلم أر ذلك من الحق ، ثم ، حشــد وسار اليــنا بمن أجابه ، وكتب الى من شاء الله من المسلمين ، حضر من حضر ، وزحف القوم إلينا وتقارب بعضهم من بعض ، فأمرت الشراة ومن كان على هــذا الفىء بالشخوص ، وضــع العسكر ، وأن يجاهدوا على الدولــة فكرهوا ، فأمرتهم بالتقدم فتأخروا ولم يصلوا ، فكتبت الى عمر بن محمد القاضى بالخروج الى ولم يخرج ، وخرجت اليه ولم يخرج ، وصرت أنا فى حد من عرفت من الضعف ، وخفت أن يصــل القوم ويدخلوا العسكر

وتلقاهم الرجال فيقع الحرب بينهم ، وسفك الدم وأنا فى البيت بلا حجة ولا أمر يكون فى إظهار الأمر ، فخفت سفك دماء الناس ، فرأيت أن تحولت الى بيت ولدى بلا ترك للامامة ولا بخلع لها ، ولا طوقنى الله من هذه الأمانة ، فأمرت بحفظ مال المسلمين وحفظ السجنين ، وأمرت عزان بن تميم بالقيام فى ذلك ، فلما بلغ ذلك دخلوا وزعم موسى أنه عقد للامام برأيه وكسروا بيت المال ونهبوه وأذهبوه ، وأطمعوا فى هذه الدولة عدوها وفعلوا ما لم يرض الله به وما اختلعت وما تبرأت .

قال : هذا ما أخذنا من كتاب الصلت بن مالك أكتب لكم الكتاب كله لطول الكلام . قال : ولما اعتزل الصلت بن مالك اغتنم الفرصة موسى ابن موسى ، وعقد لراشد اماما قبل أن يدخل نزوى ، ويسأل الصلت عن اعتزاله ويحتج عليه فيه أعن خوف اعتزل أو عن ضعف عن القيام بحق ما طوقه الله أو امتناع يحدث لزمه منه الحق ؟ إن كان موسى يدعى عليه ذلك ولا سأله حجة ، ولا عرض عليه التوبة ولا سمى له مفكرة ، ولكنه عقد على راشد إماما على أهل عمان بالغلبة والجبرية ، وقعد قاضيا له طلبا للملك والدنيا ، فوطىء موسى وراشد ومن اتبعهما إثر الصلت بن مالك ، وولوا ولاته وأنفذوا أحكامه ، كأنه ميت ولا نعرف هذا من سير المسلمين ، قال : فان كان الصلت بن مالك محقا فقد كفروا ببغيهم ، قال فلما استقر الأمر لراشد وموسى لبثا فى ملكهما ما شاء الله ، وهما وليان لبعضهما بعض ، راشد امام وموسى قاض له ، يدعو له بالامامة والنصرة على عدوه ، وكان فى قرب ولاية راشد خرج عليهما نصر بن منهال وفهم بن وارث أبو خالد ومصعب ، وخالد بن سعوة وناس كثير وكان فهم وأبو خالد ومصعب ممن خرج على الصلت

ابن مالك وحضرا بيعـــة راشد وبايعهم فخرجوا عليـــه بعد ذلك ، وأرسل إليهم الجيوش ، وكان موسى وليـــه وذلك يدعو له بالنصر ، أى يطلب له من يناصره على الخارجين عليه ، قال فلم يزل موسى مع راشد حتى بلغ الكتاب أجله ، وأراد الله أن يبـــدى من عورتـــه ويهتك من ستره ، فخرج على راشد من بعد مـــا قدمه واختاره .

إمامة راشـد بن النضر اليحمدى

كان راشد بن النضر وموسى بن موسى ضدين للصلت بن مالك ، وكانا يريانه فى أعينهما قذى يحاولان إزالته ليفتحا عينيهما فى عمان ، ويتوليا الأمر عنه نظرا الى أن الصلت عاد عاجزا لا يقدر على دفعهما ، ويرى موسى أنه الرجل الوحيد مالا ورجالا وشرفا وأنه ابن العـلامة المحبوب المؤيد ، وأن الصلت لا يصلح وأنهمـا أعرف بالأصلح وتخيلا فى أنفسهما خيالات غرتهما ، وكانا مغرمين بحب الرئاسة والترفع على المسلمين ، وتآمرا على الصلت بن مالك ، وهو على مـا يظهر رجل حليم تقى رضى محق فى أموره سائر فى الأمة سيرة من تقدمه من الأئمـة وقورا لا يهزه النزق يخشى الله أن يسأله يوم القيامة فيعجز عن الجواب ، فانه لمـا تحقق ضعفه الجسمى ورأى الخلل فى جنده ، والملل فى أنصاره ، وخلو الزمان من أهل الحق المناصرين له والقائمين بأمره ، ورأى تقحم موسى بن موسى على الأمر ، ورأى السواد الأعظم معـه وهم عادة يكونون كذلك ، ودعـا قومه للخروج الى قتال القوم فلم يجد آذانا صاغية ، والتمس من الذين يأمل فيهم القيام والمناصرة فلم يفعلوا شيئا ، وأمر على الباقين من الشراة ورآهم يتعللون بمعاريض الكلام ، تيقن ضياع الأمور من يديه ، وموسى وراشد قد عسكرا فى فرق ، والأمة تنساق إليهمـا زرافات ووجدانا ، رأى نفسه هنـا مضاعا متروكا على غير جرم ولا سبب ، ولا احتج عليه أحد ولا ناظره أحد ، ولا خاطبه أحد إلا أن جانبه يسرى فيـه الضعف وجانب خصمه يسرى اليه النشـاط ، ولا شك أن الحال قاض بسقوط الأمر من يديه الى خصمه ، فقـال مـا يريدون فقيل خلعك عن الامامة ، فعند ذلك خرج من بيت الامامة تاركـا للأمر عالما بأنه غير مراد ، وحب

الجديد وترك القديم أمر تقضى به العادة البشرية ، ولعلهم يجدون عند الإمامة الجديدة خير لهم من الحال الذى هم عليه ، ومن طبع الناس الميل إلى الجديد ألا تراهم إذا جاءهم غازيا انقلبوا اليه على من كانوا معـه انقلاب الحية لتتمكن من اللسع ، فالصلت بن مالك تحقق الرغبة فى غيره والترك له ، فماذا يفعل ، فكان خروجه وهو إمام باق على إمامته لكنه مخذول بغير موجب ، فلما استقر عند خصومه خروجه عقدوا إمامتهم لراشد ، ورأوها فرصة سانحة واغتنموا الأمر غير منافسين فيه ، فكان عقد الإمامة لراشد على هذا الأساس وإنه لداع إلى التلاشى والاختلاف ، وكأن موسى بن موسى غير بصير بسياسة الأمور ، وإنما إعتمد على مـا رأى له من مقام فى الناس ، ومنزله عند الرؤساء ، فصال لذلك على الأمر من غير رؤية ، وهذا الحال هو الذى سيكون وبالا على موسى وراشد ، قال الإمام رحمه الله فى راشد وهو من اليحمد من الفجح وهو إمام موسى بن موسى ، وفى نفس هـذه العبارة ما يفهمه الأذكياء فإنه لم يقبل إمام المسلمين ، وإنما سماه إمام موسى بن موسى ، قال : بايعه هو ومن معه بفرق لما بلغهم أن الصلت بن مالك خرج من بيت الإمامة ، فزادهم ذلك قوة ونشاطا فى صددهم وذلك يدم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ٢٧٢ اثنين وسبعين ومائتين .

قال : وكره قوم إمامته منهم عمر بن محمد القاضى ، قلت : هـذا القاضى هو الذى دعا به الامام الصلت ليناظره فى الأمر فلم يجبه ، ثم سار إليه الإمام بنفسه إلى منزله فلم يخرج له ، قال وموسى بن محمد بن على ابن عم موسى المذكور ، وعـزان بن الهزبر ، وأزهـر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم وشاذان بن الإمام الصلت ، ومحمد بن عمر بن الأخنس وغدانة بن محمد وأبو المؤثر وغيرهم من لم يسم لنا ، ولم

يزالوا متمسكين بإمامة الصلت بن مالك الى أن مات . قلت : ما معنى تمسكهم بإمامة الصلت ، والصلت قد خرج من الأمور راغما ، وأصبح فى بيت ابنه وهم يدعون أنهم متمسكون بإمامة الصلت ، وقد تخلى من الأمر فما بالهم لم يقوموا مع الصلت ويقولوا له أنت صحيح الإمامة ، ولا يسعك الترك لها ، ونحن معك فما معنى هذا التمسك هل تعين عجزهم فيكون لهم عذراً ، هل قاموا بالصلت على عدوه هل آزروه ؟ هل غلبوها على الأمر ؟ هل تبقى إمامة مع العجز ؟

إنى أخالك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادا

لما قام موسى بن موسى وراشد بن النضر على الإمام ونزلوا فى فرق فأين هؤلاء الذين كرهوا امامة راشد ، وتمسكوا بإمامة الصلت بن مالك ، وهم أجل من موسى شأناً ، وأوسع علما وأسبق عملا ، وأولى بالأمر ، أيكفى يكرهون إمامة راشد وبيعة موسى بن موسى ، وهم قعود فى بيوتهم والحق يرغم ويداس .

قال أبو المؤثر : الصلت بن خميس أرسل موسى الى راشد بن النضر ، فبايعه على غير مشورة من المسلمين ، وما حضره يومئذ أحد ممن يثق هو به لفتيا مسألة إلا ما شاء الله . قلت : إما أن تكون صحيحة فليس لهم أن يكرهوا الصحيح فى دين الله ، وإما أن تكون غير صحيحة ، وليس لهم السكوت عن ذلك إلا أن تكون تقية ، قال وكان فيما بلغنا بعضهم كارهاً لفعله مشيراً إليه بغير ما فعل ، ولكن غلبتهم الكثرة أى هالهم أمر موسى فخافوا . قلت : لهم أن يخافوا فى بيوتهم ولا عبرة بالكثرة فإن مثل هذا الحال لا يكفى فيه الاختفاء فى البيوت ، إذ هو أمر جامع فعليهم أن يقوموا حتى يتعين عجزهم ، فيكون لهم عذرا عند المسلمين ، قال

وكان ساعد موسى فيما بلغنا فهم بن وارث وعبد الله بن سعيد ، وهما غير أمينين ولا رشيدين • قلت : لما كانا كذلك كان الخروج عليهما من اللزوم بمكان إذ غير الأمين وغير الرشيد ليسا من الحق فى شىء ، قال فلما استوليا على الأمر ودخل داخل على راشد ، فقال راشد : انصحونى فإنى أقبل النصيحة ، فظن أنه عند قوله • فقال الناصح : أرسل إلى نفر من المسلمين فقل لهم إنكم لم تشهدوا هذا الأمر ، وهما خيار أهل بلدهم معهم شىء من علم وفقه ، فقال له : أرسل إليهم ، فإذا اجتمعوا عندك فقل لهم إنى قـد دخلت فى هذا الأمـر ، فإن كنت مصـيباً فأعينونى وآزرونى ، وإن كنت مخطئاً فتوبونى ، فقال له اكتب هذا الكلام ، أى قال ذلك راشد للناصح الذى نصحه اكتب ما قلت لى فكتبه له كما أراد ، فلما اطلع موسى على النصيحة المشار إليها ردها موسى ولم يرض رأى المسلمين ، أى لم يرض موسى ما قاله الناصح فيكون المسلمون شركاءه فى الرأى ، قال فلما رد موسى النصيحة قال لهم قائل : إن الإمامة لا تقوم إلا بمشاورة المسلمين ولا تقوم بمشاورة أهل الإحن ولا بأهل المعصية ، ولا سفك الدم ولا بأهل الأطماع • قال : فغضب موسى على أهل العلم واستخفهم ، قـال : ثم من أتى قبلهـم الى الذى أهدى اليه نصيحته جند من جنود الشيطان ، فأخـافوه وأرعبوه ، أى أخافوا الذى أدلى بالنصح لراشد بن النضر ، وكان بنفسه قال : انصحونى فإنى أقبل النصح •

قال : ودخلوا منزله فكف الله شرهم وبأسهم ، ثم انه أتى الى راشد فما استتاباه من ذنب ولا لزمته عندهم عقوبة الا أن قالا له بايع • فقال لراشد : أبايعك على كذا وكذا بشروط لله على الأئمة ، لـم يكن موسى يبصرها ولا يعلمها ، فأبى راشد أن يبايع على ذلك ، وقبض كل واحد يده

منهما على غير بيعة ، فقال جلساء السوء : بايعه على الجملة • فقال الرجل : لا لكل زمان حكم ولا أبايعه إلا على التفسير ، قال : وهم يعلمون تفسيرا ولا جملة لو سئلوا عن ذلك لم يهتدوا • قال : إن الرجل قال لموسى بعثتم الينا من جنودكم من أخافنا وأرغبنا ، فقال : إنا لم نبعث أولئك ، قال ثم وقعت رمية فى الدار التى سكنها راشد ، فقالوا كسرت جرة من صبى كان يرمى سدرة أو يرمى طائراً ، قال : فاتهموا بتلك الرمية ابنى محمد بن الصلت ، والصلت بن مالك أيضا على غير سبب فيما بلغنا ، قال وقد قيل : إن غيرهما الذى رمى ولا نبرئهما ولا نحقق عليهما ، قال : فعظم شأن تلك الرمية ، فأمر الناس فأحرقوا بعمهما شاذان بن الصلت ، قال : وقد بلغنا عن الثقة وصح معنا أنه كأن بعض من هو من حزب الصلت يقول لموسى : نحن نأتيك بالغلامين أى ابنى محمد بن الصلت ، فكفوا عنا هذه البعوث ، ولم يلتفت موسى إلى ذلك •

قال : وقد بلغنا أن عزان بن تميم كان يقول • يا قوم نحن نأتيكم بهما فلم يلتقوا الى ذلك حتى أحرقوا بهم ، وما حارب المسلمون عدوهم من أهل القبلة بالنار قط ، قلت هذا من غرائب الأعمال أن صبيا رمى بحصاة كسر بها جرة يحرق بالنار ، وهو مسلم أو ولد مسلم أقل إن لم نقل ، ولد الإمام الصلت ، فقبل كل شىء أين المروءة ؟ وإذا عدمت فأين حكم الله عز وجل الذى أنزله على رسوله عليه الصلاة والسلام ؟ ألا يسع ابنى الصلت بن مالك الصبيين الذين لم تجر عليهما الأحكام بعد ،

وإذا جرت فأين الحكم اللازم فى القضية ، أيعامل المسلم بهذا وليس من الحق فى شىء ما بالنا نفعل ذلك ونحن نروم امامة شرعية تخالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أمته فهذه الأعمال بحسب ظاهرها فرعونية نعوذ بالله منهـــا .

ليست الإمامة منها فىٓ شىء ولا سمعنا عن أحد من أهل الإسلام تكون أعماله كذلك .

الأعمال المشتركة بين موسى وراشد فى عمان

أعلم أن راشد بن النضر وموسى بن موسى كانت أعمالهما فى عمان فى حال اشتراكهما فى الأمر من حيث إن راشداً لة اسم الإمامة ، ولموسى معناها ، كان كل ما يفعلانه فى عمان مشتركاً بينهما ، ومن ذلك ما كان فى ابنى محمد ابن الصلت المقدم ذكرهما ، فإن راشداً وموسى كلاهما يعد كل واحد يؤيد الثانى ، وكذلك ما وقع على ناصح راشد بن النضر حتى ناله بسبب ذلك النصح ما ناله ، ثم إن موسى جعل يستكتب كاتب الصلت ، أى اتخذه كاتبا كما كان فى عهد الصلت ، وهو كان يعيب الصلت ويعيب تلك الدولة ، وهذا منها ولم يعلم أنه استتابهم فكيف نعيبهم أمس ، وقد رام قلع تلك الشجرة من أصلها ، واليوم يتعلق بأغصانها ويستظل بظلها ، وكان يعيب نفس الكاتب ، ثم أجاز شهادته بعد فى ثلاثمائة نخلة جعلها أحد الناس صداق امرأته ، شهد لها بها ذلك الكاتب بعينه ، وحكم بشهادته موسى فى نفس الدعوى ، فتراه يقبله شاهداً فى هذه الدعوى ، وهو بالأمس لما مع الصلت ابن مالك فأما أن يكون ذلك العيب حقا فلا يحل له قبول شهادته حتى تصح توبته ، ولم يذكر أنه استتابه ، وإن كان ذلك العيب باطلا فيلزم أن يتوب منه موسى بن موسى ومن تابعه فيه ، هذا سبيل الحق عند المسلمين ، قالوا واستعانوا بسعيد بن محمد على قصص جروح لا يؤتمن عليها إلا أهل العلم والورع فى الدين والبصر والأمانة وهو اليوم كاتب لراشد وموسى ، كان يعيب الصلت بصحبته .

قال : ثم إن موسى قرب شاذان بن الصلت ، وكان يعيبه ويعيب أباه فجعل يهاديه يهدى هذا إلى هذا ، ويهدى هذا الى هذا ، قال : ثم إن فهم

بن وارث ومصعب بن سليمان خرجا بمن خرج معها من أخلاط الناس أهل الرستاق وغيرهم حتى نزلوا بالروضة ، موضع نحو فرسخين من نزوى ، أو يزيد بقليل ، وراشد بن النضر بنزوى وكل فريق يدعو إلى قتال الآخر لتكون السيادة له والسلطة فى يده ، والأمر اليه لا الى غيره وحب الرئاسة هو الشهوة الخفية .

وذلك أمر لا يرضاه مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، لأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، وهو هنا يقتله . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار . وهكذا إذا اقتتلا على الدنيا أما على الدين فلا وليس للدين هنا نصيب وإنما هو التكالب على الدنيا .

الروضة تتعرض لقتال عنيف بين أهل عمان

كان من قدر الله الجارى به قلم القضاء فى الأزل أن يكون بين أهل عمان قتال عنيف بموضع الروضة من ناحية تتوف ، وسبب ذلك الاختلاف وسوء السياسة بين إخوان مسلمين فى عقر دارهم ، يختلفون فيقتتلون لغرض غير صالح ، ومقصد غير صحيح : قال الامام : وذلك أن جماعة من اليحمد أرادوا عزل راشد بن النضر ، وكان من وجوههم فهم بن وارث الكلبى من كلب اليحمد ، ومصعب وأبو خالد ابنا سليمان الكلبيان ، وخالد بن سعوة الخروصى ، وسليمان بن اليمانى ، وشاذان ابن الامام الصلت ، ومحمد بن مَرْجَمَة وغيرهم من وجوه اليحمد ، فاجتمعوا بالرستاق وكاتبوا مسلما وأحمد بن عيسى بن سلمة العوتبيين الصحاريين ، وسألوهما أن يبايعا لهما فى الباطنة من العتيك من بنى عمران ، ومن كان على رأيهم من آل مالك بن فهم ، وهم كثيرون فى الباطنة منتشرون فيها ، فكاتبا نصر بن منهال العتيكى الهجارى من ولد عمران ، وكان من الزعماء فى أيامه واستجاشا سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، من ولد سليمة بن مالك بن فهم فسألوه المعونة ، وكان سليمان شيخا مطاعا فى قومه بالباطنة ، وكان يسكن مجز من صحار ، وله فيها أموال ومساكن ، وكان نصر بن منهال رئيسا تقدمه العتيك فى الباطنة ، وتطيعه فاستحضر إليهما وبايعهما على نصرة شاذان بن الصلت ومن معه من اليحمد على عزل راشد بن النضر ، فأجابهما على ذلك .

قلت : هنا بدا دور الفتنة يتحفز للنهوض ، وقد أبقت أنها كائنة لأن عملهم الذى عاملوا به الامام الصلت بن مالك لابد أن تكون له عاقبة ،

حتى ختموا ذلك بإحراق ابنى محمد بن الصلت على غير جرم ، ولا يحرق بالنار المسلم مهما كان ضلاله وفحشـــه ، فأراد وجوه اليحمـد احضار الغلامين ليعاقبا على ما اتهما به ، وماذا الذى اتهما به رمى حصاة على طائر أو على سدرة ، فوقعت على بيت راشد بن النضر فكسرت جرة ، فكان عقابهما أن يحرقا بالنار ، وفى وجه أبيهما الصلت بن مالك الذى تخلى عن الأمر لموسى وراشد من غير حرب ، ونزل فى بيت ولده شاذان ، وأن شاذان هذا واطأ القوم وسار معهم ، وآخر الأمر رأوا الأحوال على هذا المنهج ، فضاقت قلوبهم واشمأزت نفوسهم ، وأصبحوا يلتمسون الغوائل للانتقام من هذا الامام ، وان كان منهم ومن أبناء جلدتهم ، لكن سوء المعاملة يجرح القلوب ويثير الضغائن :

وإن الضـــغن بعـــد الضـــغن
عـــليك ويظهـــر الـــداء الدفينـــا

فقام نصر بن منهال الزعيم الكبير فى أيامه بالباطنة ، وسليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى الزعيم الثانى ، فقام المذكوران وتحمسا على الواقع وخرج نصر بن منهال الى قبائل الباطنة من العتيك وهم كثيرون أهل عدة وعدد وبأس ، ولهم أموال طائلة ، وخرج سليمان أيضا معـــه ليحرك أرهاط قومه ويستثير حفائظهم ويلهب احساسهم ، فطاف على آل مالك بن فهم من سليمة وفراهيد وغيرهم من سائر أولاد مالك ابن فهم ، ومن التف عليهم من القبائل ، ومن تأثر بأعمال راشد بن النضر ، وصاروا جميعا يدا واحدة ولسانا واحدا ، واتصل القوم بالشيخ شاذان ابن الصلت ، وفهم بن وارث ووجوه اليحمد وأهل الرســتاق ، فأكدوا والبيعـــة لهم واجتمع جيش ضخم فيه أبطالّ الرجال وقائده الحقيقى شاذان بن الصلت ،

لأنه المصاب فى أبيه وابنى أخيه وفى نفسه ، وكذلك فهم ابن وارث الذى كان أولا معهم حتى رأى ما رأى مما سئم منه حتى طاش عقله .

قال الامام : وخرجوا الى نزوى على طريق الجبل ، وعرف جمعهم هذا بالحرب الرستاق فساروا وغرضهم الوحيد عزل راشد بن النضر ، ولا شك أن الأخبار عنهم قد طارت الى راشد ومن معه ، وعلى كل حال فانهم لا بد أن يقوموا للقاء العدو الزاحف (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) (وليقضى الله أمرا كان مفعولا) ، ولتكون الروضة تاريخاً لهذا الحادث . قال الامام : الخبر قد اتصل براشد بن النضر ، فلما صاروا بالروضة من تنوف من حدود الجوف ، وجه اليهم راشد ابن النضر السرايا والجيوش ، فانه لما بلغه الأمر الذى يحاوله هؤلاء ، وكان يعلم ما سبق منه وأنه لابد من اثارة شر على ذلك ، اهتم بجمع الرجال واستنهاض أعوانه وأنصاره وأهل طاعته ، فساقهم خيلا وركابا ورجالا ، وكان من قواده يومئذ عبد الله بن سعيد بن مالك الفجحى ، والحوارى ابن عبد الله الحدانى السلوتى ، والحوارى بن محمد الداهنى فكبسوهم فى مكانهم ليلا وهم نزول بالروضة ، ولعله على غير دعوة والحرب خدعة ، والغافل مأخوذ على غرة ، فدارت رحى الحرب بينهم ، واختلط الرجال بالرجال ، والعدو بالصديق والجبان بالشجاع ، والحابل بالنابل ،حتى انكشفت الوقعة عن قتل ذريع وقتل فى الوقعة أعيان اليحمد وأعيان آل مالك ابن فهم .

قال أبو المؤثر : كان راشد بنزوى ، فوجه اليهم قوادا ليس فيهم فقيه ولا أمين على حجة ، ولا بصير بسير المسلمين فى الحروب ، فلقوهم قبل وصولهم الى الروضة وسايروهم حتى نزلوا جميعا الروضة ، جند

راشد وجند فهم بن وارث وشاذان ، وقد أمن بعضهم بعضا ، فلما نزلوا الروضة بات الفريقان أمنا بعضهم من بعض ، ثم ان راشـد بعث مـن عنده جندا أى غير الجند الأول • قال : وعندهم قواد لا فقه لهم ولا فهم ، وفيهم عبد الله بن سعيد قائد الفتنة ورأسها : والخطيئة فى عدد من الناس أخلاطا منهم متمسك يحسب أن الطاعة لزمته ، فخرجوا بين مارق وفاسق (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ، فهجموا عليهم فى بعض الليل ، ففزع بعضهم من بعض ، ووقع بينهم القتال ، فقتل بالليل عند مهايجة القتال رجل من جند راشد ثم تحاجز الفريقان الا أنه بقى بقية من الرماة بين العسكرين ، قال : ودوار أصحاب راشد بفهم وأصحابه شرقا وغربا وأعلى وأسفل ، أى أحاطوا بهم من جميع الجهات ، فلمـا أصبحوا لقيهم رجل من صحار يقال له غيلان بن عمر ، وقد كان غزا فى سرية من قبل والى صحار ، فلقى القوم فسار حتى نزل معهم الروضة ، ولقى منهم فهم بن وارث وغيره من أصحابه ، فجعل يكلمهم ويكلمونه ، ويدعوهم ويدعونه الى السلم وهم يجيبون الى ذلك ، والناس متفرقون الى أن شبت الحرب فيما بينهم من ناحية العسكرين بعيدا من موضع فهم وغيلان ، فتواقع الناس للقتال • قال : فحدثنا غيلان وكان صدوقا فيما علمناه ، أنه كان يكف الناس عن القتال ويحجزهم حتى تعب بدنه وصوته من شدة ما كان ينهى عن القتال ، فغلبه الناس على أصحاب فهم وتفرقوا عله ، وقتل من قتل فى المعركة وفرقهم فأدركوه فأسروه وناسا من أصحابه ، وقتل نصر بن منهال وهو شيخ ضعيف وكبير ضعيف عن القتال • قلت : معلوم أن الحرب كالنار تأكل ما لاقته من كبير وصغير ، وإذا شبت الحرب كالنار إذا اتقدت يصعب إطفاؤهـا حتى تلتهم ما حولهـا ، قيل إن نصرا قتل وهـو نـائم •

قال العوتبى : وقعت بينهم وقعة شديدة ، ومقتلة عظيمة ، ورجال كثيرة من أهل الورع والعفاف ، وكانت الهزيمة على اليحمد والعتيك وبنى مالك بن فهم ومن معهم ، فأما اليحمد فانهم كانوا عارفين بالموضع فتعلقوا برءوس الجبال بعد أن قتل منهم جماعة ، وأسر من أعيانهم من أسر ، وأما العتيك وبنو مالك بن فهم ، فصبروا فى المعركة حتى قتل نصر بن منهال ، أى زعيمهم ، وقتل ولداه أيضا المنهال وغسان ، وأخوه صالح بن المنهال العتكى ، وقتل من ولد مالك بن فهم حاضر بن عبد الملك بن بلال السليمى ، وابن أخيه المختار بن سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، فى نفر من قومهم ، وقتل من آل فراهيد بن مالك بن فهم خداش بن محمد الفراهيدى ، وأخوه جابر بن محمد فى جماعة من قومه ، وأسر سليمان بن عبد الملك ابن بلال السليمى ، وأسروا من اليحمد فهم بن وارث الكلبى ، وخالد بن شعوة الخروصى وغيرهم ، فحبسهم راشد بن النضر سنة أو أكثر ، ثم سئل فى شأنهم موسى بن موسى وجماعة من وجوه أهل عمان ونزوى فأطلقهم ، وكانت الدائرة على هؤلاء فدقتهم الحرب دق العصف ، فقتل سادتهم وأعيان قومهم كل واحد أكبر من الثانى ، وأسروا أيضا أعيان منهم وانفض جمعهم ، وتمزق جيشهم ، وذهبوا على وجوههم ، وكانت القضية والامام الصلت بن مالك حى موجود فى نزوى فى بيت ولده شاذان ، ثم مات بعد وقوع هذه الحادثة الرابعة التى كسرت أعمدة اليحمد ، وسرت العصبية فى أهل عمان بسبب هذه الفتنة ، وتعصبت القبائل كل تعلق بأناس لينال ثأرا من خصمه ، وطار خبرها فى شرق عمان وغربها والى البصرة ، وفيها قام ابن دريد يحرض قومه على القتال ويستنهضهم للقتال ، وهيجت الناس بعضها على بعض لأمر أراد الله انفاذه فيهم ، بسبب اختلافهم على امامهم ، وهو القائم بأمرهم ، المجتهد فى اصلاحهم ، ولا بد للباذر أن

يحصد ، وكل يخرج فى وقته والنبات له مواقيت يخرج فيها حصاده ، وهذه ثمرة الاختلاف فنعوذ بالله منه •

فكان لذلك أثر حار ، فتجمع اليحمد وبنو مالك بن فهم والعتيك ومن معهم ، وقلوبهم تغلى حقدا على راشد بن النضر ومن معه ، وقرروا المصير على الحلو والمر ، وعلى الموت الساحق أو النصر ، والتف اليهم من لـه عصبة فيهم ، ومن كان بقلبه مثقال ذرة من الخير لهم ، ولم يزالوا من كل حدب ينسلون على أن يمحوا العار الذى لحق بهم ويأخذوا الثأر ممن قضى على اخوانهم وعشيرتهم ، ولو كان فى ذلك هلاكهم •

الهجوم على دار الإمارة بنزوى

لما تقرر رأى القوم على مهاجمة خصمهم ، رأوا أن دار الامارة أحق بالهجوم ، وكما أن القوم باغتوهم فى الروضة فهم يبيتون مباغتة راشد بن النضر فى دار امارته ، وتكتموا بمـا أمكنهم فـأتوا الى نزوى بعـدهم وعديدهم ، ولعل راشدا يظن أن القوم لا يعودون لمثلها ، لأن أجنحتهم قد قطعت وزعامتهم قد سحقت ، فلم يكن بخلده أنهم يقومون له مرة أخرى ، قال المؤرخون العمانيون : إن اليحمد تجمعت وبنو مالك بن فهم والعتيك ، وقد ألهب ضمائرهم ابن دريد وأمثاله ، وهيجوهم على الأخذ بثأرهم ، فساروا توا الى دار الامارة بنزوى غير مبالين بما يلاقون ، ولعلهم أكثر مـا قـرروا المـوت .

قال : فأسروا راشد بن النضر بعدما هزموا أعوانه ، وفضوا عساكره وعزلوه عن الامامة ، ووقع اختيارهم جميعا لعزان بن تميم الخروصى ، فبايعوا له وتولوا الأمر فى عمان ، وذكر الامام السالمى رحمه الله فى تحفته قصيدتين من قصائد ابن دريد التى يحرض بها قومه على أخذ ثأرهم أعرضنا عنهما لأنهما لم يصلحا للرواية فى التاريخ لتحريفهما وتعقدهما وعدم المرجع الذى يمكن تصحيحهما عليه . وأول احداهما :

نبـــأ نـــابه وخطب جليـــل
بـل رزايـا لهن عبء ثقيـــل

وأول الثانية :

إنما فـــازت قـــداح المنايـــا
يـوم حازت خصـلها بتوفـــا

عزل راشد بن النضر عن الامامة

قال الامام السالمى : وذلك بعد ما مضى له فى الامامة أربع سنين وثمانية وخمسون يوما ، قال : وسبب ذلك تحرك قلوب أهل الضغائن وكثرة الحقد عليه بقتل من قتل بالروضة من وجوه الأزد ، وتحريض ابن دريد عليه ، ووافقته موسى بن موسى لهم فى ذلك •

قال أبو قحطان : خرج موسى على راشد من بعد ما قدمه واختاره فخلعه وفسقه وبرىء منه ، ودعا الى حربه من غير مخالفة لراشد منه ، ولم يحدث حدثا حتى يستحق به معه الخلع فى دينه لأنه كان يراه اماما ففعل به مثل ما فعل بالصلت بن مالك رحمه الله سواء بسواء ، ودعا الى عزله وألب عليه • قال : قد كنا سمعنا أن راشدا خرج الى أزكى يسترضيه فلم يدرك رضاه ، قلت : على هذا يتبين أن موسى بن موسى مشوش الأفكار سريع التقلب ، لأنه بالأمس حاقد على الصلت ويتكلم عليه وعلى أعماله ، وينتقد على عماله ويطلق لسانه على أهل الدولة مطلقا لا يبالى بأحد ، حتى قام على الصلت وعسكر بفرق حتى اعتزل الصلت الأمر ، وأقام مكانه راشد بن النضر ، وخاصم معه وحارب ، وقاتل وهدد ووعد وتوعد ، ثم انقلب على امامه يؤلبه ويثلبه ويقوم عليه بالخلع ، ولم يحجه فى شىء ولم يقم عليه دليلا فى شىء ، بل يصول عليه ويهاجمه بغير مبالاة ، وهذا من مستغربات الأحوال واذا به عندى كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : وانه لعلى ما ترين أحمق مطاع ، فان الدين لا يكون ألعوبة وأحكام المسلمين لا تحل ولا تعقد على غير أساس ، والحق لا يكون باطلا وان تقلب عليه

الدهر ، وهكذا العكس فما لموسى بن موسى وهو الرجل الوحيد فى زمانه ، يبنى ويهدم بغير روية ولا هدى من الله ، لما سلم العمانيون من العدو الأجنبى جعلوا بأسهم بينهم بغير موجب وخبطوا فى فتن تقضى عليهم وتدمر كيانهم ، فان سفك الدماء على غير وجه شرعى يفسد الدين والدنيا ، فانظر الى قتلى الروضة متى ينطفى جمر حقدهم ، ومتى يسكن روع القاتل لهم ، ولهم أنصار وأتباع ، ولم يكن على طريق صحيح يجيزه لهم الشرع • قال : وأخذ موسى فى عزل راشد من غير أن يظهر عليه حدثا يعرفه الناس ، إلا أنه يدعو الى عزله كما كان يدعو الى عزل الصلت بن مالك ، بل كان الصلت على ما يظهر معه خيرا من راشد ، لأنه خرج على الصلت بن مالك ولا نعلم أنه خلعه ، وأما راشد فقد كان يفسقه على ما سمعنا ، فسار موسى ومن اتبعه حتى نزلوا فرق ، واجتمع شاذان ومن أجابه فى موضع معاضدين لموسى ، وكان الحوارى بن عبد الله ، والوليد بن مخلد ومن أجابه فى موضع يقال له سندان ، فى أعلى من الموضع الذى كان فيه شاذان ومن معه ، مناصرين لراشد ، وكان راشد فى موضع الامامة وموسى فى فرق ثائرا على راشد بعد أن كان والاه ، أى وولاه وأقام دولته وشد عضده وناصره وحمله على أعناق العباد •

قال : وافترق موسى وراشد والحوارى بن عبد الله ، والوليد بن مخلد من بعد الألفة والأخوة ، لأنهم كانوا تآلفوا على عزل الامام الصلت بن مالك ، وبايعوا راشدا وصاروا حربا لأعدائه وعادوا أعداءه ، فموسى الآن يطلب عزل راشد ، والحـوارى والوليد يطلبان نصرته ، قـال : فلو كان أمرهم رشيدا فى الأصل لكان الوليد والحوارى مصيبين فى نصرهما لامامهما ، ولكان موسى مخطئا إذ نكث على امامه ولكن أمرهم فى الأصل كان لغير الله ، فلم يجمع الله شملهم •

قلت : والله انها لمصيبة من أعظم المصائب ، إذا كان مثل هذا الأمر يصدر منهم لغير الله ، وهم علماء المسلمين وعمدة الأمة فى الدين ، فيقومون لسفك دماء المسلمين بغير حق ، قال : ورد بعضهم على بعض ، قال : واجتمع موسى وشاذان بعد العداوة نعوذ بالله من الفتن ، قال : فسار الحوارى والوليد ومن معهما يريدان نصر راشد وقتال شاذان وأصحابه ، والله يعلم ما أرادوا ، فالتقوا من قبل أن يصلوا راشدا ، فهزم الحوارى والوليد ومن معهما ، بعد أن قتل من قتل من أصحابهما وسار شاذان وأصحابه ، فأخذوا راشدا من موضعه بلا حرب وضربوه وحبسوه ، ووصل موسى ومن معه الى العسكر ، وقد اجتمعوا من غير توبة ، وقدموا عزان بن تميم كما أشرنا الى ذلك سابقا اماما والله أعلم بأمورهم .

قلت : هذه أحوال أشبه بالتلاعب ، فلما لم يعجبهم الصلت بن مالك ألقوه وراء ظهورهم غير مبالين به ، ثم قدموا راشدا وسفكوا الدماء ، وقتلوا المسلمين الطالبين لخلعه ، فصرعوا فى الروضة أعيان أهل عمـان وأخيارهم ، ثم فعلوا الفعلة الشنعاء بابنى محمد بن الصلت بسبب رمية حجر رميت فى بيت راشد بن النضر ، حتى أحرقوهم بالنار ، ولا إنكار ولا توبة ولا رجوع على أصل فى الدين ، على حسب قواعد مذهب المسلمين ، واليوم يعاضدون موسى على راشد ، وانما كان رأس الأمر كله موسى ، فما هذا الحال الذى يمشى عليه هؤلاء ، أما حاذروا سخط الله عليهم إذ يمشون فى عباد الله بمثل هذا الحال المؤسف الذى إذا اطلع عليه أعداء المسلمين ، لا بد أن يسخروا منه (والله لا يرضى لعباده الكفر) (وإن تشكروا يرضه لكم) فهذا ينافى شكر الله عز وجل الذى هو طاعته ، والدين لا يحمل ألعوبة والحق لا يكون باطلا ، والباطل لا يكون حقا ، والأهواء هى

المهلكة ، والدين ينافى الدنيا إذا لم يمش أهلها على الصراط المستقيم ، وكفران النعم يورث البوار ، وهذا منها والعياذ بالله ، وما كان الإباضية يرضون بمثل هذه الأحوال ، فان المجرم يلزم تتوبيه وتوبته بحسب حاله ، فأما الامام ومن فى معناه فتوبتهم أن تكون علنا فى مجامع الناس ، لأنها تنبنى على أحكام دينية ، فان الله ما ترك المسلمين يروحون ويغدون كما يشاءون غير مناقشين ولا مسئولين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فان الله لا يهمل مثقال ذرة ولا أدنى منها مهما كان ، وهذه الأفعال ، وما سيأتى ذكره من الأحداث التى يفترقها راشد بن النضر وزميله الوزير ، وما يأتى بها قومهم من الأعمال التى لم تعرف فى دين الله عز وجل ، ولا ارتضاها أحد ممن له أدنى مسكة من عقل ، فان الامامة نزيهة عن عبث الناس ، وبعيدة عن السفاسف ، فانها لم تقم الا لتكون ضدا للظلم وضدا للظلمة وضدا للجور وأهله ، ولم يعرف فى مذهب المسلمين فضلا عن أعمال صفوة الأمة الا أن راشدا كان سلطانا لموسى بن موسى ، يقضى كل واحد منهما غرض الآخر ، وكان موسى على ما يظهر رجلا غشيما وزعيما متغطرسا ، كان يحاول الرئاسة التى هى الزعامة لا الامارة الدينية ، مع أنه كان على يقين من سيرة أبيه موسى بن على فى عمان ، إذ كان القدوة الصالحة لهم ، وكان راشد بن النضر توصل الى الرئاسة بالزعيم موسى بن موسى ليقضى غرضا كان له فى نفســه ، وحب الرئاسة هــو الشهوة الخفيــة ، التى هلكت بها أمم وانهارت من أجلها عروش ، وسوف ترى وتسمع عــن راشد بن النضر ووزيره موسى بن موسى أحوالا ، وترى لهم أعمالا فى الأمة توجب عزل راشد وتخرجه من الولاية ، إذ كانت له ولاية إن صحت تلك الأعمال ، والدين لا يقوم على أساس الباطل ، والجور والظلم لا يصح معهما دين مهما كان .

اعمـــال راشد بن النضر فى حال إمامته بعمان

اعلم أن راشد بن النضر لمـــا تولى الأمر بعمـــان ، كانت أعمـــاله كلهـــا سيئة وهى التى تصدر منـــه أو من وزيره أو من قائده ، أو أى عامل من عمـــاله ، ولا ريب فان الرعية على دين ملوكها .

كان راشد المذكور إماما لأهل عمـــان على رغم أهل عمـــان ، إلا على موسى رشرذمة معه ممـــا شايعه من أهل عمان ، من الذين طال عليهم عهـــد الصلت بن مالك ، فتمنوا زواله لنحل محله امام جديد ينالون معه مـــا لم ينالوه مع الصلت ، ولو كانت الدولة همتهم لشدوا عضد الصلت وقوموا أموره ، وقاموا معـــه وهم جميع ، ولكن لا ريب فان الله عز وجل بسط لبنى إسرائيل كل خير ، وأطعمهم المن والسلوى ، وهم فى أطيب النعم وأوفر الفضل ، وإذا بهم يقولون لنبيهم عليه الصـــلاة والسلام :

(ادع لنـــا ربك يخرج لنـــا ممـــا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) الآية . وأهل عمـــان هكذا كان عملهم هنـــا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، فكانت أعمال الامام المزعوم راشد بن النضر من ثمره ، وفى بعض كتب الله المنزلة قوله فى آخر الآية : من ثمارهم تعرفونهم . فكانت المفاسد فى عمان شاهرة ظاهرة ، من نهب أموال ، وقتل رجال ، وأخافة الطرق ، وانتشار الجهل ، وخمود العدل ، وتطـــاول الباغى على الآمن الوادع ، وأى بغى أكبر من حرق ابنى محمد بن الصلت بن مالك ، وهما صبيان لم يبلغا حد التكليف ، ويحرقان بالنار مع أن أهلهما يتقدمون بتقريبهما الى الامام المذكور ،

ليحكم فيهما الحاكم بما يرى من حق وغيره ، ولم يقبل منهم وهما قد رميا رمية حجر لطير كان على شجرة سدر ، أو رميا السدرة نفسها فوقعت الرمية فى بيت الامام فكسرت جرة فكانت عقوبتهما أن يحرقا بالنار ، وهذا من عمل صاحب الأخدود فعوذ بالله من شر البغى .

ومن ذلك عقر جمال القوم المقتولين فى الروضة ، وقيل إن جملة المعقور ستة عشر جملا وفرسا ، ونهبت أموالهم ودوابهم وثيابهم ، قال : وليس هذا من عمل المسلمين ، ولا من سيرتهم فى أموال أهل القبلة . قال : ورفع لنا الثقة أن الرجل من أصحاب فهم كان يتلجأ فيوضع عليه السيوف ، وكان الرجل يأتى مستسلما منقادا مذعنا مسلما للأمر ، فيدفع إليهم سيفه فيأخذونه فيقتلونه ، ولم يظهر من موسى إنكار ولا تغيير ، ولا من راشد ابن النضر الامام . قال : وقد بلغنا أن لحوم الإبل المعقورة بيعت فى سوق نزوى قريبا من موسى وراشد أو لم يستطع المسلمون إنكار ذلك . قال : وقد كانوا يغيبون على الصلت بعض أحداث من سرايا كانت تطرأ فى أطراف عمان ، لا يدرى كانت أو لم تكن ، أى لم تثبت صحة وقوعها ، ولم يعيبوا على أنفسهم الأحداث الشنيعة وهى قريبة منهم ، يكادون يعاينوها بأعينم .

قال : ثم استقام الأمر لراشد واشتد سلطانه بعمان ، وقد تكون الأحداث بأطراف عمان من المهرة ونحوهم ، فربما يضربون الرجل ويستاقون الإبل ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، وما قاومهم راشد ولا جرد لهم من يرد بغيهم عليهم ، وكأنه لم يهتم من شأنهم فلم يبعث لهم سرية واحدة أبدا ، وإنما كان شدته وسطوته على أهل الرستاق من

حولها ، إذ رأى الثورة عليه من هنـــا ، ولم يسأل عن رعيته . قال : ومن أعمـــاله فيمـــا صح خبره معنا : أن رجلا وقف بباب السجن فتنـــاول كتبا الى الفضـــل بن الحوارى ، والأشعث بن محمد النضر ، وهمـــا يومئذ من أصحاب راشد ومن حزبه ،فاطلع بعض جنود راشد على ذلك فأخذوه بالكتب ، وساروا به الى راشد ، فلمـــا عرف الكتب الى من هى أمر به فحبس فى السجن . قـــال فبلغنا أنه ضرب مع ذلك فلبث فى السجن مـــا شاء الله ، ثم أخرج فدخل من دخل على راشـــد ممن أنكر حبسه فقال لهم : حبستم الرجل وليس عليـــه حبس لأنه انمـــا حمل الكتب الى أصحابكم الخ .

قال : وقد بلغنـــا أن قوما من أهل سلوت دخلوا على رجل فى منزله فكسروا بابه وضربوه بالسيوف ، فحمل الرجل مضروبا منتصفا ، أى طالبـــا الانصاف ممن ضربه ، وان يبعث سرية الى الذين ضربوه فلم ينصفه ، وقال : من أجل واحد أبعث الى قوم أنصـــار ، فلم يفعل ولم ينصف الرجل من أعوانه . قال : ولم يجعل ضرب الســـيوف كرميـــة وقعت فى داره .

ومنهـــا أنهم بعثوا قائدا من قوادهم الى الرستاق وهـــو لص مشهور معروف بذلك ، فســـار الى الرستاق واســـمه زائد بن خطاب معروف بالسرقات ، ومعه ناس من أعوانهم الى بنى غافر أهل الرستاق ، ولم يكن من بنى غافر المذكورين الذين أرسل اليهم زائد بن الخطاب حدث يعرف، حتى يرسل السرايا ، فلمـــا دخل واديهم أى المعروف بوادى بنى غافر ، تلقاه بعض من سرعان الناس وسفهائهم فيمـــا بلغنا ، فهايجوه وكان بينهم هناك بعض الشر حتى جرح بعض أصحابه ، ولم يقتل أحد فى تلك الحركة ،

وفر منهم هــو وأصحابه ، فأتى الخبر الى راشــد فجهز اليهم سريا وقودا جفــاة عماة ، ولم يسيروا بقصــد ولم يهتدوا برشد ، فعاتوا فى البلاد من أكل أموال الناس ، ودخلوا بيوتهم وكسروا أقفالهم ، وأهانوهم ، ولم ينكر راشد عليهم ذلك مع أن الامامة لا ترضى بذلك ، ودين المسلمين لا يأمر بهــذا ، ولا قريب منــه ، وأودع راشــد ناسا فى السجون مدة طويلة ممن شهدوا وقعــة الروضة وغيرهم .

وهــذه الأعمال لم يعملها أئمــة المسلمين قال : وعمر فى سجن راشد ناس من بنى غافر وأناس ممن شــهد وقعــة الروضة فى القيود والهوان ، وكان أبو خالد بن سليمان جريحا مريضا فيمــا ذكر لنــا نازلا فى بعض دور نزوى ، فأمر به راشد فقيد فى منزله كبعض العبيــد ، ومــا يعرف المسلمون لذلك وجها . قال : ولا نعلم أن أحدا من سلاطين العدل أو الجور ســبق راشدا الى هــذا الفعل يقيد رجلا فى بيتــه وهو مريض . قال : وإن ناسا من كلب اليحمد كتبوا الى شاذان يسألونه الخروج على راشد ، فكتب إليهم شاذان فيمــا ذكرنا العدل يقول لهم فى كتابه : أمــا أنا فرجل من المسلمين لا أنفرد بالأمر دونهم ، ولا أريد أن أكون فى هــذا الأمر رأسا — فان قام المسلمون فأنا معهم ، ونحــو هــذا من القول فيمــا رفع الينــا الثقة من المسلمين .

فخرج اليه يمان بن مصعب بن راشد وأبو جليل ، وأبو النضر بن أبى جليل ، وأبو النضر بن راشد فى ناس فنجموا عليه ليلا ليأخذوه فظفروا به ، فأخذوه وخرجوا به ، فاجتمع من اجتمع من اليحمد معهم ولا ندرى مــا أرادوا فى اجتماعهم ودعوتهم مــا هى ، فلمــا بلغ راشدا اجتماعهم بعث اليهم من قبله قوادا جفاة لا علم لهم بحرب المسلمين ، ولا بصر لهم

بحجة على عدوهم ، فساروا حتى نزلوا قرية يقال لهـا عينى من الرستاق ، وأقبـل شاذان بمن معـه من وادى عمق متجردا يريد فيمـا قيل لنـا قرية يقال لهـا سوتى •

قلت : هى الآن التى تعرف بالعوابى ، قال هى قريبا من عينى ، قلت : نعم هى من الرستاق والعوابى التى هى سونى تبعد عن عينى مرحلة واحدة ، ولكنهـا كانت من أعمـال الرستاق حتى العهد الأخير الذى قام فيـه الشيخ جاعد بن خميس وآله ، وتاثلوا فيهـا أموالا ، وخـدموا خلجها حتى قوى واعتد ، وبنى الشيخ فيهـا البيت العالى ، وكان حصنا لهم من عدوهم ، ثم احتلتـه الحكومة من أيديهم وأصبح رهن يد الحاكم إماما كان أو سلطانا ، وأصبحت سونى التى هى العوابى إمـارة مستقلة ، ولكنـا لا تزال تخضع لحاكم الرستاق خضوع الوالد لوالده ، وحق لهـا ذلك • قال : فلمـا كان بين القريتين أى سونى وعينى ، وثب عليـه أصحاب راشد بلا حجة ولا مناظرة ، وتداعوا بدعوة الجفـا ، وقـال شأنكم خذوهم ورأس شاذان خذوه فيمـا رفع لنـا الثقة ، وابتدرهم الناس سرعانا واقتتلوا فيمـا بينهم وقتل من قتل من أصحاب راشد ، ومر عامتهم وسار شاذان حتى دخل الباطنة ، ثم رجع الى الرستاق ودخل وادى عمق وتراجع أصحاب راشد واجتمعوا ،وجاء عبيد الله بن سعيد بمن أجابه من أخلاط الناس ، ثم ساروا حتى وافوا شاذان وأصـحابه فى موضع يقـال له الطباقة من أسفل وادى عمق ، فاقتتلوا وقتل من قتل وانهزم شاذان بن الصلت وأصحابه ، ولكن لم يظفر العـدر بشاذان وجعلوا بعد الهزيمة يلقطون فتات الهزيمة ويقهرون البرىء والسقيم ، والداخل معهم وغير الداخل عملا بشنشنة المنتصر الذى لا يحجزه دين

ولا يقوده علم ، فأسروا من قدروا على أسره منهم ، ودفعوهم الى سجن نزوى •

قال : ولقد حدثنا الحكم بن أبى سليمان وهو ثقة مأمون أنه قال لموسى : كم مظلوم فى هذا الجيش ؟ قال وحدثنا بعض من يتولى راشدا وموسى أن رجلا من الأسارى ضعف عن المشى فسحبوه سحبا حتى مات فى سحبه ، وقد حدثنا الرجل أنه أخبر موسى بهذا فما ظهر منه إنكار ولا تغيير ، قال : ولو أن مشركا محارباً سحب على وجهه حتى مات فى سحبه لكان منكرا عظيما ، أى لقوله ﷺ : إذا قتلتم فأحسنوا القتلة • قلت : وسيأتى فى التاريخ أغرب من هذا فان الشيخ القاضى عدى بن سليمان الذهلى ، قتل فى الرستاق فسحب على وجهه فى سكك الرستاق ، وأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل المثلة ، وهذا منه • وقال رسول الله ﷺ : كل شىء ليس عليه أمرنا فهو رد •

قال : ثم إن شذان بن الصلت هرب وبعثوا فى طلبه قوادا من قبلهم الى الرستاق ، منهم أبو الجلندى بن معران رجل معروف بالطلس والسفه ، وإنما كان من جنود الشيطان ومنهم محمد بن أبى فضيل رجل معروف بسفك الدماء من الحرام ، ومنهم محمد بن سعيد ، وأخلاط الأعراب الجفاة ، فساروا حتى دخلوا الرستاق بلغنا ، فقطعوا الزراعة ، ولقد بلغنا أن أبا الجلندى كابر امرأة على شىء من حليها واستفاض هذا الخبر • قال : ثم بسطوا لعبيد الله بن سعيد اليد فى عمان من غير صلاح ولا وقار ولا عفاف ، وأنه لو شهد شهادة مع موسى ما قبل شهادته فيما عرف موسى منه ، ثم سار عبيد الله بن سعيد الى صحار ، فعمل فيها أعمالا قبيحة ، فيما ذكر من استرهاب الناس

وأخذ أموالا فيمـــا رفع إلينـــا ، وأذعن له والى صحار ، وسلم له فيمـــا بلغنـــا . قال : ولقد قيل لنـــا وذاع وشهر أنه أرسل الى شيخ ضعيف يقال له عبد الرحمن بن الوليد ،وهو أمين للوالى على بعض ضياعه فأرسل اليـــه عبيد الله جندا من جنوده ليجروه اليـــه بغير حق ، فاستجار بالوالى فلم يقبلوا ، وقال الوالى : أنا كفيل به فلم يقبلوا ، وجروه اليـــه كرها ليسأله تأخير حق له على بعض من استعان بعبيد الله عليـــه ، ثم هدده عبيد الله وأوعده حيث لم يشـــفعه . قال :وقد بلغنـــا أن والى صحار يرفع اليـــه الخصماء ، وهو غير فقيـــه ولا بصير بحكم . قـــال : ومـــا فعل والى صحار الى إلا تعظيما لأمر الدنيا ومهابه للسلطان ، قال : وبلغنا أن عبيد الله خطب الى رجل كثير المـــال ضعيف الحـــال واهى القـــوى ابنتـــه فأبى أن يزوجه ، فأغرى سفهاء من النـــاس بماله ، فزوجـــة الرجل تقية ومخافة ممـــا يرى ، فلمـــا تزوج منـــه استولى على كثير من ماله ، أو على جملته . قال : ولقد بلغـــا أن الرجل احتاج الى قفيزين من تمر من ماله ، فلم يدركه وتولى عليـــه أملاكه على هـــذا الحال ، حتى اشترى منـــه مـــا أراد من تمر من ماله . قلت : هـــذا من الظلم بأعلى الذرى ، وقـــال : لقد بلغنـــا أن والى نخل أراد أن يدخل فى شيء من إصافه وكتب اليـــه راشد فيمـــا ذكر لنـــا بعض أصحاب والى نخـــل أن هـــذا قصور منك الى الدولة ، أى حيث تقوم بالانتصاف من رجال الدولة ، قـــال وقد ذكر لنا عن ابن موسى أنه يكتب الى تجـــار صحار يسألهم القرض ، ويسألهم أن يتجروا له ، ولم يكن يسألهم من قبـــل هـــذا لكن تقوى عليهم بسبب السلطان .

قال : ثم خرج ابن موسى الى صحار ، فحكى عنـــه أخذ أموال النـــاس أمرا أشنع من الذى كان يروى عن شاذان أيام أبيـــه . قال :

فان كان شاذان من عيوب الصلت فابن موسى من عيوب راشد ، فان قالوا إن هــذا لم يصح لهم ، قيل كذلك الحكايات عن أصحاب الصلت لم تصح • قال : وقد صارت صحار مأكلة لفساق السلطان لأن فيهــا تجارا وأهل ذمة ضعفاء • قال : وسجن سليمان بن أبى حذيفة رجــلا ضعيفا بغير حق حتى اطلع على ذلك راشــد ، فأخرجه ولم ينكر على سليمان فعله هــذا ، وليس يكفى اطلاق سليمان مع تركه للانكار عليــه أن لو أطلقه سليمان المذكور • ثم نصحهم من نصحهم فى أمر شاذان • وقــال : أوفدوا اليــه وفدا من صلحائكم يحتجون عليــه قبل ســفك الدماء ، ويسألونه مــا يطلب فردوا النصيحة وجعلوهــا غشا وتعجبوا من الحــق ، وجهلوا ســيرة المسلمين • قــال : ثم سارت العصبية ، وجعلوا يولون ولاة مــا اختاروهم لله ، وإنمــا ولوهم رضا وتقيــة ومصانعة •

قــال : ورأى موسى رجلا ضعيفا ليس هو بامام من أئمــة الدين ولا يخــاف على دولة رآه جالســا على باب المسجد خارجا يوم الجمعة قبــل الصلاة ، ثم أبصره يصلى بعد مــا انقضت صلاتهم ، فاتهمه أنه لا يرى الصــلاة معهم ففسقه ودعا عليه وشهر به ، وأغرى بــه السفهاء فساروا الى منزله قريبــا من فرسخ ، فشــدوا يديه وراء ظهره ، وضربوه فيمــا بلغنــا حتى أدموه ، ثم جاءوا به كأنه سافك دم أو قاطع طريق حتى أدخلوه السجن ، فحدثنا عدل ثقــة من المسلمين أنه كان قاعدا فى المسجد ، وقد جاءوا به • فقال : إنه كان يسمع شيئا ليس يشــبه الضرب ، ولكنــه يشبه الدروس أى الدق بالأرجل من شدة الضرب ، فلمــا أدخلوه السجن قال : واقتلاه فيمــا بغنا ، فلبث فى السجن مريضــا مرضــا شديدا ، وقال لهم رجل ارفقوا به فادخلوه الســجن وشدوا يديه وراء

ظهره ، قال : ولم ينكروا على من ضربه ولا منعــوه منــه ، قال : وأمر راشد ولاة القرى ألا يدعو النــاس يشترون من طعــام أهل القرى ، وهــو وولاته يشترونه لأنفسهم . قــال : هــذا تحليل لمــا حرم الله ، وقد أحل الله البيع وحرم الربا . قلت هــذه الأعمال إن صحت مــا هى من أعمــال المسلمين فى شىء أبدا ، إنمــا هى أعمال جبابرة الملوك فى الرعايا المستضعفين ، ولم نعلم أحد من أئمــة الدين يرضى بهــا فى عدوه فضــلا عن الضعفاء المأسورين تحت القهر ، يكون فيهم هــذا تحت راية من يتسمى بالامامة وينشد العدالة ، إنمــا هــذه عرفت فى عمــان لبنى نبهــان كمــا سوف يأتى ذلك فى محله .

قــال : وبلغنا أن تاجرا خرج الى قرية يقال لهــا أبيل . قلت : يقولون لهــا الآن وبل بالواو المفتــوحة أو المضــمومة وهى من قرى الرستاق ، فاشترى منهــا برا على حســاب مكوك وربع ، لا بل عــلى حساب مكوك وثلث إلا ربع السدس بدرهم ، قال : فأخذوه الى ذلك البلد فقطره وقيــده حتى رد بضاعته الى الذى اشتراهــا منه ، ثم ان الوالى رجع فاشترى ذلك الحب على حســاب مكوك وثلث زيادة على مكــان اشتراه التاجر . قال : فضر بالبائع وأضر بالمشترى ، أى أضر بالبائع حيث أدخل عليه الزيادة فى المبيع والنقص فى الثمن ، وأضر الشــارى حيث رده عن شرائه . قال : ثم ان التاجر أتى راشدا فشكا اليــه فكان انصافه له أن طرحه فى السجن ، ثم أخرج من السجن فأتى الى موسى فشــكا اليه من الوالى فطلب اليــه الانصاف . فقال نعم ننصف فلم يرفع لــه رأسا ولم يكن منــه شىء إلا أن موسى تكلم ، فقــال : إن الامام قــد ترك ذلك الأمر الذى كــان يأمر بــه فلم يكن منهم إنصــاف ولا توبة إلا هــذا .

قال ثم هم فيمـا بينهم يتهامزرن ويتطاعنون يسمون إمامهم حمارا جليبًا ، وتيسا عشقيا ، ويسمون قاضيهم أبا السطور (تحسبهم جميعـا وقلوبهم شتى) إخوانا علانية أعداءً سريرة ، إلا أنهم قد اجتمعوا على أنهم قد قهروا المسلمين وأخافوهم وأخافوا عزان بن تميم وأخرجوه من منزله وداره بكفالة لا تلزمه ، وهم يعرفون فضـله ، وقد كان موسى احتـاج الى رأيه .

وقال أيضـا : إنهم حبسوا محمد بن عمر بن الأخنس بلا ذنب ولا حدث منـه إلا سوء الظن فيـه ، وهو معروف فضـله فى المسلمين ، ثم بعـد ذلك أخافوه وبعثوا اليـه الخيل فخـاف فى منزله بلا ذنب ولا حدث ، حتى ضاقت عليـه الأرض بمـا رحبت ، وألقى بنفسـه إليهم فلم يجدوا له ذنبـا فحبسوه فى عسكرهم ، وم يأذنوا له بالانصراف الى منزله حتى أخذوا عليه كفيـلا ومـا ذلك منهم بعدل ، قـال : وهـذا من عجائبهم فى تسعة عشر شهرا منـذ ملكوا، ولديهم المزيد . قلت هـذه هى بذور زوال نعمتهم لمـا كف الله عنهم العـدو الكبير ، وهـو سلطان العراق لم تطل بهم الأيام حتى ظهرت هـذه الأحوال منهم لتكون قائد النقمة عليهم ، (إن الله لا يغير مـا بقوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم) ، وتلك هى سنته تعالى فى عبـاده ، من يتتبعهـا يجدها فى كل جيل منـذ خلق الله الدنيا الى يوم القيامة ، لأن الله أجل وأكرم من أن يبسط لقـوم نعمـة ، ثم ينزعهـا منهم بغير جرم ، وقد وصف راشدا بأنه لا يعقل ولا يبصر الأمور ، وأنه يحسب الخطأ صوابا لعماة ويظن للحق مـا

يفعـله هو لا غير ،ووصف موسى بأنه يطعن فى المسلمين ويقـول فيهم بحسـب هواه ، ويصـف نفسه بمـا يهواه والله يقول · (ولا تزكوا أنفسـكم) •

ومن كلامه بحسب مـا نقله عنه أبو قحطـان يقول : فان شربة النبيذ والأعراب لآمن عندى من علماء هـذا الزمان ، قـال وهو فى ذلك لا يستغنى عنهم • قلت هـذا الكلام فى غاية من الجفـاء ، وفى النهـاية من السخرية ، (يا أيهـا الذين آمنـوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) الآية • قال : وجهله وقلة علمه ظاهر بين ، قال : ومن ذلك أنـه لا يحسن إقامة الجمعة • قـال : فان المؤذن كان يفرغ من الأذان الآخر يوم الجمعة • وموسى فى بيتـه أو حيث شاء الله حتى يخلو وقت طويل ، ثم يأتى فيخطب بالنـاس ويصلى ركعتين ، قال ومن السـنة فى الجمعة أن الخطبة متصلة بالأذان ، والأذان متصـل بالاقامة ، والاقامة متصلة بالصـلاة ، لا فرق بينهن هكذا وردت عن رسول الله ﷺ • قال : ومن قله علمه : أنه خطب النـاس يوم الجمعة ثم نزل عن المنبر وإمامهم فى بيتـه أو حيث شـاء الله ، فانتظروه وليسـوا فى صـلاة ولا خطبة مقدار مـا استمر الامام بيتـه الى المسجد مرتين ، قـال وبيت الامام منفسح عن المسجد مـا شاء الله ، ثم صلى بالنـاس ركعتين بـلا اعادة خطبة خلافا للسـنة ، وقد قال الفقهـاء لو أن الخطيب خطب يوم الجمعة ثم اشتغلوا عن الصـلاة لأمر عناهم كان عليهم أن يعيدوا الخطبة للصـلاة ولو خطبة موجزة أى أقل مـا يطلق عليـه اسم الخطبة كالحمد لله والصـلاة والسلام على رسول الله ، وإثبات الشهادتين ، وإقرار

الوحدانية لله عز وجل . قال انتهى تلخيص مـــا أردنا ذكره من كلام أبى المؤثر .

قال : وهـــو كمـــا ترى قدح فى سيرة موسى وراشد ، قال : والمبتون لإمامة راشد يحملون هـــذه الأمور وأمثالهـــا على أسباب تسوغ لهم صنع راشد فيمـــا صنع ، يذكرون له أعذارا واحتمالات يقبلها العقل فى أئمـــة العدل ، قلت إن بعض مـــا مر من الأحوال له احتمـــال يعقل ، ولكن الأكثر ان صح صريح فى الجور والظلم والعدوان والعسف على الناس ، وعلى أحكام الله عز وجل وتلك الاحتمالات لهـــا معارضات من نفسها ، وهـــذا الحال هو ما أوقعهم فيمـــا بعد فى الأمور التى انهار بهـــا صرح الامامة ، واندك عرشهـــا ، وذهبت هيبتهـــا ، حتى اتصلت الدعوة بملوك العراق فسيقت الجيوش على عمان ، ويملك أهل الباطل عرش الحق ، وعاش فى عمـــان محمد نور الذى يسميه أهل عمـــان محمد بن بور بالبـــاء الموحدة ، وأعوانه كبيحره الفاسق ، وتلتهم بنو بويه الذين عاثوا فى البلاد بغير حق ، وداسوا كرامة المذهب الصحيح الى أن انتهى الأمر بالقرامطة الذين كملوا القاصر ، وأنهـــو الأمور الى حدهـــا ، وصارت عمـــان بعد ضياء الحق ظلاما دامسا وليلا مظلمـــا ، وأصبح دين المسلمين كالشمس فى السحاب ، وكالنور داخل الحجاب ، ولم تبق كرامة لأهل عمـــان إلا وأقدام البغى تطأ عليهـــا ، ثم تلتهـــا بنو نبهـــان الجبابرة العتـــاة ، والفسقة الطغاة ، الذين لا يعرفون من الحق إلا اسمة ، ولامن الدين إلا رسمه ، وهكذا يسلط الله الفراعنـــة على المؤمنين ،والجبابرة عـــلى

المسلمين ، والظلمة على المصلحين ، لتتم إرادته عز وعــلا ، وتكمل سنته سبحانه وتعــالى ، وسوف ترى تحقيق مــا قلنــاه فى محله ولله أمــر هو بالغه ، وحكم هو نافده .

قال أبو المؤثر ، وأبو قحطان : إن راشد بن النضر نصب إمامــا مرة ثانية أى بعد مــا عزل وخلع من الامامة عادوا اليــه ونصبوه مرة أخرد ، ثم أيضــا عزلوه فظهر أنهم نصــبوه مرتين وخلعوه مرتين ، قال الامام : وظاهر كلامهما أى كلام الامامين أبى المؤثر وأبى قحطان ، وظاهر الأحوال أيضــا تشهد أن هــذا النصب أى الأخير كان بعد مــا قتل الامام عزان بن تميم ، وبعد مــا خرج ابن بور من عمــان ، واستعمل عليهــا عماله ، وقال أبو المؤثر بعد أن ذكر مــا ذكر : قدموا راشدا إماما ثانية على غلطه وخطئه ثم ضللوه وعزلوه ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم إماما بدله .

وقال أبو قحطان : رجعوا الى راشد من بعد أن كان فى الســجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا ، فعقدوا الامامة وقصروا الجمعة وجبــوا الزكاة ، قال : وباع راشد الصوافى جمع صافية ، وهى الأراضى والدور التى جلا عنهــا أهلها ، والأموال التى عادت الى السلطان باستخلاصه إياها ، وهــذه حكمها أن تكون لبيت المــال لفقدان المالك لهــا ، أى تكون مجهولة الأرباب ، فأمره فى زمن الامام الى الامام ، لأن الامام قائم بمصالح المسلمين ، نازل منزلة الكل ، قاسم بين الأمة الارزاق المنوطة بــه خاصة .

واعلم أن أصــل بيت المــال هو بيت أعــده أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رحمه الله ، ليدخل فيــه الخراج من الأراضى التى اغتنمهــا المسلمون من المشركين فحبسوهــا لمصــالح الأمة ، الى أن توزع الى مستحقيها ، ويدخل فى معنى بيت المــال المغانم التى كانت تســاق فتجمع فى ذلك البيت المعد لهــا الى أن توزع الى مستحقيها ، ثم قضى عمر بن الخطاب للناس على قدر الاستحقاق ، فرفع من استحق الرفع عن مستوى غيره ، وخفض من استحق الخفض كذلك ورتب ، النفقــات وكانت مطلقة لا راتب لهــا ، بل كان اذا جاءت غنيمة أو خراج من بلد قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مستحقيه ، كمــا حكم القرآن للراجل والفارس ونحوهمــا ، وسهم ذى اقربى خاص بهم ، فأعطى عمر المجاهدين حقهم ، وأعطى القاعدين مستحقهم ، ويلتحق بذلك الزكاة والكفارات والنذور فى بعض الأحوال ، واتفق ذلك وشاع حتى صــار عرفا عاما جامعــا لكل خراج الدولة ، قــال أبو إسحاق : والأقوال المجهولة الرب تعــود الى بيت المــال أ هـ •

وهنــا الكلام على بيع راشد بن النضر للصوافى التى هى خاصة بيت مال المسلمين فى معرض النقد على البائع وأعوانه ، قال أبو المؤثر : فهــذا من العجب العجيب من أفعــال أهل عمــان • قال : ثم خــذوه وتركوه ، ثم خلعوا معــه الامامة وفرضها ، ومــا أجب الله تعالى فيهــا على أهلهــا لعبــا ولهوا ، كلمــا أرادوا صافقوا رجــلا ببيعة ، ثم خذلوه انتهى المراد من كلامه •

قلت : هــذا نوع من اللعب والبيعــة عهد فى أعنــاق الذين يبايعون لا يجوز لهم نقض عهد الله ورسوله بغير حجة ، ولا يصح لهم ذلك بحــال من الأحوال حتى يتحقق موجب العزل ، فان تحقق وجب أن يتوب

الامام ، فان تاب لم يصح عزلـــه إلا إذا تاب فى الظاهر ، وخالف فى الباطن ، فانه ان خالف فى الباطن تبينت خيانته ، وظهرت الحجة عليـــه بذلك فهـــو على هـــذا مصر لا تائب ، بل تضاعفت الحجة عليـــه بدعوى التوبة وظهور الخيانة فى الأعمـــال بعد التوبة ، كقضية عثمان بن عفان أن هـــذا الحال يمجه حتى أقل النـــاس ، حيث يبايعون اماما ثم ينقضون بيعتـــه بغير موجب ، وسيأتى من هـــذا النوع مـــا نطلق عليه الامامة المستضعفة ، كمـــا سوف تراه ان شاء الله ممـــا تحتار فى تصويره ، ويسأم التاريخ من ذكر مثله ، ولكل زمان أعمال ، ولكل وقت خصوصيات ، وللعدل أوقات كما للجور كذلك ، والله يعلم المفسد من المصلح والله يتولى من عبـــاده الصالحين .

افتراق أهل عمـان الى رستاقية ونزوانية

اعلم لمـا كان موسى بن موسى بن على وراشد بن النضر اليحمدى مـا كان وفعلا مـا فعلا من خروجهمـا على الامام العـادل الصلت بن مالك ، وتوليتهما الأمر عنـه وتركه مضاعا بغير موجب ، اختلف العلماء فى أمرهمـا وطال الجدال بينهم ، وكثر القيل والقال فيهمـا ، فرأى فريق خروجهما باطلا إذ كان خروجا على الامام العـادل الذى ثبتت إمامته باجماع ، ولم يقترف موجبا لخلعه ، وزعيم هـذا الفريق الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمى البهلوى ، ومن وافقه وتبعه وأخذ عنـه كأبى الحسن على بن محمد البسيانى صـاحب الجـامع المعروف ٠

قال الامام : وتبعهم على ذلك خلق وسميت فرقتهم الرستاقية ، قال : وعارضهم من أهل عمـان فريق كان زعيمه الشيخ أبو سعيد الكدمى ، وأبو عبد الله محمد بن روح بن عربى ، وتبعهم أيضـا ناس وسميت فرقتهم النزوانية ٠ قـال : وفيهم ألف أبو سعيد رحمـه الله كتاب الاستقامة ، فان الأولين أوجبوا البراءة من موسى بن موسى وراشد بن النضر ، وألزموا النـاس ذلك بدعوى أنهمـا خرجا على الامام العـادل الذى ثبتت إمامته بالاجماع ، فالخارج عليـه باغ بالاجماع ، والبراءة من الباغى واجبـة بالاجماع ٠ قال : ورأس هـذه الفرقة وعميدها الذى اشتهر فيهـا أبو محمد إلخ ، فعارضهم فى ذلك الامام الكدمى رحمه الله ، قال : ونقض عليهم مقالتهم هـذه أهل الحق ، وردوا عليهم غلوهم ، فتراه سماهم رحمـه الله أهل الحق ، وسمى مـا عليه الأولون غلوا الخ ٠

قال : وألف أبو سعيد الكدمى كتاب الاستقامة فى الرد عليهم ، قال وتبعهم أبا سعيد وحزبه على ذلك ناس وفقـوا الى الهـدى ، قـال : وبلى أهل عمان بهـذا الافتراق بلاء عظيما • قال : وبقيت الفرقه زمانا طويلا حتى ظهر الامام المتوفق المويد ناصر بن مرشد ، واماث تلك البدعة واحيا منـار الحق ، قلت . على هـذا فقد عاشت فرقتهم واستمر خلافهم لمضى سبعة قرون تقريبا ، بغير موجب ولا داعى له ، ولم يتوقف الدين على ذلك ، ولا كلف الله به عبـاده فى حال من الاحوال ، بل الشيطان ينزع بين الاخوان كمـا نص عليـه القران ، ولقـد انب الامام السالمى ابا محمد وحزبه فى هـذه القضيه ، حتى فى جوهره النظامى وغيره من مؤلفاته الفقهيه ، لم بحث الامام السالمى الموضوع بحثـا تحليليا فقال : أمـا قولهم ان الصلت أمام بالاجماع فهـو كان كذلك لكن خصمهم يدعى أنهم لم يخرجوا عليـه ، وإنمـا خرجوا لمناظرة المسلمين ومشاورتهم فى امره ، وطلبوا منـه أن يعتزل من الأمر فاعتزل غير مجبور ولا مقهور ، وأن للامام أن يعتزل اذا طلب منـه المسلمون ذلك ، فهـذه دعواهم تقل نحن لم نخرج عليـه وأنمـا خرجنا للمناظرة ، ولم نتقدم عليه إماما ، وإنما قدمناه بعد اعتزاله ، فان صحت هـذه الدعوى فهى محتملة فـلا تصح بذلك البراءة من موسى وراشد ، فكيف يلزمونهـا الناس ثم ان هـذه القضية كانت فى زمان قبل ظهور هؤلاء الغـلاة ، فالناس منهـا فى سلامة ، فكيف يلزمونها من ليس له فيهـا ناقة ولا جمل ، وتلك أمـه مضت بأعمالها والله لم يكلف أحدا بفعل غيره •

قال الامام : ولو قيل ان المسلمين فى عصر الصحابة لم يقبلوا من الطلبة بدم عثمان إلا الرجوع عن تلك والبراءة من عثمان ، وتصـويب المسلمين على خلعه وعزله ، أى لضيقوا الواسع • قلنـا : إن الصحابة لم

يدعوا الناس الى البراءة من عثمان إلا بعد اشتهار أحداثه بين الخاص والعام ، فحكم فيها المسلمون بأنها مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلبوا منه الرجوع الى الحق مرارا فكان يتوب ويرجع حتى طلبوا منه الاعتزال فأبى ثم أحاطوا به ليعتزل ، فكان من قدر الله عليه أن قتل ثم ان فريقا من الناس قاموا فى الطلب بدم عثمان بعد ظهور ذلك منه وحكم المسلمين عليه ، فهذه الأحوال التى ذكرها المتبرئون من موسى وراشد لخروجهما على الصلت ، وهى دعاى تحتمل الحق والباطل ، وما تعودوا الكذب ولا يستحلونه ، فمن ها هنا توقف من توقف من أفاضل المسلمين فى أمر موسى وراشد ، لالتباس أمرهما وكل مشكل موقوف عنه ، والواقفون منهم يتولون أولياءهم الذين يتولون موسى وراشدا وأولياءهم الذين يتبرءون من موسى وراشدا لامكان صحة الدعوى عند كل واحد من الفريقين ، ومضى على ذلك ما شاء الله من الزمان .

قال : ثم ظهر أناس بعد ما مضى شاء الله من الزمان ، وبعد انقراض ذلك العصر فغلوا فى أمر موسى وراشد ، وأوجبوا البراءة منهما على الناس ، وقالوا لا يسع جهل الحكم بحدثهما لأنهما خرجا على الامام العادل ، وهو امام بالاجماع ، والخارج على امام بالاجماع باغ بالاجماع والبراءة من الباغى بالاجماع واجبة بالاجماع ، قال : والطالبون بدم عثمان إنما طلبوا الدولة والملك وجعلوا الطلب بدم عثمان ذريعة لهم ، وتستروا بذلك عند العوام ، فكانت بذلك فرقة عظيمة فى الدين ، فالطالبون بدم عثمان كلهم فى ظاهر الأمر يتولونه على أحداثه ، ويبرءون من المسلمين القائمين عليه وعلى حكمهم عليه بحكم الله ، فمن هناك

لم يعذروا أهل تلك الفتنة إلا بالبراءة من عثمان وأشياعه ، وبعد انقراض تلك الفتن وذهاب تلك الأمم ، لم يلزموا الناس أن يحكموا فى عثمان وأشياعه بحكم إلا من يلزمه العلم القاطع بحدثهم ، وعرف الحكم فى ذلك ، فان يلزمه أن يحكم فيهم بحكم الله لأداء الواجب من فرض البراءة . وأما الجاهل بحدثهم وحكم حدثهم فلا يلزمه منه شىء ، وانما يلزمه أن يتولى المسلمين على ولايتهم لمن تولوا ، وبراءتهم ممن برءوا منه ، وهؤلاء الغلاة ألزموا الناس البراءة من موسى وراشد بعد مضى ثلاثة قرون ، فحكمهم فى ذلك مخالف قطعا لحكم المسلمين فى أشياع عثمان . لأن المسلمين يعذرون الجاهل بعد انقراض المحدثين ، ويوسعون لهم فى الوقوف ما لم يتولوهم أو يعرفوا الحكم فيهم ، وهؤلاء يلزمون الناس الجاهلين البراءة من موسى وراشد بعد انقراض ثلاثة قرون ، وان جهلوا الحكم فيهم قالوا يلزمهم أن يسألوا عن دينهم والبراءة من المحدث واجبة ، فعليهم أن يسألوا عن واجبهم ، قلنا : ذلك فيمن وجب عليه وهو أمر خاص لا يعم الناس كلهم ، وإنما يعم من بلى به ، ثم إن البراءة من الأشخاص ليست مثل الصلاة والصوم ، فانها وان كانت لازمة فانما تلزم من وصل الى علم ذلك ببصر نفسه ، أما من وصل اليه ببصر غيره ، فلا تلزمه باجماع ، وانما تلزمه على قول ، ليس لهؤلاء الغلاة أن يخطئوا أحدا تمسك بقول من أقوال المسلمين ، ثم إن الدين يتم من غير أن نذكر فى اعتقادنا البراءة من فلان وفلان ، بل يكفى أن نعتقد البراءة من جملة أهل الضلال .

فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس فى جاهلية عمياء فلم يكن يدعوا إلا الى الشهادتين ثم يعلمهم شرائع الاسلام ، وكانوا قبل ظهوره يقولون آباءهم وطواغيتهم ، فلم يكن صلى الله عليه

وآله وسلم يلزمهم أن يبرءوا منهم واحدا واحدا ، وانما يكفتى منهم قبول الاسلام والدخول فى شرائطه ، ويتضمن ذلك البراءة من أضداده ، وقد اكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين بقبول الاسلام ، ولم تكتف الغلاة من المسلمين إلا بالبراءة من موسى وراشد . قلت : وفى هذا الحال تضييق للواسع والزام لما يلزم قبل أن يلزم ، قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا رمضان ويحجوا البيت ، فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » وفى الحديث الآخر : بنى الاسلام على خمس .

ومما وسع شقة الافتراق الفضل بن الحوارى ، وكان قبل الفتنة لا يختلف فى فضله وعلمه ، وقد أخذ عن أبى عبد الله بن محبوب رحمه الله ، وكان فيما مضى أيضا قرينا لعزان بن الصقر حتى قال فيهما القائل إنهما فى عمان كالعينين فى جبين ، أى هما سواء لا يفضل أحدهما على الآخر ، وهما زينة الجبين ، والجبين هو عمان ، والعينان أولئك الشيخان ، فمات عزان بن الصقر قبل الفتنة ، أى فسلم من بليتها وابتلى بها الفضل بن الحوارى ، فكان يمشى فيها مشية البعير فى قيده . قال الامام : وأدركها الفضل فأصاب منها ، بل قتل فى وقعة القاع فى امامة عزان بن تميم . قال : وكان الفضل يرى أن لموسى ما صنعه من عقد الامامة لراشد بن النضر ، وكان يقول : ان موسى عالمهم وانه الحجة عليهم ، وعنه أى الفضل المذكور أن الفريق الذى رأى عزل الصلت ابن مالك أو قال إنه اعتزل أثبت امامة راشد وعقدته إلا شيخ نفسه ادعى أنه لا يجوز عزل الصلت ، ولا تقديم راشد إلا بحضرته وعلمه ، وحتى تعرض عليه الأمور .

قال الامام ، وكأنه يلوح بهـذا الكلام الى أبى المؤثر ، قال : وقد بلغنـا عن شيخ نفسه أنه قال مرة : ان كان الصلت حل عزله فراشد امام ، قال : وبلغنـا عنه حينا أنه لا يقبل ذلك حتى يصح ذلك معـه ، وهـو كان غائبا عن ذلك ، إلا لن فريقا ممن ينتحل العلم والبصر فى الدين كانوا معا على الصلت مع من عزله يحثونه ويأمرونه ، فلمـا عزلوه رجعوا والدنيا أمام العـامه إلا من شاء الله ، وكان الفضل بن الحوارى يحتج لراشـد ابن النضر ، ويثبت إمامته ، ومن كلامه فى كتاب كتبـه لراشد بن النضر يقول فيـه بلغنا أنهم يحتجون عليك أن الامامة لم يجتمع عليها ، ومـا لهم بذلك عليك حجة ، ولا على من معك ، لأن الامامة ليست مشتركة لجميع المسلمين ، إنمـا هى لمن حضر منهم • قلت : هـذا الكلام مـا فيه من المقـال لأهل الجدال أن الامامة من الأمور الجامعة المجتمع عليهـا التى لا تقوم بأفراد الناس ، ولو كانت الامامة تقوم بأفراد لكـان لكل أحد أن يقوم فينصب اماما ويلزم المسلمين امامته ولا قائل بهـذا نعم إنمـا يثبت إذا قـام بهـا من أهل العلم الذين هم مرجع الأمة ، فاذا عقـدوا على امام كانوا حجة فى عقدهم إذ كانوا مرجع المسلمين من أول الأمر ، فهم إنمـا أيدوا هـذا المرجع بالامام الذى اختاروه لأنهم اختـاروا للأمة لا لأنفسهم ، وليس للأمـة أن تعـارض الصـلاح اذا تحقق • قـال : إنمـا هى لمن حضر منهم العقـد ، ولم يخرج عنهـا إلا غائب عنهـا من المسلمين ، أو مضاد لهـا منا ولأهلها ، وذلك حرام فى الدين ، لأنه أخطأ سبيل المسلمين ، وباين منهجهم ، وأمـا الغائب فلم يكن لهم أن ينتظروه •

قـال : ولو كانت لا تعقد حتى يتوافى اليهـا جميع المسلمين ، كان جميع الأئمة ومن قد مضى قد أخطأوا ، قال : وهـذه دعوى باطلة ،

لأن التقديم والعقد إنمــا هو لمن حضر من أهل العلم والقدم فى الاسلام وأعلام المسلمين • قلت : نعم اذا قام بهــا من هم حجة على غيرهم جازت عقدتهم أو وجبت ، إذ رآهــا المسلمون صحيحة وأيدوهــا ، أمــا اذا انفرد واحد من أهل العلم قطع عقــد الامامة عليهم ، فلهم النظر فيمــا فعل ، فان رأوه حقــا تتبعوه ، وان رأوه باطلا تركوه ، وممــا كان من موسى وراشد بن النضر ، ممــا يوجب العزل ويوسع نطــاق الافتراق بين المسلمين المســلك الذى سلكه الامام المذكرر راشــد بن النضر من الأفعــال الشنيعة التى لم يرض المسلمون فعلهــا ، فكيف أوجب ابن بركة البراءة من راشد وموسى إيجابا يحتمونه على الكل ، ويفرضونه على عبــاد الله تعالى ، ويقولون بوجوبه على المجتهــد والمقلد ، لأن الامام بالاجمــاع يكون الخروج عليه بغيــا بالاجماع ، والخارج عليــه باغ بالاجماع ، فالبراءة من الباغى بالاجمــاع ثابتــة بالاجمــاع ، والله يقول : (تلك أمة لهــا ما كسبت وعليهــا مــا اكتسبت) ويقول عــز وعلا : (ولا تسألون عمــا كانوا يعملون) ، (ولا تزرى وازرة وزر أخرى) فى أمثالهــا إلا من علم علمــا قطعا ، وأين ذلك بعــد ذهاب ذلك الجيل ، وإنمــا كان الافتراق تشويشا على الاخوان من أهل الدين والايمــان ، وبالجملة فان النفوس اذا أغراهــا الشيطان على فعل شىء تعمى عمــا وراءه وتتهافت الى هواهــا ، وإلا فمــا للافتراق وقد سلم منــه المفترقون عليه ، ومــا الداعى عليــه ، وكان الواجب أن يقــال تلك أمة دانت بمــا يلزمهــا حسبما ظهر لهــا ، ونحن الآن فى عهــد غير عهدهم ، فلم نبعث داء دفنتــه تلك الأيام الخاليــة ، وقضت عليه تلك العهود الماضية ، وأى جدوى فى ذلك علينــا أن نستقبل الحق فى عهدنا ونتحــامى لأنفسنا مهمــا استطعنا ، ونعمل لمستقبل ديننــا ودنيانا ، فمــا لنا نرجع على

الورى نبكى على الماضى بكـاء الشيعة على الحسنين وفى أيامهمـا كمـا يقول الشاعر العربى :

إنى أخـالك بعد الموت تندبنى
وفى حيـاتى مـا زودتنى زاد

إن هـذا لا يسح له عاقل ، ويشتغل به الكامل ، ولا يعمل بمـا هو من نوعه الا جاهل ، حتى قام هـذه القضية الامام العـلامة أبو سعيد الكدمى رحمه الله ، وشدد الوطأة على أهل الباطل ، ورد عليهم ردا نقض به بناءهم من أساسه ، حتى تلاشت تلك الدعايات واضمحلت تلك المخالفات ، وجمع الله الشمل على الحق ، وأعدم الله النصير لتلك البدعة ، ومضى أهلهـا وانتهت بهم ، وسلم الناس بواعث السر ، وأذهب الله إغراءات الشيطان والحمد لله على كل حال . قـال شيخنا رحمه الله وغفر له :

وافترقت مـن فعلهم عمـان
وعسـها الفتنـة والخـذلان
فكانت الفرقـة فيهم باقيـة
وعن قضـاء الله مـا عن واقيه

إعادة راشد بن النضر للامامة بعمان مرة أخرى

اعلم أن أهل عمـان أمرهم عجيب وغريب فانهم لم يزالوا فى تقلب بالأمور وفى تناقض على المنـازل ، وهـذا من الداء الدفين فى النفوس غير الصافية ، فانهم أقاموا راشد بن النضر اماما بدلا من الصلت بن مالك الذى وسموه بالعجز والضعف ، وأضافوا اليه ما شاءوا من الأحوال ، وأنه ولده شاذان كان يتدخل فى الأمور باسم الصلت بن مالك ، وأنـه ولد يستند على سلطان أبيـه ، وأن أباه يعلم منـه أفعاله ، وكان موسى ابن موسى رأسا كبيرا فى أيامه تخضع له رؤوس كثير من عمـان ، فدخلوا عليه من هـذه النواحى ، وتجمعوا بفرق ليعلم الصلت بن مالك أنهم قاصدوه وغير تاركيه ، فاعتزل لأن الحر تكفيه الاشارة ، أمـا العبـد فيقرع بالعصا فلمـا تخلى الصلت من الأمر قلبوا له ظهر المجن ونسبوا اليه التخلى من الأمور بغير حجة ، وأنه أضـاع أمر المسلمين فحل لهـم نصب امام يقوم بالأمر بعـده ، فيبايعوه راشدا بن النضر ، ودخلوا نزوى بامامهم الجديد وتولوا الأمر بغير منـازع ، وكان له فى الأمر فوق أربعة أعوام ، ثم انقلبوا عليـه حتى هاجموه فى دار الامـارة ، وقبضوا عليـه وضربوه بالسياط ثم أودعوه السجن فبقى فيـه سجينـا ، ثم أخرجوه وبايعوه مرة أخرى من غير أن يحققوا عليـه جرما أو ذنبـا ، فيؤخذ به ، ثم يتوبونه منـه ، لا بل كل ذلك لم يكن ، وإنمـا عادوا عليـه بعد تلك الأحوال السيئة ، وهى خلع وحبس وضرب ، ثم يكون بعد ذلك إماما بغير توبة ، يعلمها المسلمون أن هـذا من الغرائب التى يضحك منهـا أهـل العقـول .

قال الامام فى تحفة الأعيان فى الجزء الأول صحيفة ٢٣٤ لأربع وثلاثين ومائتين : تجمعت اليحمد وبنو مالك بن فهم والعتيك ، وسارت الى راشد فى دار الامامة بنزوى ، فأسروا راشد بن النضر بعد أن هزموا أعوانه وفضوا عساكره ، وعزلوه من الامامة ، وقال فى صحيفة اثنتين وأربعين ومائتين : كان أى راشد فى السجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا أفضى الحال براشد بن النضر الى هـذا الحال ، وقد قدمنـا لك أنهـم لم يثبتوا عليه [مـا] يحتجون به عليه عند المسلمين ، وإنمـا قدموه كمـا شاءوا وعزلوه متى شاءوا ، ثم قدموا الصلت بن القاسم اماما بدلا من راشد بن النضر الذى كان اماما لهم بدلا من الصلت بن مالك ، وقبضوا على راشد بعد مهاجمة له وقتال دار بينـه وبينهم ، ثم تمكنوا منـه ووضعوا عليه الحديد ، فقيدوه وأودعوه السجن ، أبعد الضرب والقيـد تكون إمامة ، ومـا لهـذا الامام يرضى بهـذا بالأمس يضرب ويسجن ، واليوم يعود اماما سبحان الله .

إمامة الصلت بن القاسم بعد راشد بن النضر

لما تمكن القائمين على راشد بن النضر من القبض عليه ، وأروه من سطوتهم عليه ما أذله وأخبره أنه أسير رغبتهم ، وتحت قهر سطوتهم ، ولحقه من السوء ما لحقه منهم ، وأيقن أنه على شفا جرف هاو فانهار به فى الحضيض ، وشفى الثائرون عليه أمراض نفوسهم المتحمسة عليه بمن قتل فى الروضة ، ومن أجرم عليهم راشد بن النضر فى حال امامته . رفضوه ثم بايعوا بعده الصلت بن القاسم اماما وكل أمرهم منوط بالزعيم الأكبر موسى بن موسى : وكأن القاسم لم يعجبهم فخلعوه ، ولم يرتضوا منه مارأوه من أعماله ، وظاهر كلام أبى المؤثر أنهم أعادوا راشد بن النضر فى الامامة ، ثم عزلوه ثانية ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم بعد العزل الثانى لراشد بن النضر ، ولعلهم لما قيدوه وضربوه وحبسوه ليؤدبوه ، فلما أدبوه وشفوا أنفسهم ردوه على الامامة ، ورأوه مصالحا لها بعد تأديبه التأديب الشاق ، وأعيد للعمل مرة أخرى .

قال الامام رحمه الله حاكيا عن أبى المؤثر : قدموا راشدا اماما ثانية على غلطه ، أى فى أحكامه وخطئه ، فى أعماله ، ثم ضللوه أى قالوا هو ضال ثم عزلوه ، أى بعد ما صح ضلاله ، ثم أقاموا الصلت بن القاسم اماما . قال الامام : قال أبو قحطان : رجعوا الى راشد من بعد أن كان فى السجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا ، فعقدوا له الإمامة وقصروا الصلاة فى الجمعة ، وجبوا الزكاة الى آخر ما جاء عنهم . قال ، أى أبو قحطان هذا من العجب العجيب من أفعال أهل عمان . قلت : وأى شىء أعجب من هذا ، فان المسألة من الغرائب لاشتمالها على حق وباطل

واختلاط هذه الأعمال حابلا بنابل ، قال : ثم خذلوه وتركوه وخلعوه وخلعوا الامامة وفرضها وما أوجب الله تعالى فيها على أهلها لعبا ولهوا الخ . فكأن الامامة ألعوبة من ألاعيب الصبيان ، ما كأن عليها عهد الله ورسوله وخيانة العهد والميثاق أمرهما كبير عند الله ، ومن خان عهد الله اقترف ذنبا كبيرا من الذنوب ، وهذه الأحوال من سوءات الرجل ومن سيئات الأعمال ، فان القادح فى المذهب يراها حجة على أهله ونزاهة هذا المذهب الصحيح تبى مثل هذه الأفعال ، وهل قلت الرجال الصالحون فيبايعونهم بعد مارأوا أحوال راشد ؟ فبعد القيد والضرب والحبس والتضليل ، يبقى مجال للإمامة ، وهذه الخصال القادحة الفاضحة لا تزال يتداولها ؟ ! ألم يقل العلماء فى اللقيط والمزنيم والمولى بعدم صلاحيتهم للامامة ، ولو بلغوا الذروة فى الفضل والعلم واتقوى ، مع أن تلك الخصال لم تكن من العار فى حق المتصف بها ، إذ هى من سبب غيرهم لا من سببهم ذلك لأن منصب الامامة رفيع منيع لا يليق أن يدخل عليه ما يدنسه أو يثلم جانبه بشىء ما .

خلع الصلت بن القاسم من الإمامة

اعلم أن أهل عمان فى هذه الحلقة ، كثر التلاعب عنـــدهم بالدين وشاع بينهم التعصب للأهواء المضلة ، فتراهم يصافقون هذا بالامامة صباحا ، ويخلعوه رواحا ، ويعدون لذلك ليلا ، ويتركونه نهارا ويقدمون زيدا اليـــوم ويؤخرونه غدا ، وينصـــبون عمرا حينا ويتركونه كذلك ، ولا موجب لذلك يعرفه الناس الا أنهم صفا لهم الجـــو من الأعـــداء ، وكفاهم الله شر الملوك الأقوياء ، وبذلك نسوا ما كانوا عليه بالأمس ، حيث يسأمون الخسف ولم ينتبهوا من تيههم كبنى اسرائيل إذ عاشوا زمنا فى التيه ، فوهت بذلك قوة المسلمين ، وتمزق شمل المؤمنين ، وطمع فى الدولة أهل الدنيا •

ولا شك أن الله ناظر الى صنع عباده ، والى أعمالهم فى بلاده ، فمجازيهم على أفعالهم ، ومنتقم منهم بسبب أفعالهم المخالفة للحق ، المنافية لما عليه سلفهم الصالح ، (وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) ولما بايع أهل عمان الصلت بن القاسم الخروصى بعد راشد بن النضر ، إذ خلعوه لم يطل عهد الصلت هذا حتى خلعوه ، ورفضوه كراشد ، وراحوا يطلبون اماما آخر ليبايعوه ولم يذكروا للصلت هذا موجبا لخلعه ، فكأن الإمامة عندهم كرة يلعبون بها ، ويتلهون فى ميدانها ، والله سائلهم غدا عما يصنعون ، والعجب من هذا الذى يجب أن يتلاعبوا على اسمه إماماً •

إمامة عزان بن تميم الخروصى رحمه الله

اعلم أنه لما خلع أهل عمان راشد بن النضر مرتين ، وبايعوا الصلت ابن القاسم كما قدمنا ، وخلعوه أيضا كما أسلفنا . على غير هـدى من الله ، ولم يقترف اثما ولم يرتكب جرما ، ولم ينتهك حـُرَماً حتى إذا لم يرغبوا فيه ألقوه وراء ظهورهم كالشىء اللقا ، وهذا شىء لا يقتضيه الدين ، فان استنوا بسنة المسلمين ، فالمسلمون لما رأوا من عثمان ما يخالف منهج أهل الايمان قاموا عليه ، وبينوا ما ينكرون ، وتوبوه الأولى والثانية والثالثة ، حتى تبين لهم أصراره على خلافهم ، ولما تحققوا اصراره قاموا عليه ليعتزل ، فأصر حتى أعذروا فيه ، وأهل عمان هنا لم يعرف لهم مـن ذلك أدنى شىء الا أنهم بايعوا هذا ثم عزلوه مرة ثم عزلوه وبايعوا غيره كما سوف ترى من هذا النوع مانـُعـَنـْونُ له بالامامة المتسضعفة ، ليعتبر بذلك أهل العقول المصفة ، ويَحتزر منه أهل الأذهان الصادقة ، والله يقول لنا : (وكونوا مع الصادقين) . ففى يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين ، وهى السنة التى قتل فيها المهتدى بالله العباسى ، وقيل بل قتل هذا سنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين ، لا سنة ٢٧٧ سبع وسبعين ومائتين ولى هذا فيكون ذلك فى خلافة المهتدى بالله ، وقبل وفاته بسنتين والله أعلم .

قال الامام السالمى رحمه الله : وذلك أنه لما وصل موسى بن موسى نزوى وقد عزل راشد بن النضر ، أجمع رأيهم على أمامة عزان بن تميم الخروصى ، فبايعوا له فى التاريخ الذى ذكرناه ، وهو يوم الأربعاء لثلاث خلون من شهر صفر سنة ٢٧٧ سبع وسبعين ومائتين ، وقام له بالبيعة

موسى بن موسى بن على ، وعمر بن محمد القاضى ، ومحمد بن على أخى موسى بن موسى بن على ، وعزان بن الهزبر ، والأزهر بن محمد ابن سليمان .

ولما تمت البيعة لعزان بن تميم ، وتأكد الأمر له وسلمت له عمان ، خرج من نزوى واستخلف عليها شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب ، ووصل الى أزكى وقد مات القاضى عمر بن محمد ، فصلى عليه عزان ابن تميم ، ثم رجع الى نزوى وقام ليركز امامته ويثبت دعائمها ويوطد أركان أمنها ، أخرج أمرا بعزل ولاة راشد بن النضر عامة ، وأثبت موسى بن موسى على القضاء ، وقف عزان بن الهزبر على الأسطول البحرى وجعل نبهان بن عثمان معديا له فى نزوى ، وولى الأزهر بن محمد ابن سليمان صحار وما اليها ، وكان نبهان بن عثمان خطيبا لعزان بن تميم ، وذلك فى صلاة الجمعة ، فان لم يكن حاضرا له عبـد الله بن محمد بن محبوب ، ثم تخوف عزان بن تميم من موسى بن موسى لما يعلمه منه ، وقد عاصره وعلم منه ما علم ، وفهم منه ما فهم ، وبقى يلاحظ الأحوال ، ولما رأى أن امامته استقرت ، وأن دعائمها قد ثبتت التفت الى موسى بن موسى فحول القضاء عنه فهاج موسى لذلك وماج ، ورأى أنه هو الذى أقعد عزان على كرسى الامامة ، واليوم أصبح عزان يحول عـن موسى القضاء ومفهومه أنه لا يريد أعماله ، وليته تأخر لما أخره الامام لكن لابد من وقوع المقدر على الانسان ، فان سياسة عزان هنا غير سديدة ، ولو شغل موسى بالقضاء وألهاه به ربما يسلم من القيام عليه ، فان موسى أصبح يعد نفسه عمدة الزعامة وسيف الامامة .

قال الامام : فجمع موسى الجموع فى أزكى ورأى عمل عزان هذا

اهانة لشرف موسى بن موسى الزعيم الكبير الذى له الحل والعقد فى عمان ، فلما شاعت الأخبار عن موسى وجمعه ، قال فى نفسه وربما قال له قائل إن موسى يجمع الجموع ليهاجمك ويخرجك من امامتك صاغرا ، كما أخرج من قبلك والرأى أن يُعاجَل موسى قبل أن يخرج بجمعه اليك ، فزحف عزان ابن تميم على موسى الى أزكى ، قال الامام : فعاجل عزان موسى خوفا أن يفعل به مثل ما فعل بمن كان قبله ، فانه قام على الصلت وعسكر بفرق حتى تنازل الصلت عن امامته حين لم يجد له أعوانا ، وقام على راشد بن النضر أيضا وهذه الآن ثوبة عزان ، فصال عزان على موسى باستعجال ، فخرج بمن معه من نزوى ، وأطلق اللصوص الذين فى سجن نزوى وسلحهم وخرج بهم ، وجيش جيشا فما شعر موسى الا والقوم فى أزكى ، فدارت رحى الحرب بينهم ، وكانت المعركة الكبرى عند حصيات الردة ، عند مسجد الحجر من محلة الجنور من أزكى ، ولما قتل موسى انكسر علم القوم وسقط العمود الذى قام عليه ذلك البناء المنيع ، وهنالك صال أصحاب عزان صولة المنتصر ، فقتلوا من أهل أزكى رجالا ، وسلبوا أموالا ونهبوا بيوتا وأحرقوا أناسا بالنار ، ولعلهم الذين لم يخرجوا من بيوتهم وقبضوا عليها وفعلوا أفعالا شنيعة فى الأمة على خلاف ما عليه المسلمون ، ولم يفعل مثلها أحد فى عمان ، ما علمنا وذلك من ضغائن تقدمت بين الأحياء ، وآوى عزان أهل تلك الأحداث وانكرها عليه المسلمون حتى انه اتخذ المحدثين أعوانا وأنصارا ، وأجرى عليهم الانفاق ، وطرح انفاق من تأخر عن المسير الى أزكى ، وعاقب من عصاه وأنكر أهل العلم على عزان ، فعله هذا وكان عليه أن يحضرّ أهل العلم ويناظرهم فيما بلغه عن موسى ، ويعتمد على رأيهم وهو واحد منهم ، ثم لما رأى أن يعاجل موسى فليقدم عليه بشراة المسلمين لا باللصوص ، ثم له أشياء ليس له أن يتعداها ، فان

حرق المسلمين بالنار لم يفعله المسلمون فى أحد من الكفار ، فهذا لا يصح شرعا ، وان كان وقع من معرة الجيش ، فعلى عزان وهو الامام أن ينصف من الفاعل ، ويعاقب الجاهل الذى يتغطرس على الناس ، ويفعل مثل هذه الأمور الشنيعة ، وكانت هذه الوقعة يوم الأحد سنة ٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين فى آخر ليلة من شعبان من السنة المذكورة •

ولما كانت هذه القضية فى صالح عزان ، وقتل فيها موسى بن موسى رأته فاستوحش الناس لذلك ، وخاصة النزارية ومن كان مواليا من النزارية ومن شايعها كبيرا لا سيما أن القتل شمل كثيرا من الناس ، ونهب وحرق أناس بالنار رأوه شنيعا ونفخ الشيطان فى أدمغة القوم ، وأضرم نار الحقد ليمزق الدين ، ويهلك المتدينين •

قال الامام : وذلك حين قـُتل موسى بن موسى بأزكى ومن معه من قومه اليمانية ، قال فخرج من أجل ذلك الفضل بن الحوارى السامى ، الى ناحية السر ، ليستجيش من هناك ويبرم الآراء مع من يميل اليهم ، وخرج زياد بن مروان السامى الى سر ، أى خرجا متسللين مختفيين عن الناس ، قال : وخرج أبو هدية من الباطنة ولحق بالفضل بن الحوارى ، ولحق الحوارى بن عبد الله السامى بالفضل بن الحوارى ، ولحق الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى بجبال الحدان ، وجمع بها اناسا كثيرا ، ثـم خرج الفضل بن الحوارى السامى الى توام أى البريمى ، فاستعان ببنى عوف بن عامر بن صعصعة • فأجابه منهم ناس كثير ، واجتمع معه ناس كثير من السر من بنى سامة وغيرهم ، قال : وكان اجتماعهم بتوام ، ثم خرج الفضل بن الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى ، وعزموا على محاربة عزان بن تميم فخرجوا حتى صاروا بينقل من جبال الحدان ،

فبايعوا الحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى، وقاموا لمحاربة عزان ابن تميم فخرجوا بمن يريدون صحار يوم سادس عشر من شوال سنة ٢٧٨ ثمان وسبعين ومائتين ، ودخلوا صحار يوم الثالث والعشرين من هذا الشهر ، أى شوال وذلك يوم الجمعة ، وحضرت صلاة الجمعة فصلى بالناس زيد ابن سليمان ، وخطب الناس ودعا للحوارى بن عبد الله الحدانى السلوتى على المنبر ، وأقاموا فيها بقية الجمعة والسبت ، وشاع خبرهم هذا ، وكان عزان ابن تميم مراعيا لحركاتهم وسكناتهم ، وقد تيقن منهم الشقاق ، والخلاف ، فأقام لحربهم .

قال الامام : وذلك أن عزان بن تميم لما سمع بخروجهم جمع جموعه وجهز جيشه ، فوجهه تحت قيادة الأهيف بن حمحام الهنائى ، وسليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى ، فى جماعة من ولد مالك بن فهم ، وفيهم النضر بن منهال العتكى الهجارى على العتيك، وشاذان بن الصلت على اليحمد، وأمر الجيش كله بيد الأهيف بـــن حمحام الهنائى فى جميع قومه مـــن بنى هناءة بن مالك وسائر ولد مالك بن فهم ، وكان جيشا كثيفا وعسكرا ضخما ، فلما بلغ الحوارى بن عبد الله والفضل بن الحوارى مسير هذه الجموع اليهم ، وأنهم الآن بالقرب من صحار ، اذ كانوا نازلين مجز منها بالجانب الشرقى ، أى فى منازل آل مالك بن فهم خرج الحوارى بجيشه ، وكان جيشه كما قال الامام : عسكرا ضخما ، أى يجمع أكابر أهل عمان . قال فالتقوا بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وحملت اليحمد والعتيك فى الميمنة والقلب ، وحملت بنو هناءة وسائر ولد مالك بن فهم على المسرة ، قال : فما كان يسمع الا طنين السيوف على صفائح الدرق والحلق والبيض ، وارتفع بين الجيشين غبار عظيم ،

حتى ستر الشمس ، ودارت بينهم حرب من أشنع حروب أهل عمان إذ ذاك ، ليهلك فيها أبطالهم ويموت فيها رجالهم ، حتى انجلى القتال عن قتلى كثيرة من أعيانهم ، وأبلى فيها ابن بلال بلاء عظيمـــا أعنى سليمان بن عبد الله بن بلال فيمن معه من أهل بيته ، وحمل فشد على الريان بن محجن السامى ، وكان من فرسان بنى سامة فطعنه فى لبته فأرداه قتيلا عن فرسه ميتا ، وانهزمت النزارية هزيمة لم ير أقبح منها ، وأسر منهم كثير ، وقتل منهم فى المعركة أعيانهم وصناديدهم وأهل البأس فيهم •

قال الامام : قتل منهم فى المعركة ستمائة قتيل ، وقتيل من اليمانية وأصحابهم خمسة وثمانون رجلا ، وقتل فى الوقعة الحوارى بن عبد الله ، وورد ابن أبى الدوانيق ، ويحيى بن عبد الرحمن السامى ، ومحمد بن الحسن صاحب الراية الكبيرة وكان فارس الكتيبة ، وناس كثير من بنى سامة من وجوههم وأعيانهم ، وقتل صمصعة بن عوف العوف العامرى ، وموسى بن عبد الله الواشحى فى خلق كثير من بنى عمه ، وقتل سعيد بن المنهال الفجمى ، فهؤلاء هم وجوه المقتولين •

قال الامام : وأما من عداهم فلا تأتى عليهم التسمية ، أى هم كثيرون ، قال : وقتل من أصحاب الأهيف بن حمحام محمد بن يزيد اليحمدى ، من أهل تنعم ، ورجل من العتيك يقال له منبه بن خالد ، وجماعة من الآخرين ، وقيل إن الفضل بن الحوارى لما ترائى بعسكر اليمانية من أصحاب عزان ، قال : يا لهفى على الدنيا ما تزودت منها ، ولقد جاشت نفسى كناية عن موته ، والمعنى أيقن بالموت ، قال : وكان أول قتيل من الوجوه فى المعركة ،

وانفلت محمد بن القاسم ليكون داعية الشر لأهل عمان ، فطار على بعير حتى نزل توام كما يقال : بعض الجبن شجاعة ، ولو جلس لقضى عليه فينطفىء جمرهم المتقد ، وتخمد نارهم الحامية ، ثم لحقه بشير المنذر الى توام ، وكان هذان الرجلان من جمر جرنان وفى هذه الأثناء قيل مـا من فتنة فى عمان إلا وأصلها من جرنان ، فصارت مثلا فى عمان ، قال : وخرجا الى البحرين ، وكان بها محمد بن نور بضم النون ، وهو الذى يسميه أهل عمان محمد بور بقلب النون باء موحدة ، وكانت هذه الوقعة فى عمان من أعظم الوقائع المشهورة ، وذلك لأن القتل فيها كان على الزعماء من أهل عمان ، إذ خرج فيها الأعيان والأكابر بخلاف غيرها التى يكون القتل فيها على الجنود المرتزقة غالبا ، فلا تكون لهم شهرة مثل ما إذا كان القتل فى الرؤساء المشاهير ، والزعماء المطاعين ، والرؤساء المتبوعين ، فلذلك كان أمر هذه الوقعة مثار الضغن ، ومناط الحقد بين أهل عمان كما قال المؤرخون لهـا .

قال الامام : هذه الوقعة المعروفة بوقعة القاع ، من ظهر عوتب بالخيام من صحار ، وهى من الوقائع المشهورة المذكورة بعمان ، وكانت هذه الوقعة يوم الاثنين من شهر شوال لأربع ليال بقيت منه ، فكان بينها وبين واقعة أزكى التى قتل فيها موسى بن موسى ومن معه شهر رمضان فقط ، وكلاهما على بنى سامة ومن معهم ، وقد قضى فيهما على الأعيان منهم وهكذا أبطالهم وسُقِط فى أيديهم ، ورأوا أحيط بهم ولم تقم لهم بعد هذه الوقعة بعمان قائمة لها معنوية لأنهم بعد قتل موسى بن موسى سقط عمودهم الأكبر ، واندقت عصا قوتهم ، وأين أزكى منهم وهم منهزمون فى صحار ، وقد اشتد ساعد عزان بن تميم عليهم فى هاتين الواقعتين ، وهم جمرة حامية لا تنطفىء بسهولة ، فلذلك فر مـن فر منهم الى محمد بن بـور والى

البحرين مستصرخا للمضرية نظرا الى العنصرية القبائلية ، وأغروه بألسنة معسولة حتى يتم لهم الأمر الذى حاولوه ، وهو الزعامة الكبرى التى ينشدونها لكونهم من سامة بن لؤى بن غالب القرشى ، وكونهم من أهالى جرنان التى هى قلب عمان ، وأنهم السادة فيها ، ولهم الحل والعقد فى ايجاد الامامة ومحوها من عمان وهم المسئولون قبل غيرهم •

عزان بن تميم يتعرض لحرب عظيمة فى عمان

لما انتصر عزان بن تميم فى موقعة أزكى التى قتل فيها موسى بن موسى الذى كان يخشاه ابن تميم ، وتجمع الموتورون من عزان لأخذ ثأرهم بزعمهم من أنصار ابن تميم ، وأثار عزان عليهم جيشه فهزمهم بالقاع من صحار شر هزيمة ، وقتل رجالهم وأبطالهم ، إذ خرج عليهم الأهيف ابن حمحام قائد لجيش عزان وهنا تعمق الشقاق بوقعة القاع ، وتأصل الافتراق بين اليمانية والنزارية ، فكان من على نهج بنى سامة نزاريين من كان على نهج اليحمد يمانيين ، ونادى الشيطان بينهم بذلك ، فما كان يعرف إلا اليمانية والنزارية ، وذلك لسوء حظ عمان .

قال الامام رحمه الله : لما قتل من قتل من النزارية وغيرهم بالقاع ، اشتد الأمر على النزارية ومن معهم ، وخرج محمد بن القاسم وبشير بن المنذر الساميان بن لؤى غالب ، وهم عشيرة موسى بن موسى الى البحرين ، وبها محمد بن نور عاملا عليها للمعتضد من ملوك بنى العباس ، فشكيا اليه ما أصابهما من الفرقة اليمانية ، وسألاه الخروج معهما الى عمان وأطعماه فى أمور جليلة ، قلت : هى ملك ، عمان ولعلهما أغرياه على خصمهما ، وربما قالا له إن عمان كانت تابعة لبغداد ، وربما ذاكره بالواقع من أهل عمان فى قتل عيسى بن جعفر ، وأن الرشيد هم بحرب عمان إلا أن الأجل لم يسعفه ، ومن هذا وأمثاله وأنك اذا فتحت عمان كبر بها شأنك وعلا بها قدرك عند السلطان ، وأن الحجاج كان منه فى عمان ما كان ، وأنت لست دونه والغاية التشفى النفسى لا غير والعياذ بالله ، ان النفس لأمارة بابالسوء ، ولو لم تقم عمان لهذا البطل المتمرد على عمان لكانت عمان

هادئة مطمئنة ، ولكن قضاء الله وقدرة جار على الانسان ، وارادته نافذة فما زالا به فأجابهما الى ذلك ، وأشـــار عليهما أن يذهبـا الى الخليفة ببغداد ، ويذكر له أمرهما وأنهما قدما يريدان نصرته ، فسار محمد ابن القاسم وقعد بشير مع محمد بن نور ، فلما قدم محمد بن القـاسم الى الخليفة المعتضد العباسى ، وذكر له الأمر خف له وهش ، ورآها فرصة سانحة تستعيد لهم عمان بعد طول غيبتها عنهم ، وربما أخذته أريحية العصبية للنزارية فأخرج عهدا منه لمحمد بن نور على ولاية عمان ، ورجع من بغداد الى البحرين موفورا من الخليفة العباسى ببغيته ، وأخذ محمد بن نور فى جمع العساكر من سائر القبائل ، وخاصة النزارية ، وحصل معهم من الشام من طى فكان جيشه يتألف من خمسة وعشرين ألفا فيه ثلاثة آلاف فرس وخمسمائة ، عليهم الدروع والجواشن ، وعندهم الزاد الكافى والعدة الوافية ، وعمان فى استقبالهم حتى شاع الخبر فى عمان ، إذ كانت فاتحة آذانها فى أمر هذين الزعيمين ، وما يكون من أمرهما حتى تحقق الحق بمجيئها بمحمد بن نور والى البحرين ، ومن ورائه خليفة بغداد ، وكانت عمان سابقا صار عليها من هؤلاء ما صار ، مما ذكره المؤرخون فاضطربت عمان لهذا النبأ العظيم ، واهتزت من كل جانب خوفا من الشائع الذى لا يدرى ماذا يكون منه ، والاخبار تأتى من بعيد مدهشة هائلة رائعـــة .

قال الامـــام : ووقع الخلف أى التخالف والعصابية بـــين النزارية واليمانية ، قال : فكانت النزارية ومن كان على رأيهم فى حزب ، واليمانية ومن كان على رأيهم فى حزب ، قال : وتخاذل الناس عن الامام عزان بن تميم ، وانتقضت الأمور وأصبح الداعى والمدعى النزارية من جـانب واليمانية من الجانب الآخر ، قال فخاف أهل صحار وربما قالوا سيكون

فينا وأول من يواجه هذا الجيش صحار وما حولها من الباطنة ، إذ كانت طريق الغازى لعمان من هناك ، فرأوا أنهم لا قبل لهم بهذا الجيش المقبل عليهم ، فخافوا أن يلتهمهم ويقضى عليهم ، ويسلبهم أموالهم وأولادهم ، إذ حروب البغى ، لا تقف عند حد ، لأن القائد لها البغى ، والباغى إذا انتصر يفعل ما يهوى ، فخرج بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم الى سيراف والبصرة وهرموز وغير ذلك من البلدان ، فارين خوفا من العدو الداهم ، قال : وخرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمى بولده وحرمه ومن خف معه من قومه ، فركبوا البحر فى بعض السفن حتى قدموا الى هرموز ، فتحصن بها وأقام هناك الى أن اتخذ بها دارا وأموالا ، وآيس من الرجوع الى عمان فاتخذ هرموز وطنا الى أن مات ، ثم ابنه المهدى بن سليمان ، وكان أميرا عليها الى أن مات ، فبقية ولده بها ، وبعضهم رجع الى عمان وجاء بن بور بجيوشه من طريق جلفار ، أى رأس الخيمة ، ثم منها الى توام أى البريمى ، وصلها يوم الأربعاء ليست خلون من شهر المحرم سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين بعد حروب وقعت بينه وبين القبائل القاطعة على طريق مروره ، لأن الجيش ما مر عليه يحطمه طبعا ، وكان محمد بن نور هذا ليس بأقل من الحجاج بن يوسف الذى عاث فى عمان بتلك الحروب التى شنها على عمان حتى دوخ عمان ، وهذا الحجاج الثانى جاءها ليأخذ دوره فيها جزاء لأهل عمان على ضياعهم لما نجاهم الله عز وجل من الشرلم يلبثوا أن تحرشوا به مرة ثانية ، فجاءهم يتدفق وهم يقودونه من زمامه الى منازلهم والله المستعان .

ثم سحب على أرض السر ونواحيها فسلمت له وواجهته ، ثم منها زحف على نزوى ، وإذا بأصحاب عزان يتخاذلون والناس من يلقى خيرا قائلون له : ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل .

فخرج عزان لمــا رأى انهيار صرح امامته وسقوط عرش زعامته ، وكأن الخوف عم عمان ، فان أهالى صحار وما حولها كما سبق الكلام عنهم أنهم فروا هم وذراريهم الى بلاد فارس خوفا من شماتة العدو ، فخرج عزان الى سمد الشان من شرقية عمان متحيزا اليها ومستنصرا بأهلها ، ولما وصل محمد بن نور نزوى سلمت له إذ لا إمام بها ولا محارب فيها ، ثم مضى قاصدا سمد الشان ، فلحق بعزان بن تميم فوقع بينه وبين عزان القتال ، واشتد الحرب والنزال ، ومحمد بن نور يرى أنة منتصر إذ جاء عمان وهى خاضعة طائعة ، وعلم أن تقهقر عزان الى سمد الشان انهزام من عزان ، وعلى كل حال أن محمد بن نور قد التف اليه أكثر أهل عمان ، منهم الراغب ، ومنهم الراهب ، ومنهم المداهن ، وكانت المعركة بين محمد بن نور وعزان بن تميم الأربعاء لخمس ليال بقين من صفر من نفس السنة ، وكانت الهزيمة على عزان وأصحابه ، وقتل عزان بن تميم ، وقطع رأسه وبعث به محمد بن نور الى المعتضد ببغداد ، ورجع محمد بن نور الى نزوى وأقام بها فأصبح مالك أمرها وبيده زمامها ، فكان فى نفوس اليمانية ومن يميل اليهم من الحقد ما فيها ، وهنا قام الأهيف بن حمحام الهنائى يكاتب مشايخ أهل عمان ، وقبائلهم من كل مكان ، ويحثهم على اخراج محمد بن نور من عمان ولا يزال يستنهضهم حتى أجابوه الى ذلك وخرجوا فى عسكر ضخم وخميس جرار ، وكان فيهم الشيخ منير بن النير الجعلانى أحد حملة العلم فى أيامه ، وكان بالغا فى السن مائة وعشر سنين ، وكان اجتماع العمانيين فى شرقية عمان ، ومنها خرجوا طالبين محمد بن نور ، وكان القصد أن يسيروا اليه رويدا رويدا ، فــان خرج من عمان بغير حرب فذاك ، وإلا فيكون النظر فيه ، ولما بلغه الخبر ارتاع الرجل ورأى اجتماعهم عليه لابد أن يكون له أثر ، فخرج من نزوى

فخرج هاربا مرعوبا ، ولا يخفى أن دخوله عمان كان بسبب افتراق أهل عمان ، فان بنى سامة هم قادة جيشه وهم الساحبون له الى عمان ، ومن بقى من أهل عمان كما قلنا عنهم انهم بين راض ومداهن ومتق ، ولما اجتمع أكثرهم على حربه هاله الأمر ، ورأى أنه وقع فى مأزق ففضل الهرب ، ولكن لله أمر هو بالغه وحكم هو نافذه ، أسرع الجيش العمانى للحاق بمحمد بن نور [1] فتلاحقوا فى دماء من الباطنة وهى التى تعرف الآن بالسيب ، فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل فى الفريقين ، والجراح من الجانبين وكادت تكون الهزيمة على محمد بن نور وأصحابه ، حتى الجأوه على سيف البحر ؛ فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ركب مددا لهم بعثه اليهم أبو عبيدة ابن محمد السامى ، على كل بغير رجلان ، وذلك لما علم أن أهل عمان قاموا على محمد بن نور والرجل جاء لنصرتهم إذ استنصروا به ورأوه يزحف هاربا عن عمان ، وأيقن بنو سامة أن خروج محمد بن نور من عمان يدير الدائرة عليهم ، ويعيد الكرة لحربهم ، والدماء تورث الحقد والضغائن تثير الشر فلف أبو عبيدة المضريين ومن مال اليهم بعصبيته لهم ، ولا شك أن الذين أرسلهم أبو عبيدة مددا لمحمد بن نور هم شرارة الرجال وكان من قدر الله أن وصلوا والحرب تدور رحاها ،

(١) ذكر هذه القضية صاحب مروج الذهب وان الامام الذى قتله ابن نور هو الصلت ابن مالك خطأ منه فى التاريخ وكذلك لم تكن الحقائق عنده اذ قال فى صحيفة ٢٤٤ فى الجزء الرابع افتتح احمد بن نور والصحيح هو محمد ابن نور سماه العمانيون محمد بن بور قال افتتح عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة الاباضية وكانوا فى نحو من مائتى الف ، وكان امامهم الصلت بن مالك ببلاد عمان نزوى ، وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رءوسهم الى بغداد تلت ما حمل رءوسهم فغير مستنكر حيث حمل رأس امامهم ، وأما ما عدا ذلك فالتحقيق ما ذكرناه والله اعلم ا هـ سـالم .

وقد علا لهبها وطار شررها ، وإذا بمحمد بن نور يحاول الفرصة للهرب ، فلما وصل هؤلاء نزلوا عن ركابهم وسلوا سيوفهم ، ودخلوا الوغا ، فكان من القدر المحتوم أن القــوم فى حــال هزيمة فانقلب الحــال بانهزام العمانيين ، إذ كانوا قد كلوا من القتال ، وركبهم العياء الحسى والمعنوى ، وإذا هــم بالجيش المناصر لابن نور يتراسل ، ولعل وراءه آخر فكان مؤثرا فى نفوس أهل عمان الفشل ، والناس فى الحرب لا يزالون بــين النصر والهزيمة ، على حد السنان ، فرب كلمة تهزم جيشا ، ورب كلمة تكون نفسها جيشا وهكذا ٠

قال الامام : فوقعت الهزيمة على أهل عمان ، وقتل من أعيان جيشهم القائد الأكبر الأهيف بن حمحام وكثيرون من عشيرته وغيرهم وعمــل السيف فى العمانيين لتأديبهم على تلك الأفعال التى أوقعوها ، فى أنفسهم قال الامام : ولم يسلم من أهل عمان الا من تأخر أجله ، والمعنى كناية عن كثرة القتل فيهم ، وقتل الشيخ الكبير منير بن النير الجعلانى رحمه الله ، وكان أحد حملة العلم من خصوص بنى حضرمى بن ريام ، وكان يسكن جعلان ، وجاءوا به ليهتدوا برأيه ، ويعتمدوا على أنظاره وكانت هذه الوقعة بالقرب من المسجد الجامع من دما من الباطنة ، قلت لا يعرف الآن موضع المسجد الجــامع فيها أما موضع الحصــن فباق معــروف وكأنه قرب الساحل (١) ولعل الجوائح التى خربت الباطنة أتت عليه فخربته والله أعلم ٠

---

(١) اى المسجد كان قرب الساحل فلعله اجتاحته الجوائح فلم يعــد يعرف مكانه ٠

وكان ذلك يوم الأربعاء لست وعشرين خلت من ربيع الآخر سـنة ٢٨٠ ثمـانين ومائتين ،وذلك فى خلافة المعتضد بالله أبى العباس أحمد القائم بالأمر ببغداد الذى أخرج محمد بن نور هذا الحرب الى عمان • وانه تولى الخلافة سـنة ٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين ، وتوفى سـنة ٢٩٠ تسعين ومائتين وكان من أشد العباسيين المتأخرين •

قال الامام : ولمـا انهزم أهل عمـان رجع محمد بن نور على نزوى ، وجعل أعزة أهلهـا أذلة ، وسام أهل عمـان الخسف ، قلت لا شك أن عدوا قدر على قهـر عدوه ، وكان قد رأى مـا رأى منـه من المعاداة ، وقاتله حتى أراه الذل والهوان لابد أن ينتصر ، فكان فعل محمد بن نور فى أهل عمـان بالغا حد النهـاية من العنف ، إذ قطع الأيدى والأرجل ، وصلم الآذان وسمل الأعين •

قال الامام : وأحل على أهلهـا النكال والهون ، ودفن الأنهـار وأحرق الكتب ، قال الشيخ أبو إسحاق رحمه الله : من أشـنع الجرائم التى يرتكبهـا هؤلاء الظلمة ومن على طريقهم حرق الكتب فى الاسلام وفعلهم هـذا كفعل الروم الذين كلمـا تغلبوا على قطـر من أقطـار الاسلام بادروا الى حرق الكتب كمـا وقع فى الأندلس وغيره من أقطـار المسلمين متى يتسلط عليهـا العتاة الظالمون ، يرون لأن ذخائر العلم أهم شىء ينبغى أعدامه وإفناؤه ، فكـان هؤلاء شركاء أعداء الاسلام فى مثل هـذه الجرائم السوداء الوحشية والهمجية •

قالل أبو اسحاق : فالتشنيع الذى يوجه الى الأوربيين الذين أحرقوا خزائن المسلمين ، يوجه الى هؤلاء • قلت : بل هؤلاء أحرى وبه أحق

فانه لما تغلب الفاطميون على الامامة الرستمية ، فانهم أحرقوا من خزائن الكتب ونفائس العلم مـا لم يوجد نظيره ، وكفعل القرامطة أعداء الاسلام لمـا تغلبوا على المسلمين ، فأنت ترى من هذه الحقـائق التى سجلها التاريخ مبلغ الجرائم التى صدرت من أعداء العلم والدين ، ضيعوا كنوزا ثمينة لا تقدر بثمن ، مهمـا بلغ وهـذه سنّة أعداء الدين كالمغول ومـا فعلوه فى خزائن بغداد ، ولكن بحمد الله فان معين الدين لا ينضب ؛ ما دام القرآن موجودا ، فانه الشجرة التى تطول السماء ، وتملأ الدنيا وتجمع الكل تحت ظلهـا ، وهى التى تؤتى أكلهـا كل حين بإذن ربهـا ، ومهما سعى أعداء الاسلام فى هدم أركان الاسلام وإخفاء ضـوئه ، وإخماد أنواره ، اشتعلت ومـا برحت تتقـد برغم العدو الجائر ، وهكذا والله ولى المتقين ، ومادام ينبوع العلم فى ضمانة الله عز وجل فلن تزال جداوله تنفجر جارية متدفقـة .

وكان من جملة الأنهـار التى دفنهـا محمد بن نور فلج الملكى من أزكى ، وكان نهرا كبيرا . قـال الامام : وكان يسـقى حبوبا أى لنشاطه وغزارة مائة ، قـال : وله مائة وعشرون ساعدا أى مجـارى وهى فى عرف أهل عمان تسمى ساعدا ، وتجمع على سواعد لغـة عمانية ، وحقيقة ذلك أظنـه خطأ من النساخ فيكون الغلط زيـادة لفظ مائة ويقرب من الصواب أن يقال له عشرون ساعدا ، فمن الممكن لأن الفضـاء الذى توجه له الفلج لا يتسع لمـا يقال ، إذ ربمـا ساغ القول بعشرين ساعدا ، وهو أيضـا أقرب الى البعد لأن عشرين ساعدا إذ كان بهـا ماء ينصب الى مجموع الفلج المذكور ويحتـاج الى ظرف عظيم كهـذه الظرف الحـالى عشر مرات .

هـذا ومن حيث ان الذين يسمعون مثل هـذه الخرافات يهـزون رءوسهم ويهمهمون ، ولا يفكرون فى تحقيق الأشياء كمـا ينبغى لا سيما إذا جاء ذلك من مثل الشيوخ المجللين ، أو عن أئمـة الدين ، فمـا جاء عنهم هـو الحق لا غير ، وكأنهم لا يرون عليهم جواز الغلط أو خطأ النساخ أو نحـو ذلك ولم يفهموا أن التاريخ يحمل الأقوال كمـا يجدهـا ، فان كانت كذلك فقـد قام بمـا لزم وإلا فالأمر الى من يعلمـه ، ثم إن مائة وعشرين ساعدا تجعل ذلك الفضاء مشققا كمـا يشقق الثوب الخلق .

وبالجملة فان الملكى الذى هو فلج أزكى نهر من أنهـار عمـان المباركة النافعة ، تكون فى الحصب نشـيطة جدا تقسم الى أفلاج فى السقـى عديدة ، وفى أيام المحـل تتنازل الى فلج واحد ضئيل — وكان وقت مجىء محمد ابن نور عمان كان الملكى كمـا هو منسـوب الى الملك الذى هـو ساكن اللام ، لغـة فى الملك بكسرها لشرفه وعزازته ، فأمرا بن بور بدفنـه وهو يقلع الدفن ويرده ، وكلمـا دفنوه لفظ الدفن ، وفار بقوة ، وكلمـا ألقوا فيـه الحصى والتراب لفظه وانفجر من مكـان آخر حتى أعياهم ، فمرت عليهم راعية من حوزتهم ، فرأت مـا هم فيه فقالت لهم : عليكم بالصوف والشجر ، أى لأن الصـوف يلتوى بالشجر ، والشجر يحتوى فى المضائق ، وكانت مصيبة فيمـا قالت : فقال ابن بورخـذوا غنمها ، فأرسلت مثلا شائعا فى عمـان فدفن الفلج وخربه ، وغـار فى الأرض وأفسـده ، ولكن بقى بحث تحقيقى ينبغى أن يعـار التفاتا هو أن الفلج لأهـل أزكى ، وأهـل أزكى إذ ذاك بنـو سـامة المذكورون ، وهم أنصـار محمد بن بور ، فكيف يكون دفن الملكى والحـال هكذا إلا أنه يحتمل شيئين ، أمـا أولا فان الدفن أمـا أن يكون من معرة الجيش قبل أن يعلم أن الفلج لبنى سامة وأمـا ثانيا فلعل ابن بور أى أن

بنى سامة واطأوا العمانيين على إخراجه وهــذا غير بعيد ، لأن بقــاء ابن بور فى عمــان مسيطرا عليهــا لم يرده منــه بنو سامة ذلك ، وإنما يريدون التشفى به من خصومهم وقد حصل ذلك ودق ابن بور أهــل عمان فى سمد الشــان ، حتى قطع رأس إمامهم وأرسله الى بغداد ، وهــذا لابد أن يكون له فى القلوب باعث قوى على طرد ابن بور الجائر الخبيث حتى من الذى جاء مناصرا لهم . وتحدث صاحب معالم الجزيرة عن أعمال محمد بن بور فى عمــان ولكنــه طواه فى بعضه بعض ، إذ قال : قــدم عامل الخليفة على البحرين محمد بن نور بجموع وافرة من نزاروطى ففتح نزوة عاصمة عمــان وقتل عزان الخروسى بالســين والصواب بالصــاد ، نسـبة له الى خروص بن شارى بن اليحمد ، وبقيــة النسب معروفة كمــا فى الاسعاف . قال : الذى حاول أن يحكم عمــان بالقهر والعسف يعنى بذلك عزان بن تميم . قــال : وفر كثير من الأهالى الى شيراز والبصرة . قــال : ثم ثار بمحمد بن نور بعض القبــائل فترك مقره أى مركز إقامته وهو نزوى قال : ولحق بالساحل يعنى فى السيب وهى إذ ذاك دمــا ، قال : الى أن أدركتــه نجدة عظيمة أى لحقت به فى السيب وهى التى أرسلها أبو عبيدة السامى ، قال : تمكن بهــا من قمع الثورة وأرهف الحد فى الأهالى ، أى فعل بهم مــا ذكرنا ، قــال : وقطع الأيدى وصلم الآذان ، وعطل قنى الميــاه أى دفن أفلاجا كثيرة ، وخرب ديارا عديدة ، ودمر أنهــارا وكان يضرب بجوره المثل ، فيقــال أجور من محمد بن بور ، وخاصة بلدان اليمانية ، قال : وأحرق الكتب وفعل بالناس الأفاعيل .

قــال أبو اسحاق : إن دخول ابن بور اللعين عمــان أول مرة كان بتفرق الكلمة وتخاذل أهل عمــان ، وإلا فــلا يمكن لابن بور أن يدخل

تلك الامامة العظمى ، ولو جد بضعف جنوده مرات . قلت : قدمت لك أن ابن بور جاء به أهل عمان ، ولما نزل أطراف عمان التف عليه أوباش النـاس وغوغاؤهم ، وأهل المطامع وأهل الجرائم ، وتساندت الأمور على هذه الأسس ، وبذلك استطاع ابن بور أن يهز عمان هزا عنيفا حتى صلم الآذان وسمل الأعين ، وقطع الأيدى ، فتركهم لا يستطيعون الأكل ، وقطع الأرجل فكانوا فى مأزق عنيف لم يعرف له مثيل ، وعمان فيها رجال من أشد الرجال لكن عقوبة الله لا يقف لها مخلوق إذا أقبلت ، فان أهل عمان فسدوا فيما بينهم وأفسدوا فيما بينهم وبين ربهم كما قلنا ، فكانت العقوبة من جنس العمل ، وتلك سنة الله فى عباده .

قال أبو إسحاق : وافترق أهل عمان الى نزارية ويمانية هو الذى قوى العدو الغازى ، ولما رأى أهل عمان اتحدوا هاله لأمر وهذا يدل أن أهل عمان اتحدوا بعد ذلك الافتراق ، ومن هنا يعلم ما قلناه فى سبب تخريب ابن بور لنهر الملكى من أزكى ، وللأوقات ما يناسبها من السياسات ، ولكل زمان دولة ورجال .

قال أبو إسحاق : وكادت تدور الدائرة على محمد بن نور لولا الامدادات التى جاءته من الذين والوه من عمان وهم السامية وغيرهم .

قال : ففى مثل هذه الواقعة عبرة بالغة لمن تدبرها ، فان عاقبة التخاذل الانحلال والفشل ، وقد قال الله تعالى :

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ، ولمـا انتصر ابن بور أخيرا لم يرقب فى المؤمنين إلا ولا ذمة •

ولست أدرى كيف يطعن هؤلاء النـاس على الأزارقة والصفرية ، وهم يأتون أفعالهم حذو القذة بالاقذة ، فى قتالهم مع أهل القبلة ، ولكن الحق بعيد عن كليهما ، ولا جرم أن مدعى الشىء ليس كمالكه ، نسـأل الله أن يثبتنا على الصراط المستقيم ، قلت :هـذا غالب أفعـال أهل الجهل فى الحروب الذين لم يحاربوا من أجل دين أو حق ، لا يراعون فى العدو الذى يحاربهم ويحاربونه إلا هوى أنفسهم ، وهـذا شىء فى الجنـود الجاهلة التى تقودهـا زعامة الجهل والبطر ، كالحجاج وابن بور وأمثالهم ، بل وحتى جهـال الاباضية وبغاتهم ، غالبـا خصوصا أيام السلاطين ، أمـا أيام الأئمـة فلا وهو الحق وأهل الزعامات القبائلية إذا تمكنوا من خصومهم يألوا جهدا فى التشفى من أعدائهم مالا ورجالا إلا مـا شاء الله ، وكم وقع فى جيوش أهل العـدل من جهال الجيش ، فاذا بلغ الامام وتحققه قام لرده ، وإلا مضى وبقى فى أحاديث المصابين به والمنتقدين والتاريخ يحمله عنهم ليحفظه •

ولمـا تمكن محمد بن بور من عمـان وأهلهـا ، وصفا له الجـو فيها ، وعدم المنافس له من عمان هم بالعودة الى البحرين ، وولى على عمان من قبله واليـا يقال له أحمد بن هلال ، قال المسعودى : هو ابن أخت الفتـال • قلت : لم نعرف الفتـال من هو ولا ممن أيضـا ، كمـا لم نعرف أحمد بن هلال والى الحجاج على عمان ، هل هو عمانى أم لا ؟ وكان من حق التاريخ أن نعرفه •

قــال صاحب المعالم : ومــا كاد أى محمد بن نور أن يرجع الى البحرين حتى ثار الأهالى أى أهالى عمــان ، وقتلوا العامل أى أحمد بن هلال ، الذى استخلفه ابن بور على عمــان ، وعاد العمــانيون على انتخاب أئمتهم ، فتوالت عــدة أئمــة ولم يعدّدهم على جهــة الإجمال ، وفى ابن رزيق وغيره من كتب التاريخ هــو هذا الذى ذكرنا فلا داعى الى اعــادته .

بنو سامة يحاولون ملك عمـــان

إعلم أن بنى سامة حاولوا إمارة عمـــان وعالجوا وضـــع أساسها بأنفسهم ، فانهار بناؤهم بوقعة القـــاع من ظهر عوتب بصحار ، وتمزق جمعهم ، ثم التجأوا الى والى البحرين محمد بن نور المذكور ليستعينوا به ، فقـــام هـــذا لتأييدهم وكتب لمعتضد بغداد ليعضدهم فعضدهم ، وأقاموا دولتهم على الحجر الذى وضـــعه لهم محمد بن نور والى البحرين الذى احتل عمان ، ووضع قدمه على كاهلهـــا ، ووطىء عليهـــا وطأة سيئة فقتل امامهم عزان ابن تميم فى سمد الشـــان ، وقتل بقية أعيانهم فى دما ، ومن جملتهم شيخ العلم منير بن النير الجعلانى رحمـــه الله ورضى عنه ، ووطد دعائم إمارته فى قلب عمـــان نزوى وجعل على عمان واليا هو أحمد ابن هلال ابن أخت الفتـــال ، وأحمد هـــذا جعل على عواصم عمـــان ولاة من قبله ، أحدهم على نزوى ، وهو الملقب ببيحرة والمكنى أبا أحمد ، فكان بيحرة بحيرة ســـوء ، إذ كان يسفك الدماء ويقتل من يشـــاء ، ومن ذلك أن أحدا من السفهاء أغراه على قتل أبى الحوارى بدعوى أنه يبرأ هـــو وأصحابه من موسى ، وموسى بن موسى هـــو زعيم الساميين ، فأرسل بيحرة لأبى الحوارى جنديا من جنوده يقتله بغير سؤال ولا احتاج ، وانمـــا هو مجرد هوى نفسى وإعزاز لبنى سامة ومن اليهم ســـواء كانوا محقين أو مبطلين ، فسار الجندى لقتل أبا الحوارى فى المسجد بعد صـــلاة الصبح فى مسجد الشجبى المعروف بمسجد أبى القسام فى الجهـــة الغربية من عقر نزوى ، فرآه قاعدا على المحراب يقرأ القرآن فارتاع الجندى ولم يجسر على قتله ، ثم قال له : ان أبا أحمد يعنى بيحرة يقول لك

سر اليــه . فقال له لا حاجة لى به ، وأخذ فى قراءته فقيل : ان الجندى قال له ذلك يريده أن يخرج لئلا يطش دمه فى المحراب فكأنه احترم المحراب ولم يحترم المسلم الصالح ، وقيل انه ارتاع وخاف ، وفى هــذا الأثناء جاءه جندى آخر يقول له لا تفعل فى أبى الحوارى شيئا لعــله قال فى نفســه هــذه وشاية ، ولعلهــا لا أصل لها ، وتأخر عن قتله لتأخر أجل أبى الحوارى لا لخوف من احد .

ويستفاد من هذه القضية جرأة هــذا الوالى على أهل نزوى بحيث يأمر بقتل رجل من شيوخ العلم بغير مبالاة بقتله ولا خوفا من أحد ، فهذا يدل على غاية الذل الذى ألبســه الله أهــل عمــان وابتلاهم الله به ، ولا ريب فان محمد بن نور صــلم الآذان وجــدع الأنوف وقطع الأيدى والأرجل ودفن الأنهــار ، وأحل بأهل عمــان البوار ، وعلى كل حال أن محمد بن بور لا يخرج من عمان إلا ويترك فيهــا لأحمد بن هلال حامية تؤيده وتشــد عضده ، فهــذه الحامية هى لا شك ولا ريب أنهم بنو سامة الذين جاء محمد بن نور من أجلهم ، فاشتهر بنــو سامة بالبلاد ومــا يفعله الوالى أحمد بن هول هو عن أمرهم فبذلك تم الأمر لبنى سامة ، وأنيطت بهم عرى الآمال فكانوا هم السادة فى هــذه الأيام ، ولذلك قال ابن خلدون فى العبر ، كمــا نقله عنــه الامام رحمه الله ، حيث يقول فى تحفته قال بعد ذكر عمان : وكانت بهــا فى الاسلام دولة لبنى سامة بن غالب ، قال : وكثير من نسابة قريش يدفعونهم عن هــذا النسب ، قلت : لقد حققناه فى الاسعاف فى أنساب قريش بعمان ، والحق أنه قرشى بغير نكران ، والحق لا يدفعــه حسد حاسد ، قال : أولهم بهــا محمد بن القاسم السامى ، أى أول دولتهم التى يذكرها ابن خلدون ، أى أول أمير من بنى سامة هو محمد بن نور من البحرين ، وكان من جملة حاضرى وقعة

القاع من عوتب ، فان المعتضد أقام صرح هــذه الدولة بعمان على أساس محمد بن نور •

قال ابن خلدون : بعثــه المعتضد وأعانه ففتحها وطرد الخوارج الى نزوى قاعدة الجبال ، أى عاصمتهــا أى داخلية عمــان ، وأراد بالخوارج الاباضـــية •

ومن العجب العجاب أن هؤلاء الذين يدعون العلم يهجمون على الناس فى الدين والدنيــا ، فمتى كان الاباضية خوارج يا ابن خلدون ، لقـــد أخطأت خطأ دينيا وتاريخيا ان لم تكن متعمدا ذلك والله يقول لك : (ولا تقف مــا ليس لك به علم) خصوصا فى الأمور الدينية •

قال الامام : وأراد بالخوارج المسلمين ، قال : وأقام الخطبــة بهــا لبنى العباس أى أقامها محمد بن القـــاسم • قلت : غير كثير من أمير مغمور يحب الامارة اذا خطب لسيده الذى أقامه حاكمــا ، ولا يبالى الجاهل بالدين فى سبيل الدنيا ، فان من مذهب الملوك أن تكفر ولا تستغلب أى لأن الدنيا عندهم أهم من الدين ، وماذا يحاول الملوك إلا الملك ، وهــل يأتى الملك إلا من قبيل الدين بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنــه مــا أظنه إلا نارا ألست ترى فى تاريخ عمــان الامامة الصحيحة شيئا نادرا يمر عليك مر السحاب فى لحظات خاطفة ، وأيام الجور والظلم تطول عــلى الناس قرونا كثيرة فى أكثر الأمم لا فى أهل عمان وحدهم والله المستعان •

قال ابن خلدون : توارث ذلك بنـــوه أى بنو محمد بن القاسم توارثوا الخطبة لبنى العباس ، أى الطاعة لهم ، قال : وأظهروا شعار السنة •

قال الامام : أى سنتهم وهـذا يدل لأنهم استنوا بسـنة القـوم ولا يهمنا اذا استن جاهلنا بسنة غيرنا ، فمن أراد غيرنا أبعده الله ، قال : ثم اختلفوا سنة خمس وثلثمائة وتحاربوا ولحق بعضهم بالقرامطة ، وهذا يدل أنهم بقوا ملوكا على عمـان الى هـذه الغاية ، أى مدة خمس وعشرين سنة ، فان محمد بن نور فتح عمـان سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين ، وخرج عنهـا فى أواخر تلك السنة أول السنة الثـانية ، فكانت البلاد فى أيدى العمال الى هـذه الغاية ، ثم تقاتل بنو سامة على عمان بحسب كلام ابن خلدون ، والصحيح أنهم تقاتلوا هم وأهـل عمـان الذين قاموا عليهم بنصب الأئمـة ، وطال العراك بين الامامة والسلطنة ، ورفع الخلاف كمـا سوف تراه مستعرضا فى هـذه الصحائف الجوهرية الناصعة .

قال الامام : ووجدت أن الجبابرة تغلبوا على أهل عمان يسومونهم سوء العذاب أربعين سـنة ، وذلك بعد حرب محمد بن بور . قال : ولعل هؤلاء الجبابرة كانوا من بنى سامة وهم عشيرة موسى بن موسى ، وذكر بيحرة وولايته لنزوى ، وأنه أقام زمانا واليا عليها ، قال لم يزل بيحرة عاملا على نزوى حتى قتلوه وسحبوه ، وقبره معروف عندهم أسـفل باب مؤثر قليـلا فى لجيـة بفتح الـلام وسـكون الجيم ، وفتـح اليـاء المثنـاة من تحت بعدهـا تـاء مربوطة ، والمراد بهـا موات متصـل بالطريق منحنيا على الجانب الآخر هناك ، على الطريق الجائز الى تخرج الى جهة فرق ، يطرح عليه أهل نزوى السـماد والجذوع التى يريدون اخراجها الى الأموال ، أو ادخالهـا الى العقر ، وذلك من هوانه عليهم ، وهو معروف موصوف متداول عند أهل نزوى ، صغارهم وكبارهم منذ ذلك العهد ، وهو آخر القرن الثالث ، ولكنه لم يذكر سبب القتل ، ولعله فى ثورتهم فانهم كما قال صاحب المعالم : وما كاد يرجع الى البحرين أى

محمد بن بور حتى ثار الأهالى ثانية ، وقتلوا العامل الذى استخلفه على عمان ، وعاد العمانيون الى انتخاب أئمتهم ، فتوالت عدة أئمة مثـل محمدبن الحسن الخروصى ، وغزان بن الهزبر ، وعبد الله بن محمد الحدانى الذى قلب هاءه حاء مهملة ، والصلت بن القاسم الخروصى ، والحسن بن سعيد بن الحوارى ا هـ من تاريخ عمان بالحرف الواحد لصاحب المعالم ، وهو عين مـا يقوله شكيب أرسلان •

قال الامام :ان بنى سامة تقاتلوا سنة خمسة وثلاثمائة ولحـق بعضهم بالقرامطة ، قلت ولا يبعد أن يكونوا هم الذين مهـدوا الطريق للقرامطة على قهر عمان فجاءوهـا ، وكان منهم فيها مـا كان مما سنذكره ان شاء الله عبرة للمعتبر ، وتنبيهـا للمختبر وإلفـاتا للأنظار الى مـا يثمره الشقاق والخلاف وحب الاختصاص فى الأمـة ، واعتقادنا العظيم فعظمونى وحدى لا شريك لى ، نعوذ بالله الذى له كل شىء وهو على كل شىء قدير •

قال الامام : وفى بعض التواريخ انهم أى أهل عمـان عقـدوا الامامة على محمد بن الحسن بنزوى بعد قتل بيحرة فى سـنة ٢٨٢ اثنين وثمانين ومائتين ، قال : وذلك بعد حروب ابن بور بسنتين وأشـهر ، ثم تتابعت الأئمة • قلت : والى هـذا يشـير صاحب المعالم ، والأمير شكيب فى تعليقه على حاضر العالم الاسلامى • قال : والسلطان الجائر يحاربهم ويحاربونه ، ويغلبهم ويغلبونه • قلت : وهـذا يدل على وجود سلطان فى عمان بعد حروب ابن بور ، وبعد قتل بيحرة ، وهـذا السلطان من بنى سامة ، فان بنى سامة صاروا خلفـاء محمد بن بور على عمـان ودعا بنى العباس ، يخطبون على المنابر بأسمائهم ويدعون لهم جهرا طاعة الملك

واعتمادا على الرئاسة وحبا للامارة والترفع على عبـاد الله بعد ذلك السيد المصلح والعـالم الوحيد ، أقوى أركان الامامة بعمان موسى بن على رحمه الله وغفر له ، فكان موسى ابن على أصـل زعامة بنى سامة ، فانه رجل الاصلاح وامام الاستصلاح ، خير رجل فى بنى سامة علمـا وعملا ، وعلا له صوت شرف فى القصر العمـانى ، فكان مضرب المثل فاكتسب بذلك تقدير النـاس له ، وارتفاع مستواه وان لم يطل عمره ، بل عاش عمرا قصيرا ، ومات فى زهرة عمره ، فلبس ابنـه موسى اسمه وتقلد سيف توقيره وتدرع درع شرفه ، فأجله النـاس وعظموا قدره وهـذا أمر طبيعى فى الأمة بديهى فى الأجيال حتى تنكشف الغاية ، ويعرف المقصد بارزا فى مرأى كل أحد فى الأمة وهناك ، أمـا ارتفـاع لأعلى أو انخفاض لأدنى ، وبذلك قام بنو سامة يدعون زعامة الأمر فى عمـان ، ويحاربون من أجلهـا ويستنصرون ويستجيشون عليهـا ، وآخر مـا بقى لهم زعامة أزكى مدة ثم انتهت وصاروا كغيرهم ، وكل شىء يصـير الى انتهـاء ، ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكرام ، والمعروفون بالعزور فى أزكى هؤلاء الزعمـاء .

القرامطة يحتلون عمـــان باهل عمان

قال الامام السالمى رحمــه الله : والقرامطة قوم من الشـــيعة نسبوا الى حماد قرمط • قال : ويقــال لهم الباطنية لأنهم زعموا أن للقرآن باطنا وظاهرا ، وأن من وصل الى معرفة باطن القرآن انحلت عنــه التكاليف كلها ليمهدوا لهم عند الناس طريقا يسا لا يخافون معهــا نقد ناقد ولا اعتراض معترض ، لأنهم كفار لا يصلون ولا يصومون ، ولا يعترفون بالوهية ، وزعموا أيضــا أنه لا فرق بين هــذا الواصل الى باطن القرآن ، وبين من فى الجنـــة فأهل الجنة لا تكليف عليهم ، فأبطلوا بذلك شرائع الاسلام لأنهم من أهل الجنـــة ، وأهل الجنـــة لا تكليف عليهم وتبعهم من جنود الشيطان ناس غوغاء وأغبياء وجهلاء ، يريدون استرجاع دولتهم كمــا كـــانت •

قال فى المعالم : القرامطة فرقة من الشيعة ينتسبون الى شخص يمانى الأصل يدعى حمدان قرمط • قلت : لعل قرمط لقبـــه ، قال : وكان مغاليا فى التشيع لأهل البيت ، وكانت دعوته أى دعوة حمدان قرمط كانت دينية محضة انقلبت فيمـــا بعد الى دعوة سياسية بتأثير أبى سعيد الجنابى ، أى الخارج من جنابة من قرى البحرين ، قال : وقد تغلب أى أبو سعيد هـــذا فى أواخر المائة الثالثة للهجرة على شرقى الجزيرة العربية ، واستولى على البحرين وهجر ، وخلع طاعة المعتمـــد العباسى أى خليفة بغداد ، قال : وقد قام الأمر بعد موته ابنـــه أبو طاهر فهاجم الحرمين ، من مقره القطيف ، أى كان مقره القطيف ، ودخل مكة سنة ٣١٣ ثلاث عشر وثلاثمائة هـونهبهـــا وانتزع الحجر الأسود من الكعبـــة وبابها أيضـــا وبعض عتاد

الكعبة ونقله الى القطيف ليبنى هناك كعبة ويضعه فيهـا ويصرف العرب الى حجها ، قال ووضعه فى مسجد الضرار لكى يصرف الناس الى حجة عن مكة ، وإنهـا لجرأة عظيمة على الملة الاسلامية ، وأين هى وأين رجالها الذين لهم الغيرة على الدين ، الى آخر الخلافة العباسية التى أضحت تعج فى لجة فساد لا مثيل له فى العالم ، بحيث يتجرأ أحد على هدم قبلتهم التى كانوا عليها ، فهـذا هدم حقيقى لهـا ، وأين أهل مكة الأشداء من أبى طاهر الجنابى سبحان من هو القـادر على كل شىء يفعل مـا يشاء ويحكم مـا يريد ، وان حلم الله عظيم ، وجرأة العباد أيضـا عظيمة على الله الذى يملى لعبـاده •

قال : وقد ظل حكم أبى طاهر للحرمين مدة تزيد عن عشرين سـنة كان الحجر الأسود خلالهـا فى هجر عند أبى المذكور ، قال : وكان القرمطى على صلى بالفاطميين فى أفريقيا الشمالية ، وينتسب اليهم ، قلت : لعـله ينتسب اليهم من جهـة الملة ، فانهم كذلك شـيعة قال ، فلمـا أمره الفاطمى باعادة الحجر الى البيت القرمطى على الفاطمى ، وقطع صلتـه ثم أعيد الحجر الى مكة سـنة ٣٣٩ تسـع وثلاثين وثلاثمائة ، قـال وبعد وفاة أبى طاهر تلاشت القـوة السياسية للقرامطة ، وانحصرت سلطته فى الحسا والبحرين مـا يقرب من مائة سـنة ، ثم تلاشت نهائيا • قال : وتوجد الآن بقايا من القرامطة فى واحة القطيف • ا هـ من المعالم •

أوردنا مـا ذكره عنهم كله والحقيقة أن فعل القرامطة هـذا يعود عاره على الأمم الاسلامية كلهـا وإلا فكيف تجترىء أمـة على قلع الحجر من الكعبة قبلة المسلمين أجمع ويتولاه هؤلاء العتاة ٢٠ عشرين سـنة كاملة ، وهو فى الحسا ولم يكن أحد اجترأ على هـذا الحال من سـائر

المسلمين ، أن هـذا الشى عجاب من أعجب مـا حدث عنه التاريخ الجاهلى والاسلامى ، ولقد استطردنا فى القرامطة ومـا أحدثوه للاعتبار لا غير وإلا فان مهمتنا تاريخ عمـان ، ولهم فيـه أخذ ورد اذا كانوا وطئوا أرض عمـان واحتلوها حين فر إليهم بقايا النزارية الذين تولوا أمر عمـان بابن بور ، فانه لمـا خرج ابن بور من عمان قتل العمانيون عامله الذى خلعه ، وبقى أمر عمان الى أهلها ، فكان فيهـا امام وسلطان يتصارعان عليهـا وهم الذين عبر عنهم الامام بسلاطين الجور فى عمـان فكان الأمير السـامى فى جهة ، والامام فى جهة أخرى ، وإليك النص الذى ذكره لنـا الامام ومؤرخو عمـان إذ يتكلمون عن بنى سامة . قـال : ثم اختلفوا سـنة خمس وثلاثمائة ، وتحاربوا ولحـق بعضهم بالقرامطة ، وأقاموا فتنـة أى لأهل عمـان ، قال الى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطى سنة ٣١٧ عند اقتلاعه الحجر الأسود ، وخطب بهـا لعبيد الله المهدى أى العباسى ، وترددت ولاة القرامطة عليهـا من سنة ٣١٧ الى سنة ٣٧٥ ، قال : فترهب واليها منهم وزهد وملكهـا أهل نزوى وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض ، وبقيت فى أيديهم ورئاستها للأزد منهم ، ثم رسا بنو مكرم من وجوه عمـان الى بغداد ، واستخدموا لبنى بويه على أن يناصروهم على ملك عمـان وكان بنو بويه قادة جيوش بغداد ، والأمر اليهم معنى والى الخليفة اسما ، قال وأعانوهم بالمراكب من فارس ، أى من الحـامية الفارسية فملكوا مدينـة عمان ، قـال وطردوا الخوارج يعنى المسلمين الى جبالهم وكأن هؤلاء ملكوا قلهات التى هى الساحل الشرقى الشمالى بالنسبة الى عمـان الشرقية ، وهى التى يطلق عليهـا إذ ذاك مدينة عمان وصحار قصبة عمان ، وقوله : وطردوا الخوارج الى جبالهم أى الى الداخلية . قال وخطبوا فيها لبنى العباس . قـال : ثم ضعفت دولة

بنى بويه ببغداد ، فاستبد بنو مكرم بعمان ، قلت : وهــذا كان فى أيام المقتدر بالله ، فان المعتضد بالله توفى ببغداد ســـنة ٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين ، وتولى الخلافة بعــده ابنــه المكتفى بالله ، وقيل انه توفى فى ذى القعدة ســـنة ٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين ، وتولى الخلافة المكتفى بالله ولم يطل عهده ، ثم مات وتولى الأمر أبو الفضل جعفر المقتــدر بالله وهو ابن ثلاث عشرة ١٣ سنة ، أى فى أول بلوغه أو لم يبلغ بعــد ، فكانت خلافته اسما فقط ، والمعنى الجيش ولم يطــل عهــده إذ تلاعب الصبيان ، وفرق الأموال وبذرهــا فى اللهو واللعب ، وماذا عسى يفعل الصبى إلا ذلك ، ومن هنــا ضاعت أمور المسلمين وانحلت دولتهم ، وكان هؤلاء مسلمين من حيث اقرارهم بالشهادتين ، أمــا الاسلام الحقيقى لم يحوموا حوله ، وإلا فكيف يتولى الخلافة العظمى التى تناط بهــا المهام الدينية والدنيوية صبى لا يصح تصرفه فى ماله فضــلا عن غيره ، أهكذا يكون ولى الأمر وبهــذا يقضى العقل الصحيح ، وبذلك أصبح الخليفــة ألعوبه فى يد اللاعبين ، فان مؤنس الخادم قائد الجيش هاجم المقتدر فى قصره وقبض عليه وعلى أمه ، ثم نهب الجيش الأموال التى هى قوام الدولة ، وخلع المقتدر نفســه حين رأى الموت بين عينيه ، وقتل الجند صاحب الشرطة وشردوا بالوزير ، ثم تراجع المقتدر وعاد الى الخلافة ، وأخيرا قتل المقتدر فقد قتله البربر واحتزوا رأسه ومضوا به الى مؤنس القــائد ، وكان قتله لثلاث بقين من شوال سنة ٣١٦ ست عشر وثلاثمائة أيام تتلاعب القرامطة فى عمان وغيرهما ، وتقتلع الحجر الأسود من البيت الحرام ، وقبل قتله تولى الأمر بعــده أخوه المنصــور محمد بن المعتضد بالله بويع لليلتين بقيتا من شوال من نفس السنة .

ولمــا تولى قبض على ابن أخيــه المكتفى بالله وأمر به فأقيم فى بيت

وسد عليه بالآجر والجص حتى مات غما ، وقبض على أم المقتــدر وطالبها بمـا لم تقدر عليه فتهددها وضربها بيــده وعذبها بأنواع العذاب وعلقها منكسة حتى كان بولهـا يخرج على وجهها ، ماتت على ذلك الحــال فلسط الله عليه الجند فهجموا عليــه من سائر الأبواب ، فبقى يتوارى بالستر والحجاب وأخيرا قبضوا عليه وأهانوه الى غاية بعيــدة حتى سملوا عينيــه وذلك سنة ٣٢٢ اثنتين وعشرين وثلاثمائة •

وقول ابن خلدون : ثم ضعفت دولة بنى بويه ببغـداد فاستبد بنو مكرم بملك عمان وتوارثوه ، مـا يدل على ان بنى مكرم لم يكونوا من عمـان بالأصالة • قال : وكان منهم مؤيدة الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولــة الحسين بن مكرم ، وكان ملكـا جوادا ممدوحا ، قــاله البيقهى : قال ومدحه مهيار الديلمى وغيره ومات ســنة ٤٢٨ ثمــان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة فى الملك ، قال وفى سنة ٤٢ اثنتين وأربعين ضعف ملك بنى مكرم وتغلب عليهم النســاء والعبيد ، فزحف اليهم الخوارج يعنى المسلمين ، فملكوهــا وقتلوا بقيتهم • قال : انقطع منهــا رســم الملك وصار فى حجار •

قال الامام : والمراد بقوله وانقطع منهــا رسم الملك يعنى قلهــات ، أى انتقل منهــا وصار فى حجار ، قال وحجار فى شــماليها الى البحرين بينهمــا سبع مراحل ، قال وهى فى جبــال منيعة فلم تحتج الى سور ، قال : وكان ملكهــا سنة ثمــان وأربعين زكريا بن عبد الملك الأزدى من ذرية رئاســة ، قال : وكان الخوارج بنزوى مدينة الشراة يدينون لهم ويرون أنهم من ولد الجلندى ا هـ كلامه والله أعلم بمــا ذكر •

قال الامام : وليس لبنى مكرم ذكر بعمـــان ولا نعرف من هم ، ولكن أهل عمـــان يذكرون فى كتبهم تغلب سلطان الجور عليهم بعد حروب محمد بن نور وهم مع ذلك ينصبون الأئمـــة ويدفعون العدو والأيام دول والحرب سجال ، قلت : لا وجه لمـــا ذكره ابن خلدون أبدا ، ولم يذكره أحد من أهل عمان ولا من مؤرخى الشرق ، وابن خلدون رجل مغربى ، وأكثر كلامه غلط لا أصل له ، بل يأخذ الأقوال على عواهنهـــا بغير تحقيق ، فهل من المعقول أن يفوت أهل عمـــان ذكرهم وقد تولوا ملك عمان ؟ هذا غير معقول وأهل عمان أعرف ببلادهم وهم أحق بذكر من يغزو بلادهم ، فان يكن صح لبنى مكرم ذكر فى عمـــان فهم قواد جيوش ، واذا انكسر الزعيم ضعف أمرالجند وتلاشى أمرهـــم وزالت سطوتهم فيقنعون من الغنيمة بالاياب ، فان كان المراد بالسلطان نوابه وقواد جيشه ومأموروه فربمـــا كان له وجه ، وقـــد ذكر القرامطة بعضهم فى تاريخ عمـــان أول القرن الرابع ، وهـــذا خطأ اللهم إلا أن كانوا غزاة دخلوا عمـــان ، ثم لم يكن لهم فيهـــا سلطان ، وانمـــا المفهوم أن كل هؤلاء المذكورين مروا بعمان غزاة فنالوا منهـــا ونالت منهم ، وراحوا عنهـــا ولم يكن للقرامطة فى عمـــان قرار ، وانما كانوا غزاة سباعا ضارية ، تأكل ما لاقت ثم تذهب أدراجها ، وسوف ترى أن الوقت الذى تذكر فيـــه بعمان القرامطة بل وبنـــو مكرم هو وقت مشغول بامامة فى عمان .

ففى سيرة محمد بن روح رحمـــه الله : أن القرامطة جاءوا عمـــان فى إمامة عمر بن محمد بن مطرف الحدانى ، وأنه اعتزل من بيت الامامة ، وأن القرامطة رجعوا الى البحرين ،ولعل اعتزال الامام عمر بن محمد كان لعدم المناصر ، فلعله رأى التخاذل من قومه ، فان شأنهم التقلب والتلاعب عندما يجدون من الغير مـــا يحبون ، وإلا فمـــا معنى اعتزال الامام من

اماتــه ولا يناقش فيها ولا يقام عليــه حتى يعلم عذره ، وإلا فالاعتزال بغير موجب خذلان للحق وهو حرام اجماعا ، وليس للامام أن يتلاعب فى إمامته اذا تقلدهــا وجبت عليه حقوقها ووجب على الأمــة مناصرته ، فاذا تحقق خذلان الرعية له صح له الاعتزال ولم يجب فيكون اعتزاله من نوع التقيــة إذا خذلته الرعية ، والقرامطة لا دين لهم ، ولا ضمير حق ولو من جنس السياسات ، فان النصارى لا يرضون بمــا يرضى به هؤلاء السفهاء الأوغاد الذين يعيثون فى أرض الله فسادا ، ويهلكون الحــرث والنســل ولا يبالون •

وحقيقة القرامطة قوم غزاة صــار لهم وقت يخوضون فيــه موجة عارمة بالباطل ، وقد لعبوا دورهم حتى اقتلعوا الحجر من بيت الله الحرام قبلة المسلمين عــامة من جميع المذاهب ، والوقت فى أول شباب الاســلام إذ كان ذلك فى أول القرن الرابع كمــا بينــاه ، إلا أن الخــلافة العباسية أضحت ألعوبه كمــا أفدناك عنهــا لمحــة تدل على صحة مــا قلناه ، والجزيرة العربية نفسها فى غطرسة التيــة حتى أراهم الله العجب بهؤلاء القرامطة المشائيم ، لا أعاد الله على العالم الاسلامى أمثالهم ، والله مع الصادقين الذين باعوا أنفسهم لله ، وجاهدوا فيــه حق جهــاده ، ولقد أثار الله على هؤلاء من يريهم لفح السموم فى أرضهم الخاصة بهم ويلحوهم كمــا يلحى القضيب ، وكذلك مــا يقال عن الديلم فى عمان وعن الترك فى ذلك الأوان ، فكل هؤلاء غزوا عمــان وقام الصراع بينهم والأهالى فى عمــان ، فطور يغلبون ويحتلون قسما من البــلاد ، وطورا يغلبون ويطردون منهــا طرد غرائب الابل — وترجع البلاد لأهلهــا وسرعان مــا ينصب أهل عمان إمامتهم وتعلو كلمتهم وتظهر حجتهم ، وتلك الأيام نداولها بين الناس والحرب سيجال :

فيوما علينا ويوما لنا
ويوما نساء ويوما نسر

وهكذا الدنيا ، واذا وفرت النعم على قوم وخاضوا فى لجها وسرحوا فى ريفها ، وأخذهم البطر بها سلط الله عليهم نقمة تسحقهم وتمحقهم وترد الشارد والهارب الى مقرهما برغم الأهواء .

قال الامام رحمه الله : وفى الأثر ما يقتضى أن ذهاب دولة القرامطة من عمان فى أيام أبى المؤثر : وأنه أمر بحرق بيوتهم . فقال له قائل : ان كان القوم مسلمين ، فلا يجوز خرق بيوتهم ، وان كانوا مشركين فبيوتهم فىء للمسلمين ، ولا يجوز حرقها بعد ذهابهم فأعرض عنه ، وقال : لابد للقوم من مخاصم أحرقوها لئلا يرجعوا اليها ، قال : وهذا يقضى أن ذهاب القرامطة من عمان قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون . قلت : ومن هنا يعلم أن ما قاله ابن خلدون لا شىء له من الصحة ، ولعله سمع عن القرامطة سماعا من بعيد ، فعلق عليه مقاله ذلك ، ومن هذا يعلم أن القرامطة قامت لهم بيوت بعمان ومساكن هى التى أمر أبو المؤثر رحمه الله بحرقها لئلا تكون لهم مأوى يأوون اليها ويتلاعبون من أجلها على المسلمين .

قال الامام : لأن أبا المؤثر كان قد أدرك امامه المهنا . قلت : نعم كما بيناه . قال : وامامة الصلت بن مالك وعاصر راشدا وموسى من بعدهم وهو يومئذ ممن يؤخذ عنه العلم ، وكان قد أخذ فى السن وقد مات قبل الوقت الذى ذكره ابن خلدون فى ذهاب القرامطة ، لأن المذكور فى امامة أبى القاسم سعيد بن عبد الله أن من العاقدين عليه ولد ولد أبى

المؤثر ، وقد استشهد رحمـه الله فى سنة ٣٢٨ ثمـان وعشرين وثلاثمائة ، وكان قد عاش فى الامامة ثمان سنين ، إذ بويع على مـا قيل فى السنة العشرين بعـد ثلاثمائة ، فتبين من هـذا أن مـا ذكره ابن خلدون غلط فى التـاريخ ، لأن المذكور تبلغه الأخبار بعد مـدة وبدونهـا على مـا بلغتـه .

قال الامام : وذكروا مـا كان للقرامطة من قوة وعزة ، وأنهـا ذهبت بدولة الاسلام . قلت : هـذا كلام أنهم كانوا قبل الاسـلام ثم ذهبت قوتهم بالاسلام وليس الأمر كذلك ، وإنمـا كانوا فى أول القرن الرابع من الاسلام ، وقامت لهم زعامة فى الحسا ، وكانوا أشداء أقوياء أهل بأس ، ولا دين لهم ، انمـا هم من الزنادقة الذين يبيح الاسـلام دماءهم إذ أنكروا الصـلاة . والزكاة والحج ، وعارضوا شعائر الاسلام بالرد ، فهم من هـذه النواحى مشركون ، ومن جهـة الزندقة قد أخذوا حظهم ، إذ قرروا للعوام سقوط التكاليف ، لأنهم كأهل الجنـة لا شىء عليهم ، فتبعهم أهـل السخافة فى دينهم وأهل السفاهة فى دنياهم ، وأعوان الشـيطان أسرع نهوضا واجرأ على النـاس ، حيث ينزع الايمـان من ضمائرهم والرحمـة من قلوبهم ، وكانت قوتهـم بالبحرين وعاصمتهم جنابة ، وغزوا العراق والحجاز وعمـان ، واقتلعوا الحجر الأسـود يريدون أن يجعلوه فى بيت لهم قرب القطيف ، فموضعه الآن يقـال له الكعبية يريدون أن يصرفوا العرب الى حجة كمـا صنع ذلك الحبشى صاحب الفيل باليمن إذ بنى كنيسة ليصرف الناس الى حجهـا دون الكعبـة ، فجاء رجل من كنانة فتغوط بهـا وكان ذلك من حقهـا ، فغضب الحبشى وأجمع على هدم الكعبـة ، فرد الله كيـده فى نحره وصـان بيته الكريم ، وكان مسيره وبالا عليـه وتشريفا للبيت واعزازا لقدره ، فبقى على رغمه .

قال الامام : ثم ان قائمة من أهل الأحسان من أهل بيت ابن مقرب قاموا على القرامطـة وحاربوهم سبع سنين حتى انتزعوا الدولة منهم ، وفى ذلك يقول ابن مقرب من قصيدته الميمية ، حيث يفتخر بذلك :

سـل القرامط من شـظى جماجمهم
فلقـاً وغادرهم بعد العلى خد ما

من بعد أن جل بالبحرين شأنهم
وأوجفوا الشـام بالغارات والحرما

ولم تزل خيلهـم تغشى سنابكها
أرض العراق وتغشى تارة أدما

وحرقوا عبـد قيس فى منازلهـا
وصيروا الغر من ساداتهـا حمما

وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا
شهر الصيام ونصبوا منهم صنمـا

أى هـذه أفعالهم فى الديانة التى يتدينون بهـا ويدعون اليهـا أخزاهم الله .

قال ابن مقرب :

وما بنـوا مسـجدا لله نعرفـه
بل كل مـا أدركوه قائمـا هدمـا

قلت : كيف يبنـون المساجد وهم أعداؤها وأعداء أهلهـا قـال العيونى الحـر •

حتى حمينا على الاسلام وانتدبت
منـا فوارس تجلو الكرب والظلمـا

وطالبتنا بنـو الأعمـام عادتنـا
فلم تجد بكمـا فينـا ولا صمما

وقلدوا الأمـر منا مـا جدا نجدا
يشفى ويكفى اذا ما حادث دهما

ماضى العزيمة ميمون نقيبته
أعـلى نزار الى غاياتهـا هممـا

وسـار تتبعـه غرغطارفة
لو زاحمت سد ذى القرنين لا نهدما

وفى شرح ابن مقرب آن القرامطة هم بنو أبى الحسن بن بهرام الحيانى ، نسب الى مذهبه وأصله شخص من أهل الكوفة كان يقـال له حمدان قرمط ، نسب اليه أهل مذهبـه ، فقيل القرامطة الواحد قرمطى كمـا يقـال شافعى منسوب الى مذهب محمد بن ادريس ، وحنفى منسوب الى مذهب أبى حنيفة النعمان بن ثابت ، وأولهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطى الذى قلع الحجر الأسود من الكعبـة والميزاب أيضـا وحملهما الى البحرين وبنى بالقطيف بيتـا سماه الكعبة الخ •

قال وكان حمله للحجر والميزاب فى سـنة ٣١٢ من الهجرة الاسلامية وكان ردهمـا فى سـنة ٣٣٥ وذلك بعد موته ، وكانت مدة اقامة الحجر والميزاب بالبحرين ثلاثا وعشرين سـنة الى آخر مـا ذكر من أخبارهم ، هكذا يملى الله العزيز الحكيم للانسـان فيتورط ولا يبـالى ، ويخذل الله ناسا حتى يرى الكل أنهم عاجزون عن أدنى شىء ، ففى ثلاث وعشرين سـنة يحج الناس بيت اللهالحرام ، ولا حجر ولا ميزاب ولا تتحرك غيرة أخذ بهم البطر الى أن تجرءوا على الله عز وجل فى هـدم بيتـه وتغيير شاء من غير قائم لله ينتزع ذلك منـه ويؤدب الفاعل لذلك والقرامطة أخذ بهم البطر الى ان تجرءوا على الله عز وجل فى هـدم بيتـه وتغيير شعائر دينـه ، وابطال أوامره ،وحاولوا أن يبنـوا بيتا يصرفون اليـه الناس للحج وهو ركن من أركان الاسلام الخمسة التى لا يتم اسلام المرء بدون واحد منهـا ، ثم يخلقون أعمالا من عنـد أنفسهم يتعبدون بهـا العباد برغم أوامر الله أنهم ركبوا أمرا عظيما لم يجسر عليه غيرهم ، وذلك فى العصر الذى يسمونه العصر الذهبى ، إذ كان فى أواخر القرن الثالث وأول القرن الرابع فى شباب الدولة الاسلامية ، والخلافة العباسية ، هـذا عصرهم الذهبى كمـا يسمون ولا يستحون حيث يضعون مثل هذه العبارات الحاكمة عليهم بالجبن والخور وسوء الديانة ، وعدم الاستقامة فى أمر الدنيا فضلا عن أمر الدين .

الإمـامة المستضـعفة بعمـان

اعلم أن بعض الأوقات التى لم يوفق الله أهلها لإقامة الحق وإعلاء منار العدل ، وتأييد الشريعة وان نصبت فيها أئمة يكون نصيبها من ذلك الفشل ، فإن أهل عمان بعد حروب محمد بن نور بايعوا جملة أئمة ، لكن لم يكن التوفيق حليفهم ولا العدل نصيرهم ، ولا الاستقامة دعامتهم ، فقــد بايعوا محمد بن الحسن بنزوى بعد قتل بيحرة فى سنة ٢٨٢ ، وذلك بعد حروب محمد بن نور بسنتين وبعض الأشهر .

قال الامام : ثم تتابعت الأئمة بعد ذلك وكذلك قال صاحب المعالم ، وهو عين ما فى ابن رزيق ، قال : والسلطان الجائر يحاربهم ويقاومونه ويغلبهم ويغلبونه ، حتى فرج الله ورجعت الى المسلمين قوتهم ولله المنة وله الحمد كثيرا . قال وفى سيرة محمد بن روح رحمه الله أن القرامطة جاءوا الى عمان فى إمامة عمر بن محمد بن مطرف الحدانى ، ولم يذكر نهاية أمر محمد بن الحسن ، وأما عمر بن محمد فقد ذكر الامام أنه اعتزل وذلك أنه رأى أنه لا قبل له بالدفاع لهم ، ثم ذكر الأئمة المنصوبين فى الفترة ويعنى بها وقت تغلب سلطان الجــور خليفة بغــداد ، قال أبو عبد الله محمد بن روح ابن عربى : من تلك الأئمة أى التى نعبر نحن عنهم بالأئمــة المستضعفين أو بالإمامة المستضـعفة ، محمد بن حسن الخروضى النازل فشح من أودية الرستاق ، قال : وهو من اليحمد . قال ابن عربى : بويع على الشراء فيما بلغنا ، وكان إماماً شارياً ، ثم إنه اعتزل عن الامامة ولم يعلل اعتزاله بشىء ، قال ثم بايع أهل عمان من بعده لثمانية أئمة منهم من بويع على قطع الشرى فيما بلغنا ، ومنهم من

بويع على الدفاع ، قال ومن تلك الأئمة الثمانية الذين بويعوا على الامامة من بعد اعتزال محمد بن الحسن الصلت بن القاسم الخروصى ، النازل نزوى ، ثم ماذا صار من أمره لم يذكر عنه شيئا ، ثم من بعـــده عزان بن الهزبر المالكى من كلب اليحمد • قال عقـــد له فى حياة الصلت بن القاسم فانظر يا أخى فى هـــذه الأحوال كيف كان أمر الصـــلت ابن القاسم اعتزل أم عزل وعقد من بعده لابن الهزبر المالكى أهكذا الدين وأين الشرى ؟ لا أرى له هنا أثراً • قال : ثم عقد فى حياة عزان المذكور لعبد الله بن محمد الحدانى المعروف بأبى سعيد القرمطى ، قال : وذلك قبل أن يعلم منه رجوع عن دعوة المسلمين الى بدعـــة القرامطة ، وكأنهم لقبـــوه بالقرمطى لمـــا رأوا منه اتباع القرامطة ، ولم يذكر نفس البدعة وهل هى دينية أم سياسية •

قال : ثم عقد فى حياة أبى سعيد القرمطى قبل أن تعـــلم بدعته للصلت ابن القاسم ثانية ، ومات الصلت بن القاسم من غير اعتزال عن الامامة ، أى فى هـــذه المرة الثانية ، ولم يعـــلم كم لبث فيها ولا ماذا كان من أمره • قال : ثم بويع من بعده للحسن بن سعيد السحتنى النازل نزوى أخى بنى شعالة ، فلبث فى الامامة أقل من شهر ، ثم مات من غير اعتزال عن الإمامة • قال : ثم عقـــد للحوارى بن مطرف الحـــدانى النازل نزوى ، وبويع على ما بلغنا على المدافعة • قال : وكان فى البلد آخذاً على أيدى الفساق من سفهاء أهل عمان أخذا شديدا ، وكان اذا جاء السلطان الى نزوى يجبى من أهلها اعتزل من بيت الامامة الى منزل نفسه من نزوى ، فاذا خرج السلطان من نزوى رجـــع هو الى بيت الامامة ، ووضع تاج الامامة ، على رأسه ، وقال : لا حـــكم لله ولا طاعة

لمن عصى الله ، قال : وكأن قائما له بالأمر عند السـلطان قوم من بنى سامة فيما أحسب . قلت : أى أمر له عند السلطان حتى يقوم به له بنو سامة ، فإما أن يكون إماماً من طرف السلطان ، وهو الواضح لسكوت السلطان عنه إذ جاء نزوى فالأمر الى السلطان وهو إمام بيته ، واذا خرج السلطان من نزوى يكون هو إمامهم اسماً دون معنى ما سمعناه فى سيرة المسلمين بهذا ، وإما أن يكون عاملا للسلطان ، وهو أكبر ، ولعل بنى سامة يقولون للسلطان اتركه فى مكانه اسماً وأنت المعنى ولا تخشى منه شيئا فانه لم يكن بيده أمر من أمور الدولة ، وهـذه هى الامامة المستضعفة إن لم نقل غير ذلك والله المستعان ما علمنا بهـذا فى منهج المسلمين ، ولا ارتضاه الأئمة فى الدين .

قال : فلم يزل الحوارى على ذلك الى أن مات من غير اعتزال . قلت : أى اعتزال يراد هنا مع هـذه الأحوال الشبيهة بلعب الصبيان . قال : وعـذر المدافع عن المسلمين عذر الشارى . قال الامام : ولا عذر عندنا لأحـد إلا من عذره الله . قلت : لا ينبغى لأحـد أن يدخل فى أمر يرى أنه يعجز عنه ولا يليق بمنصب الإمامة أن يكون كهذا الحال الذى عليه هـذا الامام . قال : ثم عقد لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرف الحدانى ، وكان على نحو سبيل عمه اذا جاء السـلطان اعتزل من بيت الامامة ، قلت : هـذا السلطان أشبه أن يكون من بنى سامة الذين مر ذكرهم ، وأهل عمان أطلقوا عليه اسم السلطان تشهيرا ببغيه فى مثل هذا المقام ، وكأنه زعيم من زعماء بنى سامة الذين تسلطوا على الأمر ، وأما سلطان بغـداد الذى يتعلقون به لم يقل أحـد إنه جاء عمان ، واسم السلطان كبير لا ينبغى إطلاقه على أمير يرجع الى سلطة غيره من الملوك ، وإنما

هو رئيس أو زعيم أو أمير ، أما اسم السلطان فلا تحل له هنا ولا ينبغى إطلاقه فى التاريخ إلا على المعروف بالخليفة الأكبر الذى له النفوذ من غير سلطة عليه ، ثم وجدت أن قواد جيوش بنى العباس سموا أنفسهم باسم السلطان ، وسموا السلطان العباسى خليفة ، فكان الخليفة فى بيته اسماً والسلطان المعنى ا هـ .

أما شيوخ القبائل وزعماؤهم كما سوف ترى فى زعماء بنى سامة ، إذ كانوا عائلة تتهارش على ملك عمان وهم يلقبون أنفسهم سلاطين ، فيكون فى عمان سلاطين عدة فى وقت واحـد ، فهذا وأمثاله لا يليق أن يطلق عليه اسم سلطان إلا من لا يفهم معنى السلطان أو الخليفة أو الامام ، وهـكذا فهؤلاء لا عبرة بهم فى التاريخ الصحيح ، وكل من عبر عنهم باسم السلطان فقد غلط غلطاً تاريخياً وأدبياً ، كما أن العلماء يميزون مقامات هـذه المراتب ، فالسلطان والأمير والزعيم والدولة والحـكومة ونحوها فى الاصطلاح لكل مرتبة من هـذه المراتب عرف خاص بهـا ، ذكر ذلك الشيخ أبو اسحاق فى مجلة المنهاج فراجعه إن شئت ولا تكتب إلا على مقتضى القواعد الصـحيحة وللعـلم حقوق يجب أن تراعى ، وللاصطلاحات اللغوية والعرفية ونحوها كذلك .

قال الامام : ثم جاءت القرامطة بعد ذلك وعمر بن محمد فى الحياة ، ورجعت القرامطة من عمـان الى البحرين وهو حى فلم يرجع الى بيت الامامـة .

قال : ثم كان فترة من بعده فى سنين عن عقد الامامة ، ثم عقدوا لمحمد بن يزيد الكندى النازل سـمد نزوى وبايعوه على ما بلغنا على

الدفاع ، واعتل عليهم بأنه رجل عليـــه دين فلم يبايعهم على الشرى ، قال : ثم إن الســـلطان تغلب على البلد وهرب محمد بن يزيد ، وكأنه بهربه سقطت إمامته ا وكان فيما قيل للسلطان عسكران : عسكر بالسر وعسكر بالاعتاك أى كان له جيشان ، وكأنه جعل عاصمته أرض السر ويأتى نزوى كسائر الملوك المتجولين ، وكأنه لم يضغط على أهل نزوى فى عقــد الامامة فإن السلطان اذا جاء تذهب الامامة كلاشىء حتى اذا خرج برزت الامامة من مخبئها وأعلنت أمرها ، فالذى بيده الحل والعقد هو السلطان ، والذى له اسم الامامة ، فالإمام أياً كان لا يهم السلطان أمره ولا يهوله وجوده ، قال : ثم عقد بعد الكندى فى حياته للحــكم بن الملا البحرى النازل بسعال •

قال الامام : قال ابن روح لا نعلم أن إماماً كان من أهل القبلة مثله فى الضــعفة والوهنة ، مسلماً ولا مجرماً قلت كيف لا يكون كذلك وأنتم أنصـــاره وأعوانه ، وأنتم تعقدون عليه والسلطان فى البلاد والأمر اليه ، وأنتم ترضـــون إمامته وهو يرضى أن يكون لكم إمامـــاً والحال هكذا • فحينئذ الامام يولى قـــدر المأمونين ولا يلام الحكم أكثر من لوم أنصاره ، قال : ثم إن الحــكم بن المــلا اعتزل عن الامامة وأقام السلطان عسكراً بنزوى الى هـــذه الغاية • يعنى الوقت الذى هو فيه • قلت : من هـــذا يظهر أن السلطان لا يزالُ مع اتفاق لدى الامام ، أن الامام يكون من طرف حتى اذا تخلى السلطان عن الامامة أقام السلطان لنزوى عسكراً يحافظون على البلاد ، ولكن من الأسف الآسف أنهم لم يسموا واحدا من هؤلاء السلاطين السلفيين واكتفوا على قاعدتهم فى نبزهم لغير الامام باسم السلطان ، والمراد به الأمير الذى لا يتولونه يطلقون

عليه اسم السلطان إعلاماً بأنهم غير راضين به ، ولكنهم مرغمون عليه هـكذا المفهوم من تعبيرهم سواء كان سلطاناً بكل معنى الكلمة أو كان أميرا مسلطا •

وقال أبو الحوارى : نحن نبرأ من أبى سعيد القرمطى ونبرأ ممن تولاه ، ونبرأ ممن وقف فيه ونبرأ ممن شك فيه بعد رجوعه من السوق الى نزوى • قال : أما عقد إمامته فلا نقول فيه شيئا ، وما من بعد رجوعه من نزوى ورجوعه اليها من بعد دخوله فى القرامطة فنحن نبرأ منه من بعد ذلك الى هـذا اليوم ، وممن تولاه وممن وقف عنه وممن شك فيه • قال : ولا ينبغى لعاقل أن يناظر فى أبى سعيد ولا فى عقد إمامته ، قال : وإنما كان يشبه لعب الصبيان فمن تكلم فى ذلك فينبغى أن يعرض عنه ويمقت ولا يلتفت اليه ، قال : وهـذا من كـلام السـفاهة والحمق والضـلالة • قال أبو سعيد : هـذا القول معناه خاص فيمن علم من أبى سعيد ما يستحق به العـداوة وعـلم ممن تولاه على ما لا تسـعه ولايته عليه ، وعـلم ممن شـك فيـه بعـد أن علم منه ما لا يسعه الشك فيه عليه •

وقال أبو الحوارى : ان عثمان بن محمد بن وائل ويزيد بن حمـاد السعالى بايعا محمد بن يزيد اماما ، وقد كان مع من خرج على الصلت بن مالك ، وكان من أصحاب راشد وكان واليا له على سمائل يعرف ذلك الخاصة والعامة ، وقال : يزيد بن حماد وأبو عبد الله النعمان ومحمد بن عبد الله أنهم اجتمعوا فى المسجد منهم عثمان بن محمد بن وائل ، وأبو عبد الله النعمان ، ويزيد بن حماد ومحمد بن عبد الله ، ومحمد بن خالد بن يزيد وكتبوا بامامة محمد بن يزيد الى الرستاق ، وخرج عثمان بن محمد بن وائل ،

وعلى بن محمد بن على الى الاعتاك يدعون الى نصرة محمد بن يزيد فيما سمعنا • قال : ولأبى المؤثر وأبى قحطان كلام فى هؤلاء الأئمة ، وفيمن بايعهم • قلت : أما قولهم نحن نبرأ من أبى سعيد ونبرأ ممن تولاه ونبرأ الى آخر ما جاء عنهم ليس بشىء ، وانما هو أشبه بلعب الصبيان ، فاذا برئتم أنتم ومن معكم من أبى سعيد ماذا يضر أبا سعيد ، وقد لعب دوره وأنتم الناصبون له ، وان لم تكونوا أنتم بالذات فاخوانكم وأهل ولايتكم وأهل مذهبكم وملتكم ، ومن تحتجون بهم وتعتمدون عليهم ، وهل يكفى القول عن الفعل أم هذا ضرب من الحمق والسفاهة كما تقولون ، وهل يليق بالامامة العظمى كهذا الحال الذى مشوا عليه هنا ، وانه لمن المؤسف وانا اذ نذكره نريد أن نكشف للناس جد الرجال وهزلهم فى الدنيا والدين ، وليعلموا أن مرت على أهل مذهبهم هى أشبه بلعب الصبيان ان لم تكن فى الحقيقة لعبا خالصا • قال أبو المؤثر : قدموا راشدا يعنى ابن النضر اماما ثانية على غلطه وخطئه ، ثم ضللوه وعزلوه ، ثم أقاموا الصلت ابن القاسم إماما ، ثم قدم عليه حمويه الفاسق ففر عنه ولم يذب عن الحريم ، فلما قضى حمويه غشمه وظلمه رجع الصلت الى موضعه ، فأنفذ الأحكام وجبى الصدقات وولى الولاة وصلى الجمعات ، الى أن رجع حمويه ثانية ففر الصلت ابن القاسم فحاصره ، فدفع الله شر حمويه فانقلب صاغرا ولم يدخل الجوف •

قال : ففعل الصلت بن القاسم فى هذا الحال أحسن من فعله فى المرة الأولى ، أى نجرد لحرب حمويه وقاومه فى هذه المرة بخلاف المرة الأولى التى لم يفعل فيها شيئا ، قال : فلما أحسن فى فعله قاموا عليه فبرءوا منه وخلعوه وكتبوا الى المسلمين كتابا ، قال : فالعجب من ذلك أنهم رضوا

به اماما فى أسوأ فعله ، اذ فر أى فر عن الدفاع للظالم حمويه ، ولم يقاومه وهذا من أقبح الأشياء فى الدين ، وأوهن سمعة للمسلمين ، وأضيع لحقوقه الامامة عند المؤمنين ، قال : وخلعوه وهو محسن اذ الله به شر حمويه عنهم ، قال : فهذه عجيبة من العجائب • قلت : وأعجب منها ما يأتى وهو كما يقول عنهم ، ثم عادوا عليه فقدموه ثانية ، فالعجب منهم ومن الصلت فان يكونوا مخطئين فى عزله وفى خلعه فقد كان لا يبغى ألا يتخذهم وراءه ولا يؤمنهم على البيعة ولا يقربهم فى مؤازرته إذ خلعوه وهــو مصيب وهم مخطئون ، وان يكن الصلت مخطئا فالعجب منهم إذ رجعوا اليه ورده اماما على خطئه ، وإن قالوا قد تبيناه واستتبناه فقد اتخذوا دينهم ربا ولهوا ولبعبا إذ يظهرون الخطيئة ويبطنون التوبة ، فقد عظم ذنبهم على لبسهم الأمور بعضها ببعض ، ولبس الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يلعبون •

فاتقوا الله يا أهل عمان وارجعوا الى ربكم يعد الله عليكم ، وادخلوا فى الباب الذى خرجتم منه ، وارجعوا الى الأصل الذى تفرقتم عنه ، ولدين الله الذى لا عوج فيه ، وللحق الذى لا باطل معه ، وللعدل الذى لا يشوبه الجور ، وتعانوا على البر والتقوى ، وكونوا بنى الاسلام ، وألقوا عنكم العصبية والحمية ، ولا تعازوا بالعشائر ، أى لا تتداعوا بها ، وليكن عزكم بالله ، أى الذى هو الأحد الفرد الصمد ، وبدينه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ودعــوا عنكم اللجاج واخضــعوا للحق ، وتواضعوا له ، وانزلوا للمحدثين حيث أنزلوا أنفسهم ، واجتمعوا وتكاتبوا وتداعوا إلى وطء آثار أسلافكم ، قال : فاذا اجتمعتم فبايعوا اماما من أحزمكم على الخير وأصبركم على الجهاد ، وأبعدكم عزما وأوفاكم على أمر

الله عهدا ، ثم انصروه بأموالكم وأنفسكم ، فقد تعلمون أنه لم يبق من الجور ولا من خصال الشر شيء الا قد وقع وانبث بين أظهركم ، دل عليه قوله : أمراء ظلمة وأجناد غشمة وقطاع الطريق ، قد صدوا الناس عن أسفارهم وقضاء حوائجهم ، أى خوفوهم فلم يخرجوا لأعمالهم ، قال وفساق القرى قد استطالوا على الناس ، فيسفكون دماءهم ويغصبون أموالهم ، ويروعونهم فى منازلهم •

قال : ثم داهية هى أعظم وأفحش كفرا قوم يدعون الى تكذيب رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، يعنى القرامطـة ، يدعون الى تحـريف أى القرآن ، لم يمكنهم ابقاء التأويل والتنزيل معا فجعلوا يبطلون التأويل ويحرفون الكلم عن مواضعه ، لأنهم متى حرفوا تأويله وسموه بما لم يسمه به الله ، قصدوا الى ابطال تنزيله وفى الحق عليكم أن تدعوا ذلك وتتفرغوا لدينكم وأحسابكم ، لأنهم يستحلون فيما بلغنا قتل الأطفال وسبى الحرم ، ويضربون الأمثـال فى ذلك ويقولون : إذا قتلت العقرب فلك أن تقتل أولادها ، ويتأولون دعوة نوح عليه السلام على قومه وهى قوله : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • إنك إن تذرهم يضللوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّاراً) يقصدون فى أهه الجفار ومن يستحل أكـل أموال الناس بالباطل بغير دين ، فكيف إذا منوهم بالخلود ، ووعدوهم استباحة القرى ، فالله الله قبل أن تنزل بكم العقوبة ، فليجتمع منكم عشرون رجلا الى هؤلاء القوم فيسألونهم عما يدعون اليه ، فان ناظروكم فناظروهم ، وإن طووا عنكم فادعوهم وأجيبوهم ، ولا تأمنوا أن يجمعوا عليكم الأعراب اللصوص قطاع الطريق ، ثم يبيتوا على قرية من قراكم فيستبيحونكم يغلظ جمعهم بالفساق ، ثم يعسر عليكم دفعهم فأدركوا

قبل أن يفوتكم الأمر تندموا على ما فاتكم وقد أعذرنا اليكم ونصحناكم والله يشهد على ما نقول ويقولون •

وقال أبو قحطان : رجعوا الى راشد يعنى ابن النضر بعد أن كان فى السجن خليعا مقيدا محبوسا أسيرا فعقدوا له اماما وقصروا الجمعة أى صلوا وراءه ركعتين ، ولا تصلى الجمعة فى نزوى الا خلف أئمة العدل ، والا كان الواجب عليهم أربعا فاستحلوا قصر لأربع ركعتين ، قال : وجبوا الزكاة أى والزكاة لا تحل الا للامام العدل قال : وباع راشد الصوافى ، قلت : لم نعلم بعمان صوافى قبل تغريق أموال بنى نبهان الذين ظلموا عباد الله ، وسلبوا الأموال من غير حلها ، وعمان أسلمت طوعا فلم تكن يوما من الأيام صافية ، فان الصوافى هى جمع صافية وهى ما استصفاه الامام من الغنيمة ، ومنه اشتق لها اسم الصافية والمراد بها عند الفقهاء أموال الكفار الذين جلوا عنها وغنمها المسلمون كخيبر ومثالها ، أما عمان لم تكن يوما من الأيام صافية الا أموال بنى نبهان الذين ظلموا أهل عمان أموالهم وأملاكهم ، وأخذوا ما ليس لهم وأملاكهم ، وأخذوا ما ليس لهم بحق فرأى هداه الحق ظلمهم ولم يستطيعوا رد كل شىء الى أهله ، فأشكل عليهم ذلك غاية الاشكال ، فلما أشكل عليهم جعلوا المشكل كمجهول الأرباب أمره الى الامام يضعه حيث يرى له وجها يسوغ وضعه فيه ، فتكون مصلحته عامة فى المسلمين وما عمت مصلحته كثر أجره ، ولا يكلف الله نفسا فوق طاقتها وأين يدرك ذلك إذا تعددت المظالم بتعدد الظلمة ، ولو لم تتعدد الظلمة بل كان الظالم واحدا وتعدد ظلمه كما إذ طال عمره وهو ظالم ، فمن أين يستطاع رد ما كسب الى أهله والحال هذا ؟ كما إذا جعل على الناس المكوس والضرائب المتنوعة فى الأسواق وفى الجبايات ، فما

تحصل من هذا الوجه أمر عظيم ، لو شئنا لذكرناه عن أناس رأيناهم فى حياتنا ورأينا فعلهم ، والله سائلهم عما كسبوا .

قال أبو قحطان : وباع راشد الصوافي أيَ وأكثر أهل العلم لا يجيزون بيعها ، ومن أجاز بيعها لصلاح دولة المسلمين رأى أن تقويم أمر المسلمين أولى من ضياعه وتبقى الصوافى مكانها مع ضياع أمر الدين ، ويخشى على الحوزة من البغاة أو يخشى على الدين من الطغاة ، فان للامام أن يجبر الأمة على الدفاع عن حوزتهم واستباحة حماهم بمالهم وأنفسهم كما صح ذلك نقلا وعقلا ، وبسط ذلك لا يسعه المقام فنكله الى محله ، ولكل مقام مقال .

قال أبو قحطان : لما ذكر أن راشدا باع الصوافى ولم ينكروا عليه بيعها ، قال ثم خذلوه وتركوه ، ثم خلعوا معه الامامة وفرضها وما أوجب الله تعالى فيها على أهلها لعبا ولهوا كلما أرادوا صافقوا رجلا ببيعة ، ثم خذلوه حتى بايعوا ست عشرة بيعة أو أكثر ، لم يفوا لله بواحدة ولا ساروا بحق الامامة ولا اتبعوهم ، ولا من قدموه فى بيعتهم سبيل الأسلاف من المسلمين ، قال : بايعوا راشد بن النضر بيعتين ، عبايعوا عزان بن تميم ، وبايعوا الصلت بن القاسم بيعتين ، وبايعوا الحوارى بن عبد الله ، وبايعوا أبا سعيد القرمطى ، وبايعوا محمد بن الحسن ، وبايعوا الحسن بن سعيد ، وبايعوا الحوارى بن مطرف بيعتين ، وبايعوا عمر بن محمد بن مطرف . قال : وبايعوا محمد بن يزيد ، وبايعوا الحكم بن ملا بيعتين ، وبايعـــوا عزان بن الهزبر . قال : ولم نكتب بيعتهم أولا فأولا أى على الترتيب ، وكان ينبغى ذلك وهو من حق التاريخ حتى يعلم من يأتى الأسبق مـــن هؤلاء الأئمة ، ويعلم العلل والأسباب فى العقد والعزل ونحو ذلك ، قال : وانما سميناهم ، قال : وعزان بن الهزبر كانت بيعته قبل بيعة الحكم بن

الملا وغيره • قال : فأما عزان فلم تقم عليه فى بيعته أكثر من أنه لما ولى الأمر لم يظهر دعوة المسلمين ، ولم يظهر دينه للناس ، وكان من أهل دينه ، وممن يخالفه فى عسكره مجتمعين على غير بيان والحق واحد ، فدل ذلك على وجود ناس من غير أهل المذهب ، والمسلمون ولم يقبلوا من عمر بن عبد العزيز الأموى ، وقد كانت سيرته محمودة معهم ، الا أن يظهر دين المسلمين ، ولم يقبلوا منه غير ذلك ، والآخر تبع للأول •

قال العلامة أبو اسحاق : لم يقبلوا من عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه وفد من أصحابنا رحمهم الله ، وفاوضوه فى أمر الأمة ، وما تركه خلفاء الأمويين من المظالم وبينوا له ما هم عليه من الحق ، وكلموه فى فتنة الصحابة التى هى الأصل فى تشعب الأمة ، فقبل منهم كل شىء ووافقهم على كل شىء إلا مسألة الصحابة ، فكان رأيه السكوت عنها أى لما ورد من النهى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنها : إذا ذكر أصحابى فأمسكوا • الحديث ، فقالوا له : يجب عليك إظهار الحق واعلانه دفعة واحدة ، فقال لهم : لكم يوم على أن أحيى كل يوم سنة أى من سنن الرسول ، والمراد بها السنن التى عارضها بنو أمية ، وقضوا عليها وخالفوا فيها سبيل المسلمين واتبعوا أهواءهم بغير برهان من الله عز وجل ، قال : وأميت كل يوم بدعة من البدع التى ابتدعها المذكورون ، وأرد الأمور على قواعدها بطرق السياسية ، أما اعلان الحق مرة واحدة فلا لأنى أخشى أن تنتقض الأمور وتنفض الأمة ، وكان الوفد شديدا عليه ، أى أن المسلمين كانوا أشداء على الحق ، كما وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز ، قال أبو اسحاق : وكان الوفد شديدا عليه فى المسألة والتى قبلها أى اعلان الحق دفعة واحدة ، وامانة البدع واحياء السنن كذلك ، قال : ولكنهم

متفقون معه فيما سوى ذلك ، والظاهر أنهم على نهج واحد ، الا أن الذى خالف بينهم ، فان عمر بن عبد العزيز يريد استعمال السياسة والوفد يرى أن الامام العدل لا تسعه التقية •

قال وعلى أثر ذلك الحال الذى جرت فيه المحادثة أبطل شتم على بن أبى طالب على المنابر ، وليس ذلك الابطال بالهين ، إذا كان راسخا فى أذهان الأضداد ، أنه عندهم من السنة التى ينشأ عليها الكبير كما حققناه تماما ، فى العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة ، فكانت تلك أول صدمة عرفها أعداء الحق ، قال : وجعل بدل ذلك الآية الشهيرة العظيمة فى بابها الفذة فى أترابها ، الجامعة كل خير ، الناهية عن كل شر ، وهى قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ، وأراد أمير المؤمنين عمر بايراد هذه الآية هنا الرد على أفعال القوم وابطال أعمالهم ، والمعنى أن الله يأمر بهذه الأوامر ، وينهى عن هذه المناهى التى أنتم واقعون فيها والراكبون على متنها بغير مبالاة ، فان الله يأمر بالعدل وهو المساواة بين الناس فى الحق ، ويأمر بالاحسان ، وهو استحضار عظمة ذى الجلال ، فان من استحضر عظمة ربه امتنع أن يركب الباطل كما أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم ، بقوله : الأحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • أى واعلم أن رؤيته مستحيلة ، وانما أراد نفس الاستحضار أى إذا تحققت أنك لا تراه فلا تحقق أنه لا يراك بل المراد العكس ، وهو أن تستحضر فى نفسك أنه يراك ، فاذا استحضرت ذلك تباعدت عن المناهى كلها ، وهو واجب المسلم وبقية الآية دليل واضح فى الرد على أهل الضلال ، وتلك المعانى كلها أرادها أمير المؤمنين الأموى العبد الصالح •

قال : واذا جاز لعزان الامساك جاز لغيره ، قال : وقولنا فيه قول المسلمين ، قال : ثم نعت الناصبين لهم ، أى لأولئك الأئمة الذين مر ذكرهم بأنهم ممن غير أثر السلف الصالح ، واتخذوا رأيهم وهو أهم دينا ويقدمون رجلا ويسمونه بالامامة ، ويقصرون الصلاة خلفه ويجبون الزكاة والجزية ، حتى إذا خرج عليه وعليهم العدو خذلوه ، وأقام من أقام منهم مع من خرج عليه من الأجناد يحث فى اصلاح البلاد والقيام بالخراج ، وعدد الأموال حتى اذا خرج السلطان قدموه أو غيره اماما ، وخطبوا له الخطب ، ودعوا له بالامامة ، وقصروا الصلاة يعنى الجمعة وجبوا الزكاة ، قال : فهم يخلفون الجائر على الرعية يجبونهم ، فالسلطان يجبى حينا وهم يجبون حينا ، فقد اجتمعت جبايتان جبايتهم وجباية الأجناد فى أيام الحوارى ابن مطرف ، قال : وما نعرف هذا من آثار الأسلاف ، قلت : فى هذا وما سبق من التأنيب والتوبيخ والند لأعمالهم ، والرد عليهم بفحوى الخطاب ، وقطع عذرهم بعدم وجود هذا فى آثار المسلمين وعدم الرضا به مـن المؤمنين ، وقد علمت أنه لا جباية بلا حماية ، وأين الحماية هنا وهم تحت سيطرة السلطان الجائر كما هو عرفهم وتعبيرهم فى مثل هذه المواضع ، وهذا السلطان الذى يشيرون اليه فى هذه المواضع المراد بـه الزعيم السامى القائم بالأمر فى عمان من طرف الخليفة متسيطرا به على الأمة ، راكبا به على ظهرها يفعل ما يهوى ، ويحكم بما يملى عليه الهوى ، قال : وفى آثار أسلافنا أنهم قالوا ولا نجبى جزية ولا صدقة ، حتى نكون على الناس حكاما ولا نبعث جباتنا يجبون أرضا لم نحمها ولم يجر فيها حكمنا ، ولا نمنع من جبينا من الظلم والعدوان ، قال : بهذا ندين ومـن خالف المسلمين برئنا منه انتهى تلخيص ما أردنا نقله من كلام أبى المؤثر رحمه الله ، وأبى قحطان رضى الله عنه .

قال الامام رحمه الله : وفيه من النقد ما فيه ، والله أعلم بحال أولئك الأئمة وبحال أولئك العاقدين ، وكلام أبى الحوارى ومحمد بن روح أهون حالا من قولهما ، وما غاب علمه لم يلزمنا حكمه اه من تحفة الامام رحمه الله .

وهؤلاء الأئمة الذين مر عليك ذكرهم ، وما كان من أمرهم وأمر القائمين ببيعهم ، والمناصرين لهم والخاذلين اياهم ، وما فى ذلك الجو المظلم من الاضاعة ، وما فى عهد تلك الأئمة من الضعف كما عبرنا عن إمامتهم بالامامة المستضعفة ، احتماء لجانب الحق ، وتجنبا لما لا نعلم له دليلا ، ولكنا ما نقول رعاية لجانب الذين يطلعون على الحقائق فى عمان ، ومن يفهمون القضايا الشرعية ، فاذا اطلعوا على ما سطر هنا حارت أذهانهم فى تصوير الواقع ، وربما سخروا مما رأوا وسمعوا عن أعمال المذهب الذى نحن نفتخر به وندعو اليه ، ونقول : انه المذهب الطاهر النزيه ، بعلمائه الأبرار الذين لا يرضون شيئا يخالف القواعد الشرعية ، وإذا بهم ينصبون اماما ، ثم يخلعونه ويقومون الى آخر فيبايعونه ، ثم يتركونه ويعودون للأول من غير أن يذكروا له ذنبا ، ومنهم من ذكروا له ذنبا بل ذنوبا ، ثم عادوا عليه وهو فى أسرهم وقيودهم ، ثم يبايعونه مرة ولم يظهروا له توبة عما قيدوه من أجله ، وكيف يليق للامامة من كان بالأمس فى القيود معاقبا ، ويصبح اليوم اماما فيقولون المقيد بالأمس ، قد أصبح اماما وهكذا ، فهذا أمر ما سمعنا بمثله فى أمة من أمم العالم الاسلامى ، بل ولا غيره ، وليس الدين ألعوبة ولا الامامة ملهى يتلهون به ، وإنما هى عهود الله ومواثيقه وعقوده التى أمر بالوفاء بها ، والامامة لا تقوم إلا بالحق ، ولا تنشد إلا الحق وحكم القرآن فيها ثابت ، ومن

السنة كذلك فمن تلاعب بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فقد خان الله ولعب بالحق بمقتضى هواه ، ومن حيث لا علم لنا عما مشى عليه القوم ، فنحسن الظن بأهل الحق ، ونكل ما سمعنا الى الله عز وجل وإنها لامامة مستضعفة فقدت أنصارها رجال الله ، وليتها لم تكن وهى على ذلك الحـال السيىء الذى أشبه بلعب الصبيان ، فكان السلطان فى عمان هو المسيطر عليها وهؤلاء ينصبون الأئمة ويبايعونهم ، وإذا جاء السلطان دخل الامام بيته واختفى فيه حتى اذا خرج هذا السلطان من نفس البلد التى فيها الامام ، برز الامام وينادى بامامته •

أيفعل هذا عاقل ؟ أيقول به من له فى معنى الرجولة ؟ أيرضى بـه من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ؟ فكانت عمان على هذا الحال فوق أربعين سنة قضاها الله على أهل عمان خذلان ، نعوذ بالله من مثل هذه الأحوال الواهية المستضعفة ، وكان هذا والخلافة فى بغداد الى عبد الله ابن المعتز الذى توفى سنة ٢٩ تسع وعشرين هـ •

وهؤلاء من أواخر آل العباس الذين شهروا بالتلاعب ، فكان هذا الحال عم الأمراء فى ذلك الـوقت ، وانتشرت الفوضى فى أغلب أقطـار الاسلام ، فمن راعى التاريخ رأى ذلك صحيحا فى جميع بلاد الاسلام ، ولا يسع مقامنا لذكر ما علمناه فى هذا العهد مشرقا ومغربا ، وفيه بدأت أرواح النصرانية تتحرك لهاوتأمل مـن رد الكرة على المسـلمين والقضاء عليهم •

إمامة الإمام الرضى المرضى سعيد بن عبد الله الرحيلى

كان آل الرحيل بصحار عيونها الباصرة وأنجمها الزاهرة وحجتها القاهرة ، لا لكونهم قريشيين بل لكونهم علمـاء الملة والدين ، كان محبوب ابن الرحيل بن يوسف بن هبيرة بن أبى وهب بن عمر بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظـة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، كمـا فى رعاية الأحساب ، سيدا من سادات المسلمين ووليـا من أولياء الملة والدين ، وكان هو المعروف بأبى سفيان ، وولدم محمد بن محبوب أكبر علمـاء المسلمين فى عهده وأولاده عبد الله وبشير ومجبر ، ونجالهم هم فى ذلك الوقت أعمـدة المذهب الاباضى ، وهداة الأمة وحجة الله على عبـاده ، ومحمد بن محبوب هو المعروف فى الأثر المشرقى عند الاطلاق بأبى عبد الله ، وعبد الله هـذا المكنى به هو والد الامام سعيد الذى نريد أن نتحدث عنـه فى هـذا التاريخ العمانى .

وقد علمت لمحة عن هؤلاء القـادة الأجلاء والسـادة الأعزاء ، الذين هم حجة الله فى أرضـه ، وصحار إذ ذاك مهدهم العزيز وموطنهم المحروس ، وهم أركان العدالة فى عمـان ، وفقهاء المذهب الاباضى على الاطلاق ، فكانت عائلة آل الرحيل لهـا المقام المرموق بن أعلام المسلمين ، ولم ، تكن عائـلة تماثلهم فى عمـان ، اللهم إلا إن كانت عائـلة آل مداد وهم قوم من التعب من قضاعة ، وعائلة الشيخ صالح وذراريه ، وعندى أن عائلة آل الرحيل هم المقدمون لأحوال ليس هـذا محل بسطها .

الامام هو : السعيد بن عبد الله بن محمد ، وبقيـة النسب قدمناها كمـا هى فى الاسعاف ، وفى رعاية الأحساب ،وكلاهمـا والحمد لله لنا .

قال الامام : وسيف بن هبيرة هو فارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم • قلت : لم أجده فى عداد الصحابة حتى أذكره وعلى كل حال إن قومنا لا يذكرون من كان من رجالنا إلا شبه الغلط ، وان كان الصحابة هم لم يضافوا الى مذهب خاص إلا أن سيف هذا سيكون أصل قادة أجلاء بعمان ، وفى مذهب ابن اباض رحمهم الله ورضى عنهم • قال الامام : بايعه المسلمون يعنى سعيد بن عبد الله الرحيلى • بعد تلك البلايا والمحن ، وأشار بذلك الى ما سبق لنا ذكره من أيام القرامطة وسلاطين آل سامة بن لؤى بن غالب ، وما اكتنف ذلك الجو من الاضطراب ، قال وجمع الله الشمل به وأراح به العباد ، وأحيا به البلاد ، أى ورد به على المسلمين عزتهم ونشر به دعوتهم ، وأقام به حجتهم وأيد به المذهب ، وقوى به الاسلام ، قال الامام : لم أجد فى شىء من السير تاريخا لوقت بيعته غير أن ظاهر الحال يدل على أن بيعته كانت فى سنة ٣٢٠ — العشرين وثلاثمائة قال : وذلك أنى وجدت أن أهل عمان بقوا فى هوان من الجبابرة أربعين سنة ، وذلك بعد وقعة ابن بور ، قال وكانت الوقعة فى سنة ٢٨٠ ثمانين ومائتين ، قال : فنتم الأربعون بدخول العشرين بعد ثلاثمائة ، قلت : ويستفاد من ذلك أن عمان فى ذلك العهد تعدد أمراؤها فلعلهم كانوا كل أمير على جهة كما سيأتى فى أيام بنى نبهان ، وفى أيامنا هذه •

فعمان فى أكثر من عشر إمارات كل إمارة مستقلة عن الأخرى ، فأرت ذلك الحال المشار اليه شبيها بالحال الذى نحن فيه ، وإن اختلفت الأسباب • قال الامام : وأول من عقد عليه البيعة أو قال عقد له الامامة هو أبو محمد الحوارى بن عثمان ، ثم أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبى المؤثر ، ثم محمد بن زائدة السمائلى ، هؤلاء الثلاثة الفطاحل

الذين قاموا بعقـد البيعـة للامام سعيد بن عبد الله ابن محمد بن محبوب رحمهم الله ورضى عنهم ، إذ قاموا بتجديد الملة بعد اندراسها ، وبتأييد الشريعة فى مهدهـا الاسلامى فى ذلك العهـد المعصوصب بالجـور ، المملوء بالظلم المحـاط بنوايا السوء ، ومن قام فى مثل هـذا العهـد انه ليعد من أولى العزم فى الدين ، وكان الامام سعيد بن عبد الله رحمه الله كمـا قال فيه رجال الدين .

قال الامام : وسعيد بن عبد الله ممن أجمع المسلمون على ولايته وامامته ، فلم يطعن فيـه طاعن ولم يقـدم يقدح فى سيرته قادح ، قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : إن بيعـة الامام أبى القاسم سعيد بن عبد الله جرت على الدفاع لا على الشراء . قلت : ذلك لأن الجور والظلم والفوضى أحاطت بعمان من كل جانب ، فكان غاية الأمل فى ذلك الحـال الدفاع عن البيضـة ، وحماية الحوزة من هجـوم الأعداء ومطاردتهم عنهـا ، حتى اذا قوى أمر المسلمين وظهر أمرهم واشتدت وطأتهم أمكنهم كل شيء ، وعلى العاقل ألا يقفز قفاة يكون فيهـا هلاكة ، بل يمشى رويدا رويدا حتى اذا رأى الطريق سويا والنشـاط فى تقدم أمكنه مـا أراد ، ومـا جعل الله السمع البصر فى الانسان سدى ، وانما جعلهما رشدا له وهدى .

قال أبو محمد بن أبى المؤثر رحمه الله كان يثنى عليه أى الامام سعيد بن عبد الله فى العلم مـا لا يبلغ الواصف الى غاية صفته . وقال محمد بن روح : كان الامام سعيد بن عبد الله أعلم الجمـاعة الذين كانوا معـه ، قـال أبوسعيد رحمـه الله : وقد كان معـه أبو محمد الحوارى عثمان ، وكان هذا تنويها بشـأن المذكور . قال : وعبد الله بن محمد ،

ومحمد بن الحسن ، ومحمد بن زائدة مع نفــر لا ينكر فضلهم فى الدار ، ولا يجهل عدلهم ، ولهــذا تأييد للامام المذكور يذكر هؤلاء الأعلام الأماجد الذين أقام بهم صرح الامامة الرحيلية فى ذلك العهد بعد مــا كان التلاعب بالحقائق المفروضــة ، والأعمــال المشروعة ، على غير روية فى مذهب المسلمين ، وقال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر رحمــه الله : لا نعلم فى أئمــة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله ، إلا أن يكون الجلندى بن مســعود قال أبو ابراهيم محمد بن سعيد بن أبى بكر : ان الامام سعيد بن عبد الله أفضل من الامام الجلندى بن مسعود رحمهم الله تعــالى •

قال أبو سعيد : ومن أحقــه بذلك فانه كان إماما عادلا صــحيح الأمامة من أهل الاستقامة ، عالما فى زمانه ، لعله يفوق فى العلم أهل أوانه أو كثيرا منهم ، ومع ذلك قتل شهيدا رحمــه الله وغفر له ونحــوه • قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر : إلا أنه وقف فى تفضيله على الجلندى ، قــال الامام ، قلت : ولا أعدل بالجلندى إماما فى عمــان ، فانه قد جمع الصفات الثلاث العلم والعــدل والشهادة مع مــا جمع الله له من الصفات التى لا تكاد توجد فى غيره قلت : يشير الامام رحمــه الله الى مــا كان للجلندى بن مسعود من المنصب الرفيع ، اذا كان من ذرية أولئك الملوك الأجلاء الذين أسلم أهل عمان على أيديهم ، وكون الامام الجلندى الدعامة الأولى للامامة العمانية ، والزعامة الاباضية فى عمان ، وللسابق فضيلة السبق ، وأول الأمور — هــو الذى يكون حجر الأساس لمــا بعده ، مع عفة وزهد وورع الى أقصى حد ، فرحم الله تلك الأنفس الطاهرة ، ورضى الله عن أولئك الرجال البررة الهــداة الخيرة ، أئمــة المسلمين أعمدة الحق والدين •

قال أبو سعيد فتظاهرت الأمور معنـــا من أهل الدار ممن ينتحل نحلة الحق على الاجماع عى ولاية الامام سعيد بن عبد الله رحمه الله ، وهو ولينـــا وامامنا ان شاء الله ، هـــذه صفات هذا الامام وتلك منزلته فى قومه وأمتـــه ، فقد أعرب مقـــال هؤلاء العلماء عن حقيقة امامهم ، ومنـــه يعرف شرفه ودينه ، وقد عرفت مقام آباؤه الغـــر الميامين هم جبهة الرجال فى أيامهم ، وعيون الأخيار فى زمانهم ، وكان قد تولى الأمر فى عمان يوسف وجيه وهو أحد الغزاة لعمـــان ، وأحد البغاة عليها وأحد العتاة فيهـــا ، وهؤلاء كلهم أعمدة جور أمراء ظلم تسلطوا على عمـــان ببنى العباس ، الذين أصبحوا كرة يتلاعب بهـــا قواد الجيوش ، حتى أصبحوا يضعون عليهم اسم السلطنة وعلى أنفسهم اسم الخلافة ويرون أن اسم الخليفة أجل من السلطان ، بل تستروا بذلك لأمر مـــا .

القتال بين الإمام سعيد بن عبد الله وأهل الجور فى عمان

لا يخفى أن الجور والظلم من طباع البشر ، والظلم من شـيم النفوس ، فان تجد ذاعفة فلعله لا يظلم ، ولولا ذلك لما احتاج الأمر الى ارسال الرسل وانزال الكتب وركوب مصاعب الجهاد فى الأمم ، ولله فى كل ذلك حكمة بل حكم وأسرار ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة .

ومن ذلك أن يوسف بن رجيه كان أميرا على عمان ، ولعل أمراء بنى سامة كانوا السبب فى تأميره وهم أعضاد جيشه وأركان إمارته ، وكان أميرا مسلطا على بعض أنحاء على أثر ذلك الخلاف والشقاق فى نصب الأئمة وعزلهم ، وكان الامام سعيد بن عبد الله والسلطان المذكور على حال عداء حار .

قال وكان قد ملك ناحية من عمان ، وكان معاصرا للامام سعيد ابن عبد الله رضى الله عنه ، وكان للامام معه حروب ، وقد انخمد أمره أيام الامام سعيد بن عبد الله ، وظهر الحق عليه ، وانما ظهر بعد قتل الامام رحمه الله ، وكان قتله فى سنة ٣٢٨ ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ولكن التاريخ العمانى لايزال رهن الاضطراب ، لأن أهله أهملوه وأضاعوه ، ومـا جعلوا له قيمة وليتهم لم يفعلوا ذلك . فان الله العزيز الحكيم الذى لا تغيب عليه غائبة ، ولا تفوته هاربة ، يكتب كل شىء لا حاجة الى ذلك تعالى الله علوا كبيرا ، وانما أقل ما فيه أن يكون حجة على صاحبه وبرهانا على راكبه ، واعتبارا بأهله ومداولة الأيام ذكرها الله عز وجل اعتبارا

لعبـاده ، لكنـا نحن أهملنا ولذلك ترى الامام السالمى رحمه الله يذكر امامة الامام سعيد بن عبد الله ، ثم يذكر بعدها إمامة الامام راشد بن الوليد ، ثم خروج سلطان الجور على المذكور ، ولا يسمى هـذا السلطان باسم ولا يذكر له قبيلة ولا عشيرة ولا موطنـا ، ثم عقـد بابا لذكر الجبابرة الذين تولوا عمـان فى الزمان الأول ، وذكر فى هـذا المقام يوسف بن وجيـه فى صحيفة ٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين ، والواقع أن يوسف بن وجيه هذا هو الذى حار به الامام سعيد بن عبد الله ، وسعيد ابن عبد الله هـذا قامت امامته فى سـنة ٣٢٠ — العشرين وثلاثمائة وانتهت سـنة ٣٢٨ ثمان وعشرين وثلاثمائة ، والجبابرة الذين ذكرهم نقلا عن ابن خلدون لم يكونوا فى هـذه المدة ، بل كان قبلها من قدمنا ذكره وكان بعدها بكثير غزاة لعمان احتلوها ، وسيطروا عليهـا ، وتسلطنوا فيهـا ، وذكر إمامة راشد بن الوليـد ، ثم ذكر خروج سلطان الجور على الامام راشد ، وذكر مـا كان بينهما وأن هـذا السلطان من عمان بنى العباس ، وعلى كل حال ان بنى العباس لم يجعلوا أحدا سلطانا على منطقة من المناطق الاسلامية ، وإنما يقولون عامل أو أمير أو وال ، أما السلطان فلا يطلقونه لأحد من عالهم ولا يسمحون به ولا باسم خليفة المسلمين ، بل ذلك لهم خاصة إلا أنه لمـا ضعفت الدولة وسيطر عليهـا القواد ، وتولوا الأمر عليهم لقبوهم بالسلاطين ، وأبقوا لهم اسم الخلافة وهو ظاهر فى تاريخهم ، اللهم إلا أن يكون هـذا السلطان من بنى سامة ، وأن بنى العباس هم الذين يشـدون عضده ويؤيدون أزره ، ويقوون أمره لتطقه بهم واعتماده عليهم ، كمـا عرفت ذلك عنهم ، وهـذا هو الأشبه ، إلا أن من المؤسف أنهم لم يذكروا أسماء هؤلاء السلاطين ، بغضـا لهم ومعاداة دينية لهم ، وذكر أن عمان كانت فى عهدهم دار كفر ونفاق ، نظرا الى أن السلطة

صارت اليهم وهم على غير المذهب ، والنظر فى هـذا الى الحاكم فان كان الحاكم كافرا كانت البلاد دار كفر نظرا الى السـلطة فى الحكم ، ولو كان أهلها مسلمين ، وإن كان الحاكم مسلما كانت الدار تعتبر دار اسلام ، ولو كان أهلها كفارا ، فلمـا كانت عمان أيام هؤلاء السلاطين الظلمـة المخالفين لمذهب المسلمين ، وكانت الدار تحت سيطرتهم ، وكانوا هم الحكام فيهـا ولأمرهم الجارى عليهـا ، وسلطنتهم النافذة فيهـا ، اعتبروها دار كفر نفـاق ، لأن الحكام كانوا مسلمين لكنهم على غير المذهب القويم ، ثم ذكر القرامطة وذكر بنى مكرم ، وأنهم صاروا سلاطين عمان ، فأقول : إمـا أن يكون أمر هؤلاء الذين يسميهم أهل عمـان سلاطين قواد جيوش الأعداء ، وأركان حربهم فيتولون البلاد إذ يغلبوا على أهلهـا فيطلق عليهم أهل عمان اسم السلاطين ، تنديدا بهم كمـا هى قاعدة المذهب الاباضى ، وهى أن المسلمين هم الذين يتولون انتخاب الامام فينتخبون المرضى دينـا وعلما وايمانا وتقوى وزهدا وورعا فيبايعونه على حكم كتاب الله عز جل ، وعلى سنة نبيـه عليه الصـلاة والسلام ، وعلى نهج الخلفاء الراشدين ، وإلا كان عندهم سلطانا ، وإطلاق لفظ السلطان يثبت عندهم البراءة ويوجب التباعد وعدم الطاعة ، ويوجب حربه إن قدر عليه ولا يكفى كونه من أهل المذهب للقبول منـه والرضا به ، وهو على هـذا الحال ، هـذا هو مذهب المسلمين ، ولذلك تراهم يطلقون لفظ السلطان على من كان بهـذه الصفة أو كان أيضـا اماما انتخابيا ثم جار فى الحكم وحاد عن الطريق ، ومشى كمـا يهوى وفعل مـا يرضى ، وان خالف الحق ، ولذلك لم يرضوا عثمان بن عفان وقاموا عليـه الى أن آل الأمر الى قتله كما يعرف ذلك المسلمون ، ولولا ذلك لكان كل من يده الى السلطة كان مرضيا أو كان اماما لكان الحجاج اماما ، أو ملوك بنى العباس فافهم ، ولمـا

قام أمر الامام سعيد بن عبد الله خرج عليـه يوسف بن وجيه ، فملك جانبا من ملك عمـان ، ولعله قيض على أرض السر من الظاهرة ، وعـلى البريمى من غرب عمان ، إذ كان أكثر الغزاة لعمـان يأتون من ذلك الجانب من مضى ومن يأتى ، لأن فى شرق عمـان يقطع البحر بين الغازى وبين أهل عمان ، ومن جنوب عمان أرض قاحلة ولا أنيس بهـا ولا عمارة فيها ، فكان الغزاة دائمـا سواء كانوا سياسيين أو عسكريين ، يأتون عمـان من ذلك الجانب ، وكأن يوسف بن وجيـه قد تغلغل فى عمـان ، ولعـله أيام ضياع العمانين وغفلتهم عن المملكة العمانية ، فان الذئب له صولة عند غفلة الراعى ، ولكن أذل الله يوسف بن وجيـه بالامام الرحـيلى النزيه ، فانه سحب جيشـه على نزوى فالتقـاه الامام بهـا وتواقعوا ، فأذل الله الجبار ونصر الله الامام والأنصـار ، وخرج يوسف من نزوى خاضعا لسطوة الامام رافعـا يده عن بلاد المسلمين ، مذعنا للأوامر غير معارض للامام وكان الامام على نهـاية حدود النزاهة ، والوقوف على أوامر الاسلام ، فان يوسف ضرب معسكره فى نزوى ، ولمـا هاجمـه جيش الامام خرج هاربا من البيت الذى كان يؤويه ، فيقال ان حلقـة رز باب فقدت من معسكر السلطان ، فاتهم بهـا رجل من جند الامام فعاقبه الامام حتى ردت الحلقة الى أهلهـا ، ولم يجسر أحد من جنـد الامام أو غيرهم أن يأخذ أدنى شىء من أموال هـذا السلطان خوفا من عقاب الامام ، حتى شـاع وذاع بين أهـل عمـان ذلك ، وحتى قـال من قال من أهل الباطل ان الامام وجيشه حفظة لأموال الأعداء ، خير لهم من أن يكونوا منتهبين لهـا ظالمين لأنفسهم فيهـا عاملين بمـا لا يرضاه الله منهم ، ولا فعله رجال الحق فيهم ، والحق أحق أن يتبع ومـا بعد الحق إلا الضلال .

وهـذا كتاب من الامام سعيد بن عبد الله الى يوسف بن وجيـه ، ينصحه فيه ويذكر له فيه حسن حال المسلمين فى السلم والحرب ، وأنهم لا يتزعزعون عن واجبات دينهم ولا يطمعون فى أموال أهـل قبلتهم ، مـا داموا يعترفون بأوامر الاسـلام ويشهدون بمقتضى الشهادتين ، ويستقبلون قبلة المسلمين ويصومون ويحجون ، ولم يصارحوا برد شىء من أوامر الله عز وجل ، وبين له فيـه على جهة النصح والتهديد له القواعد فى الاسلام والواجبات فى الحلال والحرام قال فيه :

من امام المسلمين سعيد بن عبد الله ومن قبله من المسلمين ، الى يوسف ابن وجيه وأن فى شأننا وشأنك لعجب لحلقـة حديد فى رز باب اتهم بهـا رجل من المسلمين ، أو قال من الرعية عندنا أنه قلعهـا من معسـكر أصحابك بنزوى ، فحسبنا الذى اتهم بهـا لأنا نستحل حبس أهل التهم على قدر استحقاقهم فى حكم المسلمين ، وقلنـا للناس جهرا على رؤوس الملأ ان أموال أهل القبلة علينـا حرام كحرمة أموالنا على بعضنا بعض ، وحجرنا على الناس التعرض لأشيائكم ما دق منها ومـا جل ، حتى قال من لا علم له بأصول الدين إنكم الآن حفظة للجنـد على أموالهم ، أى حيث لا تتركون جيشكم ينتهبها كمـا ينهبها جيشهم ، قال ومن ذلك الحبوب التى جمعت فى الأمصـار التى استولينا عليهـا ، وجرى حكمنا عليهـا ، أى على الأمصار المشار اليهـا ، وهذا يدل أن يوسف بن وجيـه امتد له سلطان فى عمان حتى جبى ، قال : لمـا علم الناس منـا أنا لا نستحل شيئا ولا نقار أحدا على معصية الله كائنا من كان من الناس منعهم ذلك من التعرض لأشيائكم — كلهـا أى منعتهم هيبة الحق إذ أيقنوا أن أخذوا شيئا منهـا يعاقبون على مـا أخذوا قال : فلم يتعرضوا لأشيائكم التى كانت بجوارنا كلهـا من بلداتنا ولولا خوف العقوبة منا

لانتهب ذلك بأيسر مؤنة ، والمعنى أن أهـل البغى معنـا مقهورون عن ارتكاب مـا حرم الله ، وفى كلأمة بغاة وأهل انتهـاب وأهل ظلم شأن أهل الدنيـا وأهل المطامع . قال : ولم يكن أى ذلك المنع الذى منعناه تقربا اليك ولا إبتغـاء وسيلة منـا اليك ، ولكنـا اتبعنا فى ذلك كتاب الله وآثار أسلافنا ، أى فى تحريم أموال أهل القبلة كمـا نادى بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن أموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هـذا . حديث .

قال الامام : ومن هـذا الكتاب . قال : وحاربناك محاربة المسلمين ، لأهل البغى حتى تفىء الى أمر الله ، أى أنت باغ من بغـاة المسلمين ، وحرب البغاة منصوص عليه فى الكتاب العزيز نصـا صريحا ، قـال حتى تفىء الى أمر الله ، لا نهـاية لذلك عندنا أو تفنى روحك أو أرواحنا على احياء الحـق واماته الباطل ان شاء الله ، قال : ولا نستحل منـك مالا ولا نسبى لك عيالا ، ولا ننسف لك دارا ولا نعقر لك نخـلا ، ولا نعضد لك شجرا ولا نستحل منك حراما ، ولا نجهز على جريح ولا نقتل موليا تائبا ، ولا مستأمنا إلينـا ولا نغنم ماله ولا ندعوا أحدا يتعـدى عليـه بنفس ولا مال ، فان فعل ذلك أحد بأحد أخذنا له الحق اذا صح معنا ، قال : ومن كان فى يده مال فهو أولى به ، لأنا لا نزيل مالا الا بحجة .

هذا خلاصة مـا فى كتاب الامام الذى صارح فيـه يوسف بن وجيه ، وكشف له عن الغاية فى حربه ، وعن عمل المسلمين فى حرب أعدائهم ، وفيه من النزاهة مـا فيـه ومن الصراحة بغير تمويه ، فكان أمر الامـام الرحيلى فوق أمـر يوسف بن وجيه ، ومتى كف نفسـه عن معارضـة

المسلمين ، فليس للمسلمين رغبـة فى معارضـة من كف عنهم ولم يناصر عليهـم .

وقال العلامة أبو سعيد رحمه الله وهو يصـف عدل الامام سعيد ابن عبد الله قال : وكان من عدله وضـبطه للرعية رضى الله عنه ، مـا يحكى أنه ركض بقومه على حجرة بنزوى أى فى حال حرب يوسف بن وجيه ، ولعلها المقر ، قال فاستفتحها أى الامام ، وفقـد أهلها بعد خروج القوم أى بعد مـا خرج قوم الامارة رزة باب وشكوا اليـه أى الامام فطلبها الامام حتى أتى بهـا بعينها وردهـا اليهم ، قال : ويوجد أن حلقة حديد فى رز باب قطعت ، أو قال : قلعت من معسكر أصحاب يوسف ابن وجيه ، فاتهم رجل أنه قلعها فحبسـه الامام سعيد بن عبد الله ، وكان بذلك بنزوى . قال : ويوسف بن وجيه هو السلطان الذى حاربه الامام حتى غلب عليـه ، وظهر الحق على الأعداء ، فأذل الله الباطل بالامام العـادل ، وأيد الله الحق بالمحق ، وعلا أمر المسلمين فى عمان ، وراح يوسف بأسوأ الأحوال خائفا صولة الامام كافا يده ، وملأت هيبتـه عمان وأشرق فيهـا نور العرفان ، فكان أبو سعيد رحمه الله خزان السجن فمـا ظنك بأهل الأعمال الأخرى ، وماذا تقول فى القضاة والولاة ، وقادة الجيوش ، وقد علمت أن هيبته منعت من مد الأيادى الى مال عدوه العـادى ، وقد قالوا فيـه : ان الله جمع به الشمل وأراح به العبـاد ، وأحيا به البلاد ، وفى ذلك مـا يدل بصريح التعبير عن عمل هـذا الامام الخطير ، والزعيم الأمير ، الذى أولاه الله حسن التدبير ، وشـد عضده بالحق المنير ، حتى أتم الله به على أهل عمان النعمة ، وقامت عليهم به الحجة ، ولله أمـر هو بالغه وحكم هو نافذه وإليه المصير .

وفاة الإمام سعيد بن عبد الله الرحيلى رحمه الله

لما كان لابد للمرء من الموت فأعز موت العبد المسلم الشهادة وهى من الحظوظ المخزونة لأهلها ، فان الأنبياء يودون أن يموتوا شهداء لما يعلمون من الفضل عند الله للشهيد ، وقد صرح القرآن والسنة بذلك تصريحا واضحا جليا ، فكان من فضل الله لنبينا محمد ﷺ أن جمع الله له ذلك ليكون حاله وافرا من جميع النواحى الدينية والدنيوية ، وفى جميع الأحوال أيضا، فمات صلى الله عليه وسلم شهيدا بالسم الذى سمته إياه اليهودية فى ذراع الشاة ، فكمل بذلك حاله حياة وموتا والحمد لله .

وكذلك كانت وفاة امامنا هذا رحمه الله ، قال فى المعالم : وانتخب العمانيون سعيد بن عبد الله وبعد وفاته سنة ٣٢٨، انتدبوا راشد بن الوليد ، فدل أن الامام سعيد مات فى هذه السنة ، قال ابن رزيق : ووجدنا تاريخا للوقعة التى قتل فيها سعيد بن عبد الله رحمه الله سنة ٣٢٨ — قال هذه الوقعة انها كانت امرأة من أهل الغشب مجففة حبا فى الشمس ، فجاءت شاة فأكلت الحب فرمتها أى صاحبة الحب بحجر ، فكسرت يدها فجاءت صاحبة الشاة فضربت المرأة التى كسرت الشاة ، فاستغاثت بجماعتها فجاء احدى من جماعتها ، وجاء أحد من جماعة الأخرى ، فكان كل فريق يغيث فريقه ، وكل يتعصب لأصحابه شأن الفتنة اذا ثارت ، وأولها تكون من الشرر ثم تسير والعياذ بالله ، فالتحم القوم اقتتالا ونشبت بينهم فتنة عظيمة وملحمة شديدة ، فجاء الامام رحمه الله ، وما كان واجبه والمسلمون يقتتلون وهو بين أظهرهم إلا

أن يبادرهم ليكف بعضهم عن بعض ، وهل يمكنـه بل وهل يصـح له أن يسكت وهو امامهم وهو المسئول عنهم أمام الله عز وجل ؟ وماذا يفعل الامام والسيوف تلمع والرءوس تقطع والناس فى أمر مزعج لهم أزهق أرواحهم ؟ وهل يصغى له أحد على هـذا الحال ؟ ومن ذا الذى يلتفت اليـه فجاء اليهم ومعـه بعض العسـكر ليحجزوا بعضـهم عن بعض ويخفضوهم .

ولا شك أنها محنـة والمرء فى المحنـة عليه فسعير الفتنة يشتد ، والقتل يوقدها ، فمـا شعر الناس الا والامام قتل بين أظهرهم رحمـه الله ، فانتقل الى ضحية الشفقة والرحمة للأمة ، وكان ذلك فى سـنة ٣٢٨ ، ولا يدرى قاتله ولعل أحدا له عليه ضغن فاغتنم الفرصة والله سائل كلا عما كانوا يعملون .

إمامة الإمام راشد بن الوليد رحمه الله ورضى عنـه

لمـا قضى الله على الامام سعيد بن عبد الله ، وكان المسـلمون فى حال جامع واتفاق شامل انتخبوا بعده من وقعت خيرتهم عليه وهو راشد بن الوليد رضى الله عنـه ، فكان كاسمه من الخيفاء الراشدين ، والأئمة المرشدين ، قال فى المعالم : انتخبوا رشيدا يعنى راشدا ، وأطاعه الكل ورضى به الجميع ، أى من أهل عمان قال : ثم وقع اضراب فى آخر أيامه ، قال ومال جماعة أى من العمانيين الى حكم الخليفة يعنى العباسى ، قال : فانهزم الامام وفارق أصحابه ، وبقيت عمان تحت حكم الخلافة الى سنة أربعمائة هجرية ، حيث ضعفت الدولة عن ادارة هاتيك البلاد ،هـذا نص مـا قاله صاحب المعالم ، ومثله لشكيب أرسلان ، وأوردنا كله فى محل واحد ، لأنه يمـر على التاريخ العمانى مر السحاب ، وهكذا المؤرخون الأجانب عادة فى تصغير الحقائق العمانية .

قـال ابن رزيق : ثم بويع من بعـده أى بعد بعد الامام سـعيد بن عبد الله راشـد بن الوليـد ، وذلك لما اجتمع المشـايخ عبد الله ابن محمد بن أبى المؤثر ، والنعمان بن عبد الحميد ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن صالح ، وأبو المنذر بن أبى محمد ، وكان هؤلاء فى تلك الجماعة التى حضرت فى ذلك الوقت : هم المنظور اليهم والمشـار عليهم كنحـو مـا كانت الجماعة التى حضرت البيعة للامام سعيد بن عبد الله ، فى زمانهم وأيامهم ، لا تنكر أهل المعرفة فضلهم ولا تجهل عدلهم : ولا يجدون فى حضرتهم من أهل نحلتهم مثلهم ، ولكل زمان رجال ولكل مقال مقام ،

ولكل أهل زمن مؤتمنون على دينهم ، بذلك جاء الأثر فحجة من حضر قائمة على من غاب ، وليس للشاهد أن يغير ولا للغائب أن ينكر ، ولا للداخل أن يخرج ، ولا للقابل أن يرجع ، قال : فاجتمعوا فى بيت كان ينزل فيــه راشد بن الوليد بنزوى : وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبى المؤثر ، قال : فاجتمعوا جميعا على الوقوف عن موسى بن موسى وراشد بن النضر ، والمتبرىء منهمــا جميعا فى الولاية ، حيث ان مسألة موسى بن موسى وراشد بن النضر لم تزل شــاغلة فراغا من الزمن فى عمان ، وبقى لهــا فى القلوب أثر يقدح الشر ويثير الضغن ، ويحرك منهم الشعور وينفر منهم التصافى لبعضهم بعضــا ، فكان من رأى هؤلاء المشايخ المصلحين العاملين لله الداعين اليــه القائمين له بواجبات دينيــة ، وهم إذ ذاك الحجة فى وقتهم اتفقوا على أن من كان وليــا لموسى بن موسى وراشد بن النضر ، ومن كان عدوا لهمــا ان كــان فى الأصــل وليــا للمسلمين يبقى على ولايتــه ، ومن كان موقوفــا فيه فهــو على حــال الوقوف فيــه ، وألا يكلفوا أنفسهم أمــرا غاب عنهم علمــه فاتفقوا على ذلك ورضوا به قال بن رزيق : ثم بايعوا الامام راشد بن الوليد على سبيل الدفاع ، وخرجوا الى الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمان .

قلت : هــذا يدل أن البيعة كانت فى نزوى ، قال ابن رزيق خرجوا الى الناس فى جماعة من أهل نزوى ، ومن سائر أهل القرى من شرق عمان وغربها من العفاف والفضل والجــاه والرئاسة ، مستمعون له مطيعون ، لم تظهر من أحد منهم كراهية ولا نكير ، ثم قام أبو محمد عبد الله بن محمد بن شيخة على رأسة خطيبا بين الجماعة ، فخطب له بالامامة وأخبر

الناس وأمرهم بالبيعة له فبايع الناس له شاهرا ظاهرا لا ينكر ذلك من الناس منكر ولا يغير منهم من مغير ، فدخل الناس فى بيعته أفواجا ، ووفد على ذلك الوفود آحادا وأزواجا وأخذ عليهم المواثيق والعهود ، وبعث العمال والولاة على القرى والبلدان ، وصلى الجمعة بنزوى وقبض هو وعماله الصدقات ، وجيش الجيوش وعقـد الرايات ، وأنفـذ الأحكام وجرت له فيمـا شاء الله من المصر الأقسام ، ولم يبق بلد من عمـان يغلب عليها سلطان ، ونأى عنـه فى تلك الأيام وذلك الزمان الا جرت فيـه أحكامه وثبتت عليه أقسامه ، وأقر فى ظاهر الأمر أنه امامه من غير أن يظهر شيء من سريرته وعلانيتـه فيه شدة ولا غلظة يخاف بهـا ويتبقى ولا هوادة .

قـال الامام رحمه الله : امامة راشد بن الوليد رضى الله عنـه ، ولعدم التواريخ لم أقف معرشـدة البحث على وقت معقـد له ولا على وقت وفاته ، ولا على ذكر شيء من حروبه ، ولم أجد ذكر نسبه إلا مـا وجدت فى بعض القراطيس غير الموثوق بهـا أنـه كان كنديا ، قال : ومـا كان معولهم على الأنساب ، بل على التقوى والفضل والعلم والورع ، وقد أطنب أبو سعيد رحمه الله ورضى عنـه فى وصف راشـد بن الوليد رحمـه الله .

التعريف بالإمام راشد بن الوليد

اعلم أن راشد بن الوليد رحمـه الله كان من أخيار أئمـة أهل عمـان علما وعملا ، وتقوى وعواطف دينية وصفاء ود ورشد وصـلاح ، كان على المتدال كنديا من أهل نزى ،.وكان على جانب قوى من التقوى ، وعلى محل رفيع من الدين والهدى إلا أنه لم يكن من اليحمد ولا من الأزد ، وإنمـا كان عبد الله صالحا مصلحا راضيا مرضيا . قال فيـه الامام أبو سعيد الكدمى رضى الله عنـه : كان رحمه الله لرعيته هينا رفيقـا بآرائهم شفيقا غضيضا عن عوراتهم ، مقيلا لعثراتهم بعيد الغضب عن مسيئهم قريب الرضا عن محسنهم محاويا فى الحق بين شريفهم ودنيئهم وفقيرهم وغنيهم وبعيدهم ، منزلا لهم منـازل منفقدا لأمورهم وأحوالهم مشاورا منهم لمن هو دونه ، قابلا من مشاورتهم مـا يأمرونه به يتجشم من رعيته الصبر على الكروب ومفارقة السرور والمحبوب ، ويصـبر منهم على الشتم والأذى ويسمع منهم الخنا والقذى ، قلت : إن أمة يسمع منها امامها مثل هـذا ويفضى بحالها الى أن يلقى امامهـا الشتم والأذى ، والخنا والقذى فأى مصير لأمة هـذا شأنها ، وأى عاقبة لقوم هـده أفعالها ، انى أحرر هـذا الكلام من وصف هـذا العالم الزاهد الرضى ، والولى التقى وأنا أهتز رعبا وأندهش رهبا من الله ، كأن العـذاب يتدلى على رأسى وكأنى أنا وتلك الأمـة فى لجة الخطر ، انهـا لداهية دهيـاء وحياة عمياء يسىء أهلهـا فى الزاوية الخالية يتسكعون فى الخطر المرتقب ، فان الله يغـار لعبده المؤمن مـا لا يغاره الوالد الحنون علىولده ، قال أبو سعيد فى امامة بن الوليد : وكان الظاهر الايمان عليه شواهد الفضل والاحسان ناهيا عن الشر والبهتان صادق الفعال واللسان ، ورعـا عن

المحارم مجتنبا عن المآثم ، عاملا بمـا علم ، سائلا عمـا نزل به ولزم ، متواضعا لمن هو فوقه ، متعطفا لمن هو دونه ، كاظما للغيظ بعيـد الغضب ، سريع الرضا محتملا للأمة، حريصا على اصلاح المسلمين رءوفا رحيما بالمؤمنين متوشحا بكريم الأخلاق صبورا عند مضائق الخنـاق ، مستقيما على الحقيقة قاصدا الطريقة ، فرحم الله تلك المهجة ، وتلك الأوصال ، وتفضل علينـا وعلية بالمن منـه والافضال وجمعنا واياه على جزيل ثوابه وكرامته ، وفعل ذلك لكل مؤمن ومؤمنة إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وسلم .

هـذا هو راشد بن الوليد يعرفنا به الامام أبو سعيد ، وقد وصفه بتلك الأوصاف التى لا تكاد أن تكون إلا لنبى مرسل ، ولقد علمنا راشد ابن الوليد من هـذا الثناء الحميد .

قال الامام : هـذا كلام أبى سعيد فى نعته والترحم له ، وناهيك برجل يصـفه ، أو قال يثنى عليه أبو سعيد هـذا الثنـاء ، والخلق شهود الله فى أرضـه ، وأخيارهم حجة الله التى يعول عليها أهل الحق فى الناس ، فمن أثنوا عليه خيرا كان أهلا للخير وهكذا الغير ، وهنـا كلمة يزدان بهـا التاريخ قال الامام : وذكر أبو سعيد من سيرته مـا سنذكره ، قال : ولو أن أبا سعيد ذكر هـذا الطرف من سيرته لغـاب عنا علمه كمـا غاب عنا علم غيره من الأئمة ، وذلك كله لاهمـال التاريخ ، وقلة الاعتناء به ، وان للتاريخ فضلا عظيما لا يقدر قدره .

قلت : نعم وأنا أشهد أن علماءنا أضاعوا قسما مهمـا من الثقافة التى لهـا عند غيرنا الأهمية الكبرى ولولا مـا حرره الامام السالمى رحمه

الله من سيرة سلفنا الصالح ، ومـا لقوا فى سبيل الدعوة من الخطب الفادح لمـا كنا نعلم عنهم شيئا ، ولا ندرى على أى وتيرة مضوا ، ولا بأى شىء فى سبيل الحق قضوا ، ولمـا خرجت تلك الرسالة الوجيزة واطلع عليهـا رجال الدين ، وعلموا كيف كان سبيل المؤمنين ، ومـا كان لهم من المجد فى الغابرين اهتزوا لهـا طربا وهشوا لذكرها رعبـا ، ورأوا كأنهم ينظرون أولئك الأئمـة بمين الحقيقة ، وكأن عملهم ذلك بارز بين أيدينـا ونحن نؤيد العدالة فى أحلى حللهـا الطاهرة ، ونعزز تلك السيرة الزهراء بكل مـا لنـا من شعور ، فقد أفادتنا فائدة بل فوائد هـامة ، وأرشدتنا مراشد عامة ، وليتنا نجد من يقول لنـا ردودا من ذلك المعين الصافى ، واسلكوا ذلك الوافى ، فرحم الله أبا محمد خاتمة العلماء الفطاحل ، الذى اذا هز عصـاه فى كفـه ترتعد منها فرائض رجال يعدون أنفسـهم الأقوياء على كل شىء ، ولقد كان فيصل الحق والبـاطل ، فدعنى من أقوام لا يرون الا مـا بين أيديهم انى لأفتح عينى حين أفتحهـا على كثير ، ولكن لا أرى ، ولله در ابن دريد حيث قال :

والنـاس ألـف كواحـد
وواحد كالألف إن أمر عنـا

ولله در أبو مسلم رحمه الله ، ومـا قاله فى مقصـورته ، ومـا ذلك وأيم الله إلا لثقـة وقوته القلبيـة بتعلقه بربه ، وإلا فهـو كان ضعيفا من جميع النواحى ، كان فقيرا وضريرا من عشيرة مستضعفة ، ولكن من كان الله معـه كان غنيا وقويا وبصيرا ومؤيدا منصورا ، كان هـذا الحر كذلك ولم يكن له من عمره اتسـاع للتضـلع بسـائر العلوم ، بـل كان فقيهـا شرعيا وعلامة دينيا صادقا مخلصا لله فى جميع أحواله ، ولذلك

لم يتمكن من سائر العلوم لأنه كان ضريرا اذ لم يحضره قارئ للقراء أو للمطالعة ، محى نجما يتسأوه على ما مضى من عمره فى غير مـا هو بصـدده .

ولذلك ترى الشيخ أبا اسحاق الأطفيشى يقول فيه كان من علمـاء الشريعة ، ولم يكن من العلماء السياسيين رحمـه الله ، وذلك تراه يطلق ألفـاظ العامة فى تاريخه ، مثل حربه وخشى مـاله وتقع فيـه ونحو ذلك من الاصطلاحات العامة مراعيا فيهـا السواد العام فى عمان الا أن بقية الناس الأجانب يجهلون ذلك فتتبادر أذهانهم الى مـا تعطيه تلك العبارات ، فيرون ذلك فى واد ومعنى مـا أراد الشيخ فى واد آخر ، ولذا ترى فى تعبيره مـا يجهله الكثير من الناس ، ثم اذا أخذ اللفظ عن أناس يضـعه كمـا هو ، وان كان عن العوام وكان ينبغى أن يضـعه فىقالب السـبك الصحيح كمـا هو ، والظاهر أن عهده رحمه الله كان ضيقا لم يتسع لمـا يحاول رحمـه الله ورضى عنـه ، وله نيتـه وقد أشار الى مـا قلنا بنفسه فى طالعة تحفته القيمة فجزاه الله عما فعل وعمـا نوى أفضل الجزاء انه كريم رحيم وقد بذل الجهد الجهيد ، فى تحرير التاريخ العمانى وابرازه الى عالم الوجود ، فتراه يلتقطه حتى من الحجر والمدر ومن المكتوب على الأبواب ، ومن التعاليق والاضافات المضافات الى الكتب والمؤلفـات وبعضه من السنة الناس وأقاصيصهم حتى جمع مما أورده تحفـة للناس ، وأى تحفة هى أنهـا لثمينة عند أهلهـا وعزيزة عند رجال الحق وقد تحرى مـا جهل واعتذر عنه غيره .

وإن عـاب عين الشمس أعمى فانه

جهول لنفس العيب اذ فيـه قد نزل

ألا تراه يقول فى امامة راشد بن الوليد رحمه الله : ولعدم التواريخ لم أقف مع شـــدة البحث على وقت العقـــد له ولا على وقت وفاته ، أيتوفى امام كراشد بن الوليد ولا يوجد تاريخ وفاته مع أن الأمم الأخرى تعقد احتفالات سنوية لتجديد أخبار عظمائها ، وهل عظماؤنا نحن إلا أئمتنـــا الكرام وعلماؤنا الفخام ، وأهل الحق فى الاسلام ، أترون عظماءنا الجبابرة العتـــاة أم الفجرة الطغاة ؟ حاش لله ، ولكن سقوط هممنا وتقصيرنا فى الحقوق أخرنا تأخيرا حسيا ومعنويا وقضى علينـــا بحكم الأميـــة فينـــا بسبب مـــا قلنا ، قال الامام : قال أبو سعيد : كانت بيعـــة راشد بن الوليد رحمه الله على الدفاع ، قال وأول من بايع له أبو محمد عبد الله بن محمد بن المؤثر مع جماعة معـــه هم فى زمانهم كأمثـــال الذين بايعوا لسعيد ابن عبد الله ، ثم ذكر منهم أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد ، وأبا محمد عبد الله ابن محمد بن أبى شيخة ، وابا عثمان الدمشقى بن راشد ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن صالح ، وأبا المنذر بن أبى بن محمد بن روح قال : وقد كانوا عرفوا من بعضهم بعض تعاتبا فى أمر موسى بن موسى وراشد بن النضر فلمـــا عزموا على عقـــد الامامة لراشد بن الوليد تداعوا الى الاجتماع على سبب يعرفونه فى ذلك ، فاجتمعوا هم وغيرهم إلا أبا مسعود النعمان بن عبد الحميد ، فانه لم يحضر ذلك العقد فاجتمعوا فى بيت كان ينزل فيه راشد بن الوليد ، وكان المقدم فيهم أبو محمد عبد الله ابن محمد بن أبى المؤثر ، فاجتمعوا جمعيا على أن الواقف عن موسى وراشد والمتبرىء منهما جميعا فى الولاية وأنهمـــا جميعا مؤتمنان على دينهما فى ذلك لم نعلم من أحد منهم أنه برىء بغير حـــق ، أو وقف بغير حق ، ثم بايعوا بن راشد الوليد على طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليـــه وسلم وآله وسلم ، على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى الجهاد

فى سبيل الله وعلى سبيل الدفاع ، وعلى اتبـاع سبيل أئمـة العدل قبله قسطا وعدلا .

قال ، وعلى هـذا بايعه أبو محمد عبد الله بن محمد فى المنزل الذى كان ينزل فيـه من نزوى ، ثم بايعه من بعده أبو مسعود على نحو مـا بايعه أبو محمد ، وبايعه الجماعة على نحـو من ذلك ،وقبل منهم البيعة وخرجوا على الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمـان ومن سائر القرى من شرق عمان وغربهـا : انظر أيهـا القارىء الكريم الى هـذه البيعة لشرق عمان وغربها ، ولمـا جاء السلطان الجائر المحتل للبيضة ، الهادم شرف الدين الأباضى ، أصبح أهل عمـان ينفضون أيديهم من بيعتهم ، ويلقون بامامهم وراء أظهرهم بغير موجب ، مـا هذا البلاء الذى يقوده الناس على أنفسهم ويجرونه عليهم برغم مـا هم عليـه من العزة والمنعة والحرية والكرامة ، وأصبحوا تحت راية السلطان الجائر الغاشم المحتل للعزة والكرامة ، وعهد الله ألقوه فى الحضيض وراحوا يتبعون سلطانا غشوما هل كان لهم أفضل من امامهم أو أصلح منه أو أكرم أو أنفع لهم فى دينهم ودنياهم أو أعزلهم : انهـا لمن الدواهى فى الدين ومن الفضائح فى الشرف والحرية ومن الأحدوثة السيئة فى التاريخ العربى عامة ، وفى التاريخ العمانى خاصة، فانك سوف ترى الحال فى مقامه .

قال صاحب المعالم : وفى عهد الكندى هـذا جهزت الخلافة جيشـا لاسترداد عمان ففر الكندى ، وانتخب العمانيون سعيد بن عبد الله وبعد وفاته سنة ٣٢٨ انتدبوا رشيد أى راشد بن الوليد ، وأطاعه الجميع وحصل اضطراب فى آخر أيامه ، ومال جماعة الى حكم الخلافة فانهزم الامام وفارق أصحابه ، وبقيت عمان تحت حكم الخلافة الى سـنة ٤٠٠ أربعمائة هجرية ، حيث ضعفت الدولة فى بغداد عن ادارة هاتيك البلاد .

خروج سلطان الجور على الإمام راشد بن الوليد

قال الامام رحمه الله : ولعل هـذا السلطان كان من عمـال بنى العباس لمـا قدمنا من اعتنائهم بعمان بعد دخول بن بور فيها ، ولم يسموا هـذا السلطان الجائر واكتفوا عن اسمه واسم قبيلته ، ومـا كان ينبغى لهم هـذا حتى لا يعرف هذا السلطان من أى الأمم ، والواقع أنـه من البويهيين الذين سيطروا على الخلافة العباسية ، وجعلوا لهم اسم السلطان وللأمير العباسى اسم الخلافة اسما فقط لا معنى له إلا أنه فى بيتـه خائف يترقب ، لأن بنى العباس استخدموا البويهيين كقواد وضباط ووزراء ، وكذلك استخدموا البرك فكان من رأيهم سحب الخلافة أصـلا من هؤلاء وإلحائهم من الأمر كمـا يلحى القضيت ، وجعلهم الكرة وهم الصولجان ، ومشوا فيهم على هـذا حتى أخرجوهم من الأمر كله ، ولم يتركوا لهم حتى الاسم ، وفعلوا فيهم الأفاعيل التى أضحت عبرة للمعتدين ، وسبب ذلك ظلمهم وجورهم وتركهم أوامر الله عز وجل •

ويبتدى دور بنى بويه فى الخارج سنة ٣٣٢ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وكان هذا السلطان الخارج على الامام راشد بن الوليد ركن الدولة بن بويه ، قال العلامة الدميرى فى تاريخه : وفى أيام الطائع لله استولى على الملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه فملك بغداد • قال : وخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية وتوجـه وطوقه وسوره وعقـد له لواءين وولا مـا وراء بابه ، قال وتسلم عضـد الدولة الوزير أبا طاهر بن بقيـة وزير عز الدولة فقتله وصلبه ، وهو الذى رثاه أبو الحسن الأنبارى بقوله :

علو فى الحيـــاة وفى الممات

الأبيات الغرا .

قال : وكان لعضد الدولة ملك العراق وكرمان وعمان وخوزســـتان والموصل وديار بكر وحران ومنبج ، والمعنى أن القواد تقاسموا الملك وكانوا قد جعلوا للخيلفة الاسم أن اكتفى به وإلا رأى الهلاك فى أهداب عينيـــه ، ولو كنا معنيين بتاريخ هؤلاء لرأى النـــاس العجب ، وعرف العاقل مصير أهل الظلم والبغى فى الدنيا قبل الآخرة ، والله المستعان .

طغى بنو أمية وكانوا الأصـــل فى الطغيان ، ثم تلاهم بنـــو العباس وزادوا عليهم وانتهكوا الحرم الى أقصى غاية ، وانسلخوا من الدين انسلاخ الحيـــة من اهابهـــا وأصبحوا فى أيدى الأعادى ألعوبة ، إذ كانوا قياصرة وأكاسرة ، ثم صاروا فى الكون عبرة بعد تلك العزة الشاهرة الظاهرة ، ومضوا لا الزمان عنهم براض ولا أنا ولا أمثالى .

وكان البوهيون من العنصر الديلمى والديلم من الفرس ، وهؤلاء هم أعداء الاسلام هم والترك والروم ، ولهم فى الاسلام نوايا سيئة لمـــا أمكنهم الفرصة على الاسلام لم يضيعوها ، بل قاموا بهـــا فى نشـــاط وزادوا فوق الغرض الاحتياط ، وبقى التنافس بين الذين كانوا قوادا ووزراء يتناهبون الملك ويتقاسمونه ، وكانت المملكة الاسلامية واسعة الأرجاء كثيرة الأموال ، فكان عضـــد الدولة إذ جاء عمان جاء قويا غنيا والغنى هو القوة الفعالة ، ولا قوة كقوة المـــال اذا تولته الرجال الأبطال ، لا اذا تلاعبت به الأراذل والأنذال ، فان غايتـــه الاضمحلال ، وأصل الدولـــة

البويهية الحسن بن على بن بويه وأولاده الثلاثة عماد الدولة وركن الدولة وهو الحسن ، ومعز الدولة ، قال الدميرى ولما ولى الخلافة عبد الله المستكفى بالله قدم اليه معــز الدولة بن بويه فى بغداد ســـنة ٣٣٤ أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ودخل عليـــه رجلان من الديلم فمــد يده ليصافحهما ويقبلاها كمـــا هى عادتهم لآبائه ، قال فجذباه من على الكرسى وقاداه بعمامته فى عنقـــه ، ثم سحباه الى معز الدولة واعتقل وسملت عيناه وانتهبت دار الخلافة لثمـــان بقين من جمادى ســـنة ٣٣٤ ، وبقى معـــز الدولة الى ســـنة ٣٤٣ أى هذه الحادثة تسع سنين ثبتت فيهـــا دعائم البويهيين فى العالم العربى .

وذكر العمانيون دخول سلطان الجور على الامام راشد بن الوليد ولا يعرفون هـــذا السلطان حتى يعلم من أجناس الأمم . قال الامام : وذلك أن سلطان الجور قد خرج عليـــه حتى نزل السر، قلت : قد قدمت لك أن الغزاة يأتون عمان من الجهة الغربية ، فهى مفتاح قفل الباب العمانى منـــذ ذلك العهد .

خروج رعايا الامام لملاقاه السلطان

لمـا تحقق خروج هـذا السلطان على عمـان تقاعس العمانيون عن القيام لصدده لا أدرى أمن وطأة العدل التى أحس بهـا بغاة أهل عمان ؟ أم الطمع يرونه عند هـذا السلطان القادم على بلادهم ؟ أم استولى الخوف والذعر عليهم لضعف ايمانهم ؟ واذا بهم يتقدمون الى السلطان المشار اليه تقدم خضوع وطاعة وانقياد غير ناظرين الى امامهم ولا مراقبين عهد الله فيه ، ولا مـا حملوه على أعناقهم من بيعتـه ، ولاناظرين الى مذهبهم القويم وصراطهم المستقيم ، وهـذا من العجب العجاب ، قال الامام : وخرجت رعايا الامام لظاهرته أى لظاهرة السلطان ومعاونته ، واستدل لك على هـذه القضايا بأقوال الامام قبل غيره لعلمى باعتمـاد العمانيين على نقله وروايته ولحبهم له . قال : ونبذوا عهـودهم وراء ظهورهم ، قال : فخرج الامام فى طلبهم ليردهم فلحقهم ببهلى ، وأراد أن يردهم فأبوا وأراد أن يقهرهم على الرجوع فعصوا وأظهروا له العداوة والعصيان ، وخرجوا معاندين الى السلطان . قـال : فبقى الامام فى الضعفاء من أصحابه ، قلت : هـذه الجمل التى ذكرهـا الامام عنهم سهام قاتلة وقنابل مدمرة لابد أن يتأثر منهـا الامام بالفشل ، والسلطان بالنصر والظفر ، بل هى أكبر نصر له على أهل عمـان وامامهم ، وانهـا لمن الدواهى فى الدين قال : فبقى الامام فى الضعفاء من أصحابه بعد أن خذله الأكثر منهم ، فرجع الامام منكسر الخاطر واهى الارادة يرى علامة الخذلان تبـدو سافرة الى أن وصل كدم من أعمـال بهلى عـلى غير المراد ، ورأى أنه أخذ بالحزم أى لنفسه وللشر ذمة الباقية معه ، وبهلى كانت احدى امارته ، فاذا هو يخرج منهـا مسلما لهـا الى رغبة أهلها .

قال ثم جاء السلطان بمن معـــه حتى دخلوا الجوف فخاف الامام ومن معه لقتلهم ، قال : فانحاز بهم الى وادى النخر استبقاء منـــه على من معـــه من ضعفاء المسلمين ، ودعا الى حرب السلطان من أجابـــه واستنصر بمن قدر عليه ، فجيش أنصـــاره وأعوانه ، وجهزهم الى حرب السلطان ، وقعـــد هو ومن لا غنى له عنـــه بمشورة من أشار اليه بالتخلف من اخوانه رجاء منهم لبقاء رايتهم ، مـــا بقى امامهم .

وكان موقفـــه غير بعيد عن موضع القتال ، وكان السلطان بنزوى . قلت : هـــذا يدل أن جيش السلطان زحف على الامام إذ كان الامام فى وادى النخر من جـــهة الحمرا ، والسلطان فى نزوى فدل ذلك أن جيش السلطان قصد الامام ليعدم حركته ، ويقضى على امامته تماما حتى يأمن جانبه وأعيان الدولة وزعماؤها قد أصبحوا تحت قدم السلطان ، وأصبح هو يتربع على عرش نزوى آمنا مطمئنا ، فأين النخوة العربية ؟ وأين العزائم الايمانية ؟ وأين الغيرة الدينية ؟ نعوذ بالله ، لقـــد أصبحت تذروهـــا الرياح ، وعلى كل لابد لهـــذا الانقلاب الزائغ من أسباب للعمانيين ، ولابد عليه من عقاب ، فاما أن يكون امامهم محقا وقد تركوه على ذلك ولابد أن يعاقبهم الله على تركه ، وهو على الحق وهم جميع ، وامـــا أن يكون امامهم مبطلا ، وقد عرفوا بطله ولم يقوموا عليه لرده عن بطله وارجاعه الى دائرة الحق تائبـــا الى الله مما ارتكب ، فكذلك مع الله ، وقد شملهم مع قوله عز وجل : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس مـــا كانوا يفعلون) .

والواقع أن الامام راشد بن الوليد من خيرة أئمة أهل عمان ، وقد بايعـــه العلماء الأجلاء الذين ذكرناهم وهم حجة قومهم وعمدة دينهم ، وهم أئمة العلم وأركان الرشد والايمان ، فمـــا لهذا الخذلان الذى خذلوا

به امامهم وأزالوا به من أيديهم سلطانهم ، وقادوا به ذلك الظالم الجائر الجبار المخالف للدين ، المباين لمنهج المسلمين ، من أعداء الاسلام ومن شر الأنام ، يا حسرتى على مـا كان فى ذلك الزمان • قال : فالتقت سرية الامام بجيش السلطان ، فنشب بينهم القتـال وانهزمت سرية الامام ، وتفرقت جماعته ، وزالت رايته ، وكان ذلك ضحوة النهـار ، فمـا كان العشى من ذلك اليوم حتى تفرق عنـه جميع من كان معـه ، فاستولى السلطان الجائر على جميع عمـان الداخلية ، وقد ألقت عمان مقاليدهـا اليه قبل أن يتغلغل فيهـا ، فكيف به وقد نزل فى القلب منهـا وأخرج جيشه تابعا للامام فى وادى النخز غربى الجبل الأخضر ، وانهزم جيش الامام ، وبلغ الكتاب أجله فى عمان •

قال : وبقى الامام فى رؤوس الجبال خائفا يترقب ، أى يترقب القتل أو القهر من أهل عمـان ، فيقودونه الى السلطان ليتقربوا به اليه ، والله المستعان • قال : فطالع فى أمره واستشار ، وأخذ بالرخصة من قول الأخيار ، ان المدافع تسعه التقية اذا خذلتـه الرعية ، قال أبو سعيد : وذلك ممـا لا نعلم فيه • قال : فألقى بيـده الى منزله فأرسل اليـه السلطان رسولا يعطيه منـه الميثاق والأمان • قال : فأعطاه ذلك بلسانه ، قال : ولم يبلغنا بحمد الله أنه عرضه ليمين ولا كان الى باب السلطان من الوافدين ، وانمـا السلطان وصل اليه واضطره الى ذلك وجبره •

ومن نكد الدنيـا عن الحر أن يرى عدوا له مـا من صداقته بد •

قال : فزالت معنا بذلك امامته ، وثبت للعذر الواضح ولايته ، قال : فلبث بعد ذلك قليلا محمودا ، ومات عن قريب من ذلك مفقودا • قلت : لا أبرىء أعداءه من أن يكونوا هجموا عليه ، ليطمئن سلطانهم من المحذور الذى ربما

عساه يقوم على السلطان وعلى الداخلين فى دولته ، إذ كلهم أصبح عدوا للامام ، وكلهم يخشى منـــه القيام ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

هـــذه هى حالة الامام راشد بن الوليد الامام الرضى الرشيد ، أوقعه أهل عمان فى شبكهم وأضاعوه الى ملكهم ، وأصبح أحدوثة السمر ، يجرى دم الأسف عليهفى عروق أهل الايمان بأحر من الجمر فهو لم يفعل شيئا يخالف المقصد الصحيح ، ولا تطاول عليهم فى شىء من خصائصهم ، كان كواحد منهم لا يختص بشىء عنهم ، فما بالهم يتركونه كالشىء اللقـــا لا مرحمة ولا مروءة ولا احترام ولا محاذرة عار ، ان الناس كانوا إذ لم يردهم ايمان يردهم سوء الأحدوثة ، بل كانوا فى جاهليتهم وهم كفار يخافون سوء الأحدوثة ، وأحاديث العـــار بعدهم وكم لهـــذا من شواهدهم ، فمـــاذا فعل الامام الراشد ؟ علمنا أنه هو مبتلى بمـــا وقع فيه ، فمـــا بال قومه يعاملونه بهـــذه المعاملة لسلطان أجنبى من جميع نواحيه ، انا لله وانا اليـــه راجعون .

قال الامام أبو سعيد الكدمى رحمه الله وهو يصـــف راشد بن الوليد : وكان فى عامة أموره غريبا معدوما ، ولم يكن عند أحد من أهل الخبرة ملوماً ولا مذموما ، فجزاه الله عن الاسلام وأهله ، لمـــا قد قام فيـــه من حقه وعدله ، وعنـــا وعن جميع من عرف صحيح فضله، مـــا جزى اماما عن رعيته وأخا بصحيح اخوته أ هـ .

هنـــا ينظر العاقل المفكر فى سير الحوادث فى الأمة ، ومجرى القضايا الملمة ، لأنالله لم يهمل شيئا بلا ارتيـــاب ، ولم يقض أمرا بغير أسباب ، فمـــا هى الأسباب التى جعلت أهل عمـــان على سحب أمراس الضلال

من رجال لم يكونوا من المذهب ، ولا من الوطن ، ولا من الجنس لم أجد لهـذا السؤال جوابا لأن الإمام راشد بن الوليد لم يقصر فى شىء من أمور الدين ، ولم يمد طرفه الى شىء من أمور الدنيا .

والذى أظنه أن العلة لتتـه من الرؤساء لعلهم تحققوا منـه عدم نيل مطلوبهم ، وآيسو الدية من حصول مرغوبهم ، فضاقت صدرهم بذلك ، لأن ذلك غاية مطلوبهم هـذا الذى أظنـه ولا يبعد أن يكون هو الواقع ، فتولى السلطان المذكور البلاد ، وعاث فى الأرض بالفساد ، مصداقا لقوله عز وجل : (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهـا أذلة وكذلك يفعلون)، فكان هـذا السلطان الجائر يدوس الديانة ويفحش فى الأمانة ، ويبث فى الأمة داء الخيانة ، فأصبحت عمان دار كفر نفاق .

قال الامام : وذكر المضيف على بيان الشرع أنه وجد أن دار عمان صارت دار كفر نفـاق ، لا كفر شرك لعشرين يوما من ربيع الآخر سنة ٣٤٢ اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وهـذا الوقت وقت غلبة سلطان الجور على عمـان ، وخذلان أهل عمان لامامهم راشد بن الوليد فيمـا يظهر من سياق التاريخ ، قال العلامة أبو اسحاق ، رحمه الله : والمراد بكفر النفاق هو كفر النعمة ، وانما سمى كفر النفاق لأن صاحبه أقر بالاسلام وأخفى الشرك ، واعترف بالعمل فخان فيه ، فكان كالمنافق أقر بالاسلام واضمر الشرك ، وتسمية الخائن فى العمل منافقا واردة فى الحديث على لسـان الشارع فى قوله ﷺ : أربع من كن فيه فهو منافق ولو صلى وصام ، وزعم أنه مسلم اهـ .

ولا يخفى على العاقل أن السلاطين لا يرون إلا الدنيا ومـا يرجون غيرها إلا مـا شاء الله من الناس ، فلذلك تراهم لا يهتمون بأمر الدين ، وكيف لا تكون عمان دار نفاق وهـذا فعل أهلها ، وذلك سلطانهم نعوذ بالله من سوابق الشقاء ، وأرى الامام راشد بن الوليد أنه كان رجلا غلب عليه سهام قومه، واجترءوا عليه وقد قيل :

أظن الحلم جـر على قومى
وقـد يستضعف الرجـل الحـليم

والمقصود من هـذا أن الامام لا ينبغى له أن يتوغل فى الحلم الى حيث يفضى به الحال كهذا الامام رحمـه الله ، فانى لم أجد له سيئـة يستوجب بهـا العتب على مـا كان عليه ، هـذا ما أورده الامام السالمى رحمه الله عن الامام راشد بن الوليد ، مع تعليقنا عليه ممـا وجدناه عن أهل العلم ، أدركناه من مقتضى الأحوال الواقعة ، وهـا نحن نسوق هنا مـا قاله ابن رزيق الشـاعر المتأخر تنديدا بهؤلاء الفاعلين فى امامهم هذه الأفعال ، واعلاما لمن يأتى من الرجال ليكونوا على حرية الدين ، وعلى مروءة أهل الايمـان ، وعلى سبيل أهل الحق وان عضهم الدهر بنابه .

قال ابن رزيق : ثم بايعوا الامام راشد بن الوليد على سبيل الدفاع ، وخرجوا الى الناس بالبطحاء من نزوى فى جماعة من أهل عمان من نزوى ، ومن سائر القرى من شرق عمـان وغربهـا ، من أهـل العفاف والفضل والجـاه والرئاسة ، أى اشترك هؤلاء كلهم فى البيعة للامام المذكور ، ثم قال كلهم مستمعون له مطيعون ، لم تظهر لأحد منهم كراهية ولا نكير ، ثم قام عبد الله بن محمد بن شيخة على رأسه خطيبا بين الجماعة ، فخطب

له بالامامة وأخبر الناس وأمرهم بالبيعـة له ، فبايع الناس له شاهرا ظاهرا لا ينكر ذلك من الناس منكرا ، ولا يغير منهم مغير ، ودخل الناس فى بيعته أفواجا ووفد على ذلك الوفود أفرادا وأزواجا ، وأخذ عليهم المواثيق والعهود ، وبعث العمال والولاة ، على القرى والبلدان ، وصلى بنزوى الجمعات ، وقبض هو وعماله الصدقات ، وجيش الجيوش وعقد الرايات ، وانفـذ الأحكام ، وجرت له فيمـا شاء الله من المصر الأقسـام ، ولم يبق من عمان لم يغلب عليه السلطان ، ونأى عنـه فى تلك الأيام ، وذلك الزمان إلا جرت فيـه أحكامه وثبتت عليهم أقسامه أقر فى ظاهر الأمر أنه امامه من أن يظهر شىء من سيرته ولا علانيته ولا سريرته شـدة ، ولا غلظة يخاف بهـا فيتقى ، ولا هوادة ولا ميل يطمع فيه بذلك ويرتجى ، فيصانع عن تقية وينخدع لطمع أورجية ، بل كان رحمه الله لرعيتـه رفيقا وبآرائهم شفيقا غضيضا عن عوراتهم مقيـلا لعثراتهم بعيد الغضب عن مسيئهم ، قريب الرضا عن محسنهم مساويا فى الحق بين شريفهم ووضيعهم ودنيئهم ، وفقيرهم وغنيهم وبعيدهم وعشيرهم ، منزلا لهم منازلهم متفقدا لهم فى أمورهم وأحوالهم ، مساويا لمن هو دونه منهم ، قابلا مشاورتهم بمـا يأمرونه فلم يزل رحمـه الله على ذلك يتجشم من رعيته الصـبر على المكروب ، ومفارقة السرور والمحبوب ، ويصبر على الشتم والأذى ويسـمع منهم الخنا والقذى ، وهو يتأنى فى تلك الأمور يرجـو من الله الدائرة على أهل الاحن تدور ، كثير من أهل مملكته وعصره يتربص به الدوائر ، ويسر له أقبح السرائر تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ، وما تخفى صدورهم أكبر ، من الغل والحسـد أعظم وأكثر ، قد استحوذ عليهم الشيطان ، وغلبت عليهم الشنئان حتى آلت عليـه الأمور ، وجرى عليه من الله المقدور ، أن ظهر من عامة رعيتـه التخلف عنـه والخذلان ،

وظهر من عامة خواصه المعاندة والعصيان والمداهنة عليه السلطان ، والمباشرة لــه بالقلب واللسان ، وخرجوا الى السلطان مظاهرين ، وتألبوا عــلى ذلك متناصرين ، فمنهم على ذلك جبر ، ومنهم قسرهم على التخلف عن ذلك قسرا ، ووقع بينــه وبين عامتهم العداوة والشحناء ، وفارقوه على ذلك من قرية بهلى ، وقد سار السلطان بالسر مقبلا وهو من الضعاف فى نفــر أقلاء ، قد انفضت جماعتهم وصحت معــه عداوتهم ، وانمــا خرج من نزوى فى ردهم عن خروجهم فى حرب العــدو المقبل ، فلمــا رأى مــا نزل به من الخذلان ، وبان له منهم من العداوة والعصيان ، واستضعف نفســه ومن معــه ، وخاف أن يدهموه بالمكان ، تحيز من معه من بهلى الى كدم ، ورجا أن يكون استوثق لنفســه واحتزم ، فلم يزل بكدم حتى صح معــه أنهم دخلوا الجوف فداخله ومن معــه لقلتهم الخوف ، فانحرفوا هنالك الى وادى النخر ، ودعا الى حرب السلطان من حضره ، واستفز على من قدر عليه ، ونصر واجتهد فى ذلك وصبر ، ودعا الى ذلك واستنصر ، وراح فى ذلك وكر وأقبل فى ذلك وأدبر ، فأمده الله بمن أمــه ، فأبلى بهم طاقته وجهده ، فجيش لهم أنصــاره وأعوانه ، ومن لا غنى عنــه من خاصته واخوانه وقعد بهم فى مكانه وكان السلطان وأعوانه بنزوى نازلين ، وكان تخلفه عن الحرب برأى من حضره من اخوانه ، وأهل شفقته وأعوانه ، ورجا فى تخلفه عن الخروج للاسلام وأهله ، وقــوة لعدله ونصره •

وكان تخلفه من الجيش الذى بعثــه السلطان الجائر بنزوى قريبــا من المجازة على عقبة فتح لم يكن منهم ببعيد ، فأتى الله المقدور مــا قد علم الله أنه اليه تصير تلك الأمور ، فهزم أنصاره وغلبوا وولوا عنــه وأدبروا معــا ، وهربوا فانفضت هنالك جماعته ، وزالت رايته وخرج

مخذولا مغلوبا خائفا ، يترقب مظلوما فكان ذلك ضحوه النهـار ، فلم يكن العشى من يومه حتى انفض عنـه جميع من كان معه ، ووقع فى الغلبة وآيس مع ذلك من نصر الناس .

فاستولى السلطان الجائر على جميع النواحى والبلدان ، وأقبـل الناس كلهم للصانعات ، وأقبل السلطان الجائر اليهم بالسرية والمداهنات ، حتى دانت له جميع النواحى ، والامام خائف فى رؤوس الجبـال والمساقى مشفق من السلطان والرعية ، يترقب فى كل موضع نزول المنيـة ، وأن تدهمـه فى مرقده ومنامه ببلية ، وأصـبح خائفـا على نفسـه وماله هارب من دارة وعياله ، وأصبح جميع أهل المصر آمنوا واطمأنوا فى منازلهم وصانعوا سلطانهم ، فلم يكن له من الاستسلام بد إذ لم يكن له الى غير سبيل ولا جهد، فطالع فى أمره واستشار وأشار له ذووا الأبصار ، واتبـع فى أمره فيمـا ظهر حكم الأبرار ، وأذن بالرخصـة من قـول الأخيـار ، وممـا لا نعلم فيـه اختلافا ، فان الامام المدافع تسـعة التقية ، إذ أخذلته الرعية ، ولم يكن أصح لنـا من ذلك الخذلان ، ولا أبين لنـا من تلك العداوة وذلك العصيان ، والله هـو الرءوف بعبـاده والمنان ، ومـا جعل الله على عباده فى الدين من حرج ، بل الصحيح معنا أنه جعل لكل مدخل من دينـه باب ومخرج ، ولكل عاجز عن فرض من فرائضه عذرا وباب فرج ولا فرق بين الامام والرعية ، ولكل منهم جار عليه حكيم القضية، فألقى بيـده الى منزله ، واستسلم وجاء أن يستتر فيـه ويسلم ، ووصل اليه رسول السلطان الى مكانه يعطيه منـه الميثاق لأمانه ، فبلغنـا أنه أعطاه بلسانه ولم يبلغنا عنـه أنه عرضه لليمين ولا كان الى باب السلطان من الوافدين ، ولا من القادمين اليـه والواصلين ، وانمـا السلطان الذى وصل اليه واضطره على ذلك وجبره عليه ، فزالت بذلك معنـا امامته .

وثبتت بالعذر الواضح ولايتــه ، ولا نعلم أن فى الأحكام ولا مـا اختلف فيه من أمر الامام أن راشد بن الوليد رحمه الله يلحقه القائل فى امامته بمقال ، ولا طعن طاعن ولا عيب عائب فى حال من الأحوال ، فلبث بعـد ذلك قليلا محمودا ، ومات عن قريب من ذلك مفقودا ، وكان راشد بن الوليد فى أيامه وزمانه وموضعه ومكانه ، ومع أنصاره وأعوانه ، وإخوانه فى عامة أمره غريبا معدوما ، ولم يكن عند أحد من أهل الخبرة فى أمره ملوما فجزاه الله عن الاسلام وأهله لمـا قد قام فيه من حقه وعدله ، وعن جميع من عرف فضله ، مـا جزى اماما عن رعيته .

قال : وانمـا ذكرنا من أمر راشد بن الوليد رحمه الله مـا قد ظهر ، ومـا نرجو أنه لم يرفع ولم ينكر ،وإلا ففضائله معنـا أكثر من هـذا وأكبر ، قال وكان أبو محمد بن أبى المؤثر فى وقعـة الغشب فى سـيرة الامام راشد بن الوليد فى طاعته ، وكان زوال أمر الامام راشد بن الوليد فى وقعة نزوى ، وعنهـا زالت رايته وانفضت جماعته ، وبان خذلان رعيته له ولزمته التقية وخاف على نفسه من السلطان والرعية أن يقصـدوه بالقتل رضى للسلطان ولا برح مستقرا فى موضع من حد جلفار الى حد رعوان ، ولا جبال فى عطا ولا فى أرض الحدان الرستاق فأدهى عليـه وأمر : وأعدى عليه من كل عدو وأشر والله أولى بالعذر من البشر ، وكل ومن عذره الله دينـه فواجب أن يعذر ويعان فى ذات الله ، وينصر فيمـا قد نزل به اذا استنصر .

وكان راشد بن الوليد رحمه الله فيمـا ظهر لنـا من أمره ظاهر الايمان ظاهر عليه شواهد الفضل والاحسان ، ناهيا عن الشر والبهتان ، صادق الفعل واللسان ، ورعا عن المحارم، مجتنبا عما علم سائلا عما نزل

به ولزم ، متواضعا لمن فوقه ، متعطفا لمن دونه ، كاظما للغيظ بعيد الغضب ، سريع الرضا محتملا للامة حريصا على اصلاح المسلمين ، رءوفا رحيما بالمؤمنين متوشحا بكرم الأخلاق صبورا على مضائق الخناق ، مستقيما على الحقيقة ، قاصدا قصد الطريقة ، تضرب به الأمثال ، ويعجز الواصف عن وصفه بالمقال ، فرحم الله تلك اللهجة وتلك الأوصال ، وتفضل علينا وعليه منه بالمن والافضال ، وجمعنا واياه على جزيل ثوابه وكرمه ، انه هو أرحم الراحمين .

قلت : هذا كلام العلماء فى راشد بن الوليد ، وكادت هذه الأوصاف أن تكون من صفات النبيين والمرسلين وذلك حال أهل عمان معه ، والظاهر أن حر العدل وتكالب المطامع من البغاة ألقى براشد ابن الوليد الى الحضيض لما رأوا ما يرجون تركوا ما يدينون ، وذهبوا الى الباطل يجمحون والله المستعان ، واذا ألقيت فكرة النظر فيما سطر العلماء أدركت منه كرم الامام المسمى ، وقد ابتلاه الله بلاء عظيما ، ووقع فى هوة لا منفذ لها ، وسكع فى لجة لا مخرج منها ، فرحمه الله على ما ابتلى عبده المؤمن ، ولله أمر هو نافذة ، وحكم هو بالغه .

ولم نقدر أن نحقق وفاة هذا الامام بعد الانهزام ، فان فى التاريخ أن السلطان سار اليه فى منزله واضطره لمواجهته وملاقاته ، وجبره على ذلك ، ثم اختفت أخباره وتعمت آثاره ، فقالوا : فقد من بيته ولم يعلم بموته والله وليه فى دنياه وآخرته رحمه الله ورضى عنه ، فيما ابتلاه وبلغه فى الآخرة مناه .

قال الامام : وذكر المضيف على بيان الشرع أنه وجد أن دار عمان

صارت دار كفر نفاق لا كفر شرك لعشرين يوما من ربيع الآخر ٣٤٢ سنة ، وهـذا الوقت هو وقت غلبة سلطان الجور على عمان ، وخذلان أهل عمان امامهم راشد بن الوليد ، فيما يظهر من سياق التاريخ .

قلت : قد مضى لنا بحث فى الموضوع وبيان الحقيقة ، قال الامام : فان كان عقد الامام عليه بعد سعيد بن عبد الله حالا فتكون امامته فوق أربع عشرة سنة ، قال : ثم صار الأمر من بعده لسلاطين الجور حتى أغاث الله عباده باجتماع الكلمة ، ونصب الخليل بن شاذان . قال : وسئل أبو سعيد عن سلاطين الجور ، الذين كانوا فى زمانه أيكونون مثل خردلة الجبار الذى أجاز أبو الشعثاء قتله غيلة . فقال رحمة الله : هم أشد من خردلة .

عمان وتبادل ملوك الاجانب لهـا رغم اهلهـا

الذى يظهر من نسياق التاريخ أن السلطان الذى قضى على دولة الامام راشد بن الوليد خرج من عمان بعد مـا تم له أمرهـا ، ولم يقم بهـا كثيرا إذ رأى حالتهـا لا تصلح له ، ولا يزال يخـاف انقلابها عليه ، فتركها وهى تمشى على ضوء اسمه الأحمر ، الذى تلعنـه أمتهـا عدا أهل الباطل فيهـا ، ولم نجد تفاصيل خروجه وتحقيق أعماله ، وقد داسها بقدمه إذ قادته عليهـا ومشت بين يديه فيهـا ، وكان تولى أمرهـا بعده الوزير أبو القاسم المطهر بن محمد ، وزير عضد الدولة ، وطرد الشراة الى جبال عمان ، يعنى الى داخليتها ، وكان الأجانب يسيطرون غالبا على سواحلها ، وكانت تولية هـذا الوزير لهـا فى سنة ٣٦٣ ثلاث وسـتين وثلاثمائة فى شهر ربيع الأول ، وكان معز الدولة توفى بهـا قبل هـذا الوقت ، وهو الذى كان تولاها بعد خروج السلطان منهـا وتولاها أبو الفرج بن العباس نائب معز الدولة ، وخرج منهـا أبو الفرج وتركهـا فتولاها عمر بن نبهـان الطائى، وكان تولاها باسم عضد الدولة ، وكان جيشـه الزنج فتولوا الأمر وغلبوا على عمر بن نبهـان ومعهم طوائف من أهل عمان ، فقتلوا عمر بن نبهـان وجعلوا بدله رجلا يقـال له ابن حلاج ، فعاد عضد الدولة عليهم بجيش من كرمان ،وجعل أمر الجيش الى رجل فارسى يقال له أبا حرب ، واسمه طغان ، فجاءوا على طريق البحر الى عمان، فخرج أبو حرب من المراكب الى البر ، وسارت المراكب فى البحر تسايره الى أن وصلوا صحار قصبة عمان ، والظاهر أن نزولهم بجلفار رأس الخيمة .

قال : فخرج لهم الجند والزنج أى المتغلبون فى هـذه الآونة على الأمر بعمان ، واقتتلوا قتالا شديدا فى البر والبحر ، قال فظفر أبو حرب وغلب عليهم ، واستولى على صحار وانهزم أهلهـا . قال : وكان ذلك سـنة ٣٦٢ ، قال : ثم ان الزنج اجتمعوا الى بريم أى البريمى ، قال : وهو رستاق بينه وبين صحار مرحلتان ، قال فسار اليهم أبو حرب طغان فأوقع بهم وقعة أتت عليهم قتلا وأسرا ، ثم خضعت له البلاد .

وفى هذا التاريخ كان أبو حرب تولى الساحل الشمالى من عمان الى صحار الى البريمى ، وكانت عمان الداخلية قد أقامت لهـا اماما هو أبو حفص راشد بن سعيد ، واستقل بداخلية عمـان على أثر خروج السلطان منهـا ، وغياب الامام راشد بن الوليد مفقودا ، ولتأثرهـم بأحوال السـلطان المذكور أقام أهل عمان راشد بن سعيد اماما فقاومه السلطان الذى قاوم راشد بن الوليد ، وسار الى أن بلغ حرفان ، ولا نعرف حرفان هـذه ولعلها غطفان ، وهو الواضح ، وكان قائده لهـذه الحمـلة المطهر بن عبد الله ، فتقاتلا فى البحر أيضا ، قال فأوقع بأهلهـا وأثخن فيهم وأسر ، قال : ثم سار الى دمـا وهى على أربعة أيام من صحار ، قال : فقاتل من بهـا وأوقع بهم وقعـة عظيمة ، قتل فيهـا وأسر كثير من رؤسائهم ، قال وانهزم أميرهم ورد وامامهم ، وأتبعهم المطهر الى نزوى وهى قصـبة تلك الجبال ، أى قصبة الداخلية ، قال : فانهزموا منـه فسير اليهم العساكر ، فأوقعوا بهم وقعـة أتت على باقيهم ، وقتـل ورد وانهزم حفص كمـا يقول ابن الأثير ، الى اليمن .

واختلط التاريخ الذى يحكيه ابن الأثير وان رام أحد تحليله عن تحقيق يستعصى عليه ، لأنه يأخذ الأقوال على غير وجهها ومـا عليه إلا أن

يدون كل مـا يجد وذلك لا يصح ، فأخذ الأقوال من غير المصادر الصحيحة لا يصح ، وهو يتبع النقلة أيا كانوا وهم يتخربطون فى النقل ، ولا يرجعون الى أصلٍ ، إلا أنا دخلنا عمان وفعلنا وملكنـا وقتلنا ، ولا يبـالون ولا يراعون أهمية النقل ، ولا يحترمون حقوق التـاريخ ، ولا يرون واجب العـدالة فى حكم التـاريخ ، فلذلك لا تكـاد تستطيع الأخـذ عنهم إلامـا يناصره عن أهل الصدق مقال ، أو يعضده بمعناه عن أكابر الرجال والخبر من البعيد يأتى ذا ألوان وعلى نواح مختلفة •

قال العلامة أبو اسحاق رحمـة الله : هـذه الحادثة الملفقـة تدلك على مبلغ عبث هؤلاء بحقائق التاريخ ، وانك لترى فى كتبهم قلب قضـايا رأسـا على عقب ، والقصد من هـذا إمـا هدم مجد كمـا هو الشأن فى هذه الحادثة ، أو تصوير الأمر بغير صورته تقليلا لأهميتـه ، وطمسا لمزيته ، كمـا ترى فى غير هـذا الموضع ، ولعل الباعث على هـذا لهؤلاء الكاتبين هو إظهـار من خالفهم فى مظهر لا يستحق الكرامة ، ولا يعتد بعظمته مهمـا بلغت ، وهدم المزايا وطمس الحق كاد يكون الظاهرة فيهم ، دون أن يجدوا مناصا منهـا لأنهم خدمة أغراض لا خدمة تاريخ ، فالناحية التى يأتون الوقائع منهـا هى ناحية طمس المعالم التى لا تسرهم جنوحا الى هواهم السياسى أو المذهبى ، وهكذا ترى صفحاتنا التاريخية بيـد هؤلاء المرضى مشوهة أو ممزقة أو معدومة ، والعجب أنك ترى تاريخا كتب لناحية واحدى حلقاته مفقودة ، وما فقدانها الا من عبث هؤلاء ، ولا يخشون فضيحة ولا يتقون الله فى أمانة العلم •

والحق أنه لا يؤخذ مـا يكتبه مؤرخو قومنـا على أصحابنا عـلى الاطلاق ، فان طمس الحق ديدنهم ولهم هوى فى ذلك ، إذ يزعمون أنه يجوز لهم ذلك فى حق مخالفيهم ، اللهم إلا النادر ، فان انصافهم لا ينكر

كابن الصغير المالكى ، ومن الغريب حتى كتاب العصر الذين ينتحلون تحرير التاريخ والاعتراف بالحقيقة لذاتها ، قد وقعوا فى سقطات دون أن يتحروا الصدق ، وقد يكون ذلك عن مبلغهم من العلم ، وقد يكون عن هـوى ، كمـا تبادر لى من محادثة بعضهم اﻫ كلام أبى اسحاق رحمه الله .

قلت : لم يكن الموجودون الآن خيرا من أولئك الذين مضوا ، بل ربمـا كان أولئك خيرا من هؤلاء لتمسكهم ببعض الديانة ، أمـا الذين هم الآن صاروا خلفا عنهم فليسوا على شىء ، فلا بدع أن مشوا على ذلك المنهج الذى يشير اليه العلامة .

والحقيقة أن التاريخ العمانى كمـا قيل دم أضاعه أهله ، فان أكثر أهل عمان كمـا سمعنا منهم لا يعيرون التاريخ آذانا ، ولا يهتمون به إذ لا يعتقدون له قيمة ، بل يقولون عيش آذان بهـذه العبارة ، ولهـذا ضاع كثير من أعمال أهل عمان ، ونزلت أهمية الأمة الى الحضيض ، وسترى من هـذا الوجه شيئا هو أعجب الأشياء ، وذلك أن الترك جاءوا عمـان فى امامة الامام الخليل بن شاذان ، وأخذوه وانحلت امامتـه ، وأقام العمانيون مقامه اماما لهم ، ثم رجع الخليل الى عمـان الى آخر مـا هنالك كمـا سوف ترى ذلك ان شاء الله ، وترى منـه العجب حيث تقف مشدوها حائرا مصدوع الرأس ، ولم يتكلم عليـه أحد منهم على الحقائق التى هناك ، فلا جرام اذا ضاع التاريخ العمانى ووضعه أعداء عمـان فى مظاهر لا أهمية لهـا ، واذا لم يقم بالحق أهله لا يرجى أن يقـوم به أعـداؤه .

قال ابن الأثير : ثم ان جبال عمان اجتمع بهـا خلق كثير من الشراة ،

وجعلوا لهـم أميرا اسـمه ورد بن زياد ، وجعوا لهم خليفـة اسـمه حفص بن راشد قـال : فاشتدت شـوكتهم ، قـال : فسـيروا عليهم عضـد الدولة المطهـر بن عبد الله فى البحر أيضـا فبلغ الى نواحى حرفان من أعمال عمان ، فأوقع بأهلها ، وأثخن فيهم وأسر ، ثم سار الى دما وهى على أربعة أيام من صحار ، فقاتل من بهـا وأوقع بهم وقعـة عظيمة قتل فيهـا وأسر كثير من رؤسائهم ، وانهزم أميرهم وردو امامهم حفص ، واتبعهم المطهر الى نزوى وهى قصـبة تلك الجبال ، فانهزموا منه فسير اليهم العساكر ، فأوقعوا بهم وقعـة أتت على باقيهم ، وقتل ورد وانهزم حفص الى اليمن ، فصـار معلما وسار المطهر الى مكـان يعرف بالشرف قلت : لعـله الشرق بالقـاف بعد الراء المهملة . قال : به جمع كثير من العرب نحـو عشرة آلاف ، فأوقع بهم . قال : واستقامت البلاد ودانت بالطاعة ، قال : ولم يبق فيهـا مخالف ، قال : الامام هذا كلامه والله أعلم بصحته .

قال : وأمـا حفص بن راشد إنما نصب اماما بعد موت أبيـه الامام راشد بن سعيد رضى الله عنه ، وذلك فى المحرم سـنة خمس وأربعين وأربعمـائة ، ولم يذكر أحـد من مؤرخى أصحابنـا خروج سـلطان العراق على حفص بن راشد ولم يذكروا أنه عزل عن امامته ، ولا أنه خرج من عمان وانا لنشك فى رواية قومنـا فيمـا شاهدوه، فكيف نثق بهم فيمـا غاب عنهم مع أنهم أخذوا أخبار ذلك من بعض أجناد الظلمة القادمين على حرب المسلمين ، فيحتمل أن يكون قد اختلط عليهم الأمر ويمكن أن يعتمدا الزيادة والنقص ، قال : وبالجملة فانا نعلم من سياق التاريخ أن الظلمة قد عانوا فى عمان ، وتولوا أمرهـا من بعد أن خذل أهل عمـان

الامام راشد بن الوليد الى أن نصب الخليل ابن شاذان ، ومدة ذلك نحو خمس وستين سنة تقريبا ، والله غالب على أمره ا هـ كلام الامام السالمي رحمه الله .

والظاهر أن هؤلاء السلاطين أولهم يوسف بن وجيه الذى قاتله الامام سعيد بن عبد الله الرحيلى فى عهد امامته ، واستمر الحال بهم كذلك الى بنى مكرم وليسوا من عمان بغير شك ، لكن لما تسلطوا على أهل عمان من أول القرن الرابع الى أول القرن الخامس ، وكان السبب فى تسلطهم على أهل عمان بنو سامة أهل أزكى حتى تغلغلوا بعمان وسيطروا عليها تلك المدة ، صاروا كأنهم من عمان فلهذا قال ابن الأثير فى بنى مكرم : انهم من وجوه أهل عمان ، ولا علم له فى الحقيقة عن تحقيق قضايا عمان وأهل عمان ، وقواد بنى العباس الذين منحوهم آخر العهد اسم السلطان ، وأبقوا لأنفسهم اسم الخليفة ، ورضوا من الأمر بذلك ، إذ كانوا أركان باطل وأعمدة ضلال ، فلذلك سلط الله عليهم أعداءهم الديلم والترك ، وآخر الأمور انمحوا بالتتار ، وانتهت أيامهم السوداء المظلمة بفسادهم وضلالهم ، وكل مفسد لابد أن يرى عاقبة فساده ، حتى يعلم أن لهذا الكون ربا يدبره ومليكا يصرفه ، ليس موكولا الى تصرفات أهل الفساد ، والله يمهل ولا يهمل ، ولكل شىء غاية ينتهى اليها ، فقد عاث الغزاة فى عمان من هؤلاء وأمثالهم كالقرامطة ونحوهم ، وأخذوا وقتا وراحوا رهن أعمالهم ، وكذلك نكبوا أهل عمان بمصارعة الامام الخليل بن شاذان ، حتى قضوا عليه ومزجوا دولته ، وبددوا شمل امامته فى عمان ، ورأى منهم ما عرفه التاريخ كما سوف نذكره فى محله إن شاء الله .

والخلاصة أن ذلك القرن قد مر كله ملطخا بغيوم الظلم والفساد ، من المسلطين على الأمة بآل العباس ، الذين صاروا ذريعة لهم يتوصلون بهم الى مقاصدهم ، وكان بنــو العباس كاخوتهم بنى أميــة بلاء على الأمة ، وشرا على المسلمين إذ كانوا أهــل فجور وظلم وجور ، ملكا عضوضـــا ونفوســا متغطرسة وأعمالا سيئة ، ولكن ذلك دليل فى الحقيقة على هوان الدنيــا وانحطاط قدرها عند الله عز وجل ، ولو كان لهــا شأن عند الله لم يجعل أهلها مثل هؤلاء المفسدين من فراعنة يدعون الربوبية ، وقياصرة يترفعون عن البرية ، ويتعاظمون على أهــل الحــق ، وأكاسرة يتربعون عروش الملك وهــم طغاة جورة ، وأمراء يتأمرون عــلى الأمة بمقتضى الأهــواء ، وملوك يفعلون مــا يشتهون ، وسلاطين فى النــار يقتحمون ولا يبالون ، وأتبــاع هؤلاء كثيرون ، والمسلمون هم الأقلون ، فى كل جيل ، والمخلصون الأقل أيضــا فى مطلق الأزمان ، ولكن اقتضت حكمــة الله ذلك ليحيــا من حى عن بينــه ، كمــا يهلك من يهلك عن بينــه ، والدنيا طريقان يوصلان الى الآخرة : وهما النجدان اللذان أشار اليهمــا القــرآن •

ولقد استمرت غزوات الجيوش العباسية لعمــان ، الى عهــد الامام الخليل ابن شاذان ، فقد صارعوه وقاتلوه الى أن قضوا على امامتــه وقادوه أسيرا من عمان لا يقدر على نصرته أحد ، حتى مضى على ذلك عهد وهو معهم ولا يدرى العمانيون شيئا عنه وهل هو حى أم ميت كمــا سوف ترى ذلك ان شاء الله •

محتويـات الكتـاب

الصفحة

الصفحة

ص.ب : ٦٦٨ ـ الرمز البريدي : ١١٣ مسقط
سلطنة عُمان

رقم الإيداع : ٢٤١ / ٩٥

طبع بالمطبعة الشرقية ومكتبتها سلطنة عمان ـ ت : ٧٧١٦٩٥٢